بسم الله الرحمن الرحيم

بعد أشهر قليلة منذ تدشينه يوم 95/08/24 ها هو المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، يطلع علينا بالرؤية، هذا المولود الجديد الذي يأتي ليضاف لقائمة المجلات والنشريات التي تحاول أن تهتم بتدوين تاريخ أمتنا المجيد عبر مختلف الأحقاب والعصور ولا سيما العصر الحديث وبالتحديد فترة الحركة الوطنية وثورة نوفمبر الخالدة -1830 1962-.

إن تدوين وتسجيل بطولات ومواقف وأحداث أمتنا وتخليد أسماء صانعيها سواء منهم من قضى نحبه أو ممن هم ينتظرون وما بدلوا تبديلا، هو مطلب ملح رفع رايته المجاهدون منذ فجر الإستقلال وما زالوا يؤكدونه، وانضمت إليهم أصوات كل المثقفين الوطنيين المخلصين وكل الشباب الغيور على هذا الوطن العزيز، المفدى، وسوف يبقى هذا المطلب قائما إلى أن يتحقق تدوين هذا التاريخ بصورة، موضوعية وبطريقة علمية وبأقلام وطنية نزيهة ومخلصة وبمنظور مدرسة جزائرية أصيلة ونقية.

إن تدوين التاريخ ليس هو الغرض في حد ذاته بل الغرض الأسمى هو تدريسه و تلقينه للأجيال بغية الحفاظ عليهم و تكوين

مجتمع متماسك و موحد، تشده رابطـــــــة الأصالة و مقومات الشخصية الوطنية الواحدة التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، سقاها الملايين من الشهداء بدمائهم الزكية وفدوها بأرواحهم الطاهرة.

إن الحفاظ على الذاكرة المشتركة للأمة وحفظها من الوقوع في بوتقة النسيان، هو واجب مقدس على كل جيل صنع أحداثها وعاشها أو عايشها وهو في نفس الوقت حق طبيعي للأجيال الموالية لذلك الجيل.

ولعل أصدق تعبير في هذا الصدد، هو ماجاء في خطاب السيد رئيس الدولة أنذاك رئيس الجمهورية حاليا، الذي ألقاه أمام ممثلي الملتقى الثاني لترقية تدريس التاريخ الوطني يوم 25 مارس 1995 حيث قال: " حقا، أن شعبا ينفي ماضيه كل ماضيه هو شعب محكوم عليه بالتراجع، والتعرض للهيمنة والتسلط ، كما أن شعبا يعمل على الإستفادة من التقدم والعصرنة بدون الإعتماد على قيمه العريقة والأصيلة، هو شعب يبني صرحا مهددا بالإنهيار دوما."

وقد تأكد هذا المنظور العميق والواضح في آن واحد، للبعد الذي يعطيه رئيس الجمهورية لموضوع تدوين وتدريس التاريخ الوطني في برنامجه العام الذي إلتزم به أمام الشعب واختـــاره

هذا الشعب وزكاه بقوة. حيث جاء في الفقرة 193 من هـذا البرنامج " بأنه على المدرسة الجزائرية ان تتخلص من التأثيرات الحزبيةوالإيديولوجية وأن تعطي المكانة المشرفة للتاريخ الوطني ..."

وبالإشارة لهذه الفقرات من برنامج رئيس الجمهورية التي تستمد منها الحكومة برنامجها، فإننا نريد أن نؤكد بأن الإرادة السياسية لكتابة التاريخ الوطني وتدوين وتسجيل أحداثه وتدريسه للأجيال، متوفرة اليوم بقوة وبوضوح لا يدع أي مجال للشك ولا التأويل.

وما إنشاء هذا المركز الوطني سوى تعبير فعلي على تجسيد هذه الإرادة، فنأمل أن يكون قلعة ثقافية وطنية تضافه لقلاع المعرفة واكتساب العلم المنتشرة عبر أنحاء الوطن، وأن يكون جنودها وحماتها والمحتمين بها، من علماء وأساتذة ومختصين من الوطنيين المخلصين وكذا من صانعي الأحداث و مدبريها و منفذيها والذين عاشوها أو عايشوها من المجاهدين، ليلتقي الطرفان في تسجيل وتدوين هذه الأحداث التي هي أمانة بين أيدينا لا بد من توصيلها لأصحاب الحق فيها وهم الأجيال الحالية واللاحقة.

وإذا كانت " الرؤية " هي أول ثمرة يقدمها هـذا المركـز

في هذا الظرف القصير من حياته (ستة أشهر)، فما كان ذلك ليتحقق لولا المجهودات المعتبرة والإرادة والعزيمة القويتين اللتين تحلى بهما كافة إطارات المركز وموظفيه يساندهم في ذلك عدد من الأساتذة و المفكرين، فلا يسعني في هذا المقام سوى أن أنوه بهذا المجهود وأحث الجميع على المزيد من هذا النوع من الإنتاج الذي نحن في أمس الحاجة إليه، وأكرر ندائي مرة أخرى لعلمائنا و أساتذتنا المهتمين بكتابة التاريخ الوطني كل في ميدان إختصاصه، ألا يبخلوا بمساهماتهم وإسهاماتهم في هذا النوع من الإنتاج لعلنا بذلك نساهم معا، ولو جزئيا، في توفير المادة الضرورية لكتابة تاريخ وطننا المجيد.

والله ولي التوفيق

وزير المجاهدين

السعيد عبادو

فهرس

- كلمة الوزير
- كلمة العدد
- شروط و مقا ييس النشر

نشاطات المركز

- عرض عن اليومين الدراسيين اللذين نظمهما المركز يومي 28-29/10/ 1995 15
- جمعية الإعلام والإتصال في زيارة ميدانية للمركز 27
- محاضرة للدكتور العربي زبيري 31

أراء وإسهامات

- مقدمة الباب 47
- أصول الحركة الوطنية وتطورها (1830 - 1954) 48
- الأمير عبد القادر والتيجانية 71
- الأعمال الإدارية والسياسية للحاج أحمد باي حاكم الإقليم الشرقي في الجزائر 84
- ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية 97
- حركة التنصير في الجزائر - عهد الإحتلال- 118
- الحركة الوطنية الجزائرية في مرحلة النضج -1942 -1954 القسم الأول 130
- حركة ماي 1945 الثورية في صحيفة النهضة التونسية 174
- القنبلة الذرية الفرنسية الأولى، جريمة ضد الإنسانية والشعب الجزائري 188
- إنفجار القنبلة النووية برقان: شهادات من عايشوا الحدث 196

مقتطفات

- مقدمة الباب 205
- الملتقى الوطني لمعهد التاريخ حول المدرسة الغربية وقضايا التاريخ الجزائري المنعقد أيام 10-11-12 مارس 1987 206
- الملتقى الوطني حول ترقية تدريس تاريخ الثورة 208
- مقتطفات من الحوار حول معركة جبل سيدي ثامر -بوسعادة- 211
- مقتطفات من الحوار حول التموين بالولاية السادسة أثناء الثورة التحريرية 221

تحقيقات وبطاقات

- مقدمة الباب 229
- حمدان بن عثمان خوجة * 1773 - 1840/1854* 231
- رمضان بن عبد المالك * 1928 - 1954* 233
- الشهيد باجي مختار * 1919 - 1954* 235
- مفدي زكريا * 1909 - 1977* 237
- إضراب الثمانية أيام 28 جانفي - 4 فيفري 1957 239
- معلم سيدي فرج 241

قراءات قانونية

- مقدمة الباب 245
- قراءة قانونية لأهم النصوص المنشئة لمراكز البحث العلمي و التقني بصفة عامة والمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بصفة خاصة 247
- مناداة من سار عسكر أمير الجيوش 1830 256

إصدارات

- مقدمة الباب 261
- ديوان الشهيد الربيع بوشامة 262
- شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف 268
- مجلة " التراث" في عددها الثامن 273
- الثورة والقيادة السياسية الجزائرية 1954 - 1968 276
- النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954 - 1962 278
- الثورة الجزائرية، سنوات المخاض 280

فسحة القارئ

- مقدمة الباب 291
- المسابقة -حكم و أمثال- 292
- كلمات متقاطعة 297

نشاطات المركز

عرض عن اليومين الدراسيين اللذين نظمهما المركز يومي 28-29 / 10 / 1995

إن الأقلام الاستعمارية لم تتوقف، منذ بداية الاحتلال، عن تحريف تاريخ الجزائر وتشويهه، ولم تستثن، في ذلك، أية مرحلة. وبعد إسترجاع الإستقلال الوطني، واصلت مهمتها مركزة على تقزيم الحركة الوطنية وإفراغ تاريخ ثورة نوفمبر من محتواه الحقيقي، لأجل ذلك، فعلى المركز ان يضبط برنامجا طموحا يمتد على سنوات ويهدف الى تحرير تاريخ البلاد عامة وتاريخ الفترتين المحددتين له بصفة خاصة.

فكان اللقاء لدراسة أفضل الأساليب والطرق والكيفيات اللازم إتباعها في الدراسات والأبحاث اللتي سينطلق بها هذا المركز بالإستعانة بشهادات صانعي الأحداث ومنفذيها من جهة، وبأقلام أصحاب الإختصاص من الأساتذة الجزائريين من جهة ثانية سعيا منا لتحديد منهجية علمية وأكاديمية بإجراء هذه الدراسات إنطلاقا من التجربة الوطنية التي عرفها هذا الموضوع طيلة العقود الثلاثة الماضية واستنباطا من التجارب العالمية الناجحة في هذا المضمار على أمل الوصول إلى كتابة تاريخ الجزائر لهتين المرحلتين بأقلام جزائرية مخلصة ومن منبع جزائري وبمدرسة جزائرية وأمجاد أمتنا وعزة وطننا لها من البطولات والانتصارات مايغنيها عن الزيف والتأويل والتحوير وحجب الحقائق.

وقد تشكلت ورشتان هما:

الورشة " أ " لدراسة المسائل المنهجية.-
-**الورشة " ب "** لدراسة المسائل المتعلقة بالوثائق .

الورشة (أ) المكلفة بدراسة المسائل المنهجية

1- يمكن ان تتناول الورشة الأسئلة التالية:
- هل من مهام التاريخ تغيير نظرة المجتمع، وأغلبه شباب - كيف ؟
- هل يكون ذلك بصفة مباشرة أم عن طريق نشر البحوث المنجزة فقط ؟

2- ماهي نظرة المؤرخين لتاريخ الجزائر في المرحلتين المعنيتين الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ؟

أو

* كيف تناول المؤرخون تاريخ الجزائر في هاتين المرحلتين ؟
* المؤرخون الجزائريون
* المؤرخون الأجانب
* وهل يمكن إستخلاص منهجية من ذلك ؟

3-هل المنهجية الموجودة كافية وسليمة لتناول تاريخ هاتين المرحلتين، أم يجب وضع منهجية جديدة؟ وماهي ؟

4-كيف الوصول إلى إشراك جميع الباحثين من كافة التخصصات وجميع الهيئات والمؤسسات المعنية وخاصة فيما يتعلق بتلك التي في حوزتها وثائق ؟

ملاحظة : للورشة أن تتصرف في المحاور المذكورة أعلاه بكل حرية.

الورشة " أ "

شكلت الورشة " أ " مكتبها المتكون من الأستاذ: د/ العربي دحو الأستاذ: يوسف مناصرية والأستاذ مسعود كواتي.

وانطلقت في اعمالها بحيث عرضت الوثيقة المقترحة للدراسة من لدن المؤسسة على اعضاء اللجنة، ثم فتحت المناقشة حولها بحيث سجل بعض المتدخلين ملاحظات تخص بعض المحاور في جانبي المضمون الاكاديمي من ذلك أن المحور الأول ينبغي أن يكون خلاصة للمحاور الاخرى، كما تساءلوا عن بعض المصطلحات ودلالتها كمصطلح " الحركة الوطنية " وكذلك عن تحديد الفترة الزمنية لها وللدراسة التاريخية التي سيقوم بها المركز الى جانب مصطلح " المنهجية " التى يتساءل بشأنها سواء من جانبها الأكاديمي أم من جانبها التاريخي والمدارس التى اتبعت في كتابة تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية زيادة على هذه الملاحظات التى قدمت عن الوثيقة اقترح أعضاء الورشة ترتيب بعض الأولويات التى تخص المحاور المطروحة للنقاش، اضافة الى محاور أخرى. على مستوى الترتيب ترى الورشة أن أول عمل ينبغى أن يقوم به المركز هو ايجاد عمل علمي يشخص هذا العمل في مؤلف يتناول التاريخ العام للحركة الوطنية الوطنية والثورة التحريزية، فضلا عن ملاحظات واقترحات جلها في اثراء محاور الوثيقة، و رسم افاق العمل مستقبلا.

وبعد هذه المناقشات الغنية التى دامت يوما كاملا (**مساء 28/ وصبيحة 1995/10/29**) انتهى أعضاء الورشة الى مايلي:

1- المحافظة على مشروع البرنامج المقترح من لدن المركز واستخراج عناصر أخرى من المشروع المقترح لتكون عناصر مرشدة في خطوات عمل تسهل أي مجهود يقوم به المركز في سبيل تحقيق الرسالة المنوطة به، وهي كالآتي:

1- جمع كل ما يتعلق بتاريخ الحركة الوطنية والثورة (1830 – 1962)

2 - تصنيف المادة المجموعة وترتيبها حسب الموضوعات، والشروع في دراستها مع اعطاء الأولوية للموضوعات التي لم تتناول من قبل.

3 - يمكن للمركز أن يتبنى مشاريع البحث المتعلقة بالحركة الوطنية والثورة في الميادين التاريخية المختلفة التي تأتي على شكل مبادرات من افراد أو من مؤسسات.

4 - للمركز أن يوجد منابر ووسائل للتوصيل لنشر أعماله وتبلغيها حسب الأولويات والمهام، وأن لا يهمل أي رافد من روافد الحركة الوطنية والثورة.

5 - ينبغي للمركز أن يسعى لتصحيح المفاهيم الخاطئة والمغرضة المتداولة في المجتمع الجزائري عن الحركة الوطنية والثورة الجزائرية باستعمال كل الوسائل المتاحة والممكنة.

أما التوصيات فاوجزت في النقاط الأتية:

1- توصي بقراءة وصياغة جديدة للكتاب المدرسي يتلاءم مع سن التلميذ ومحيطه وربطه بوطنه وقيمه بشكل مشوق.

2 - وجوب نشر البحوث والرسائل التاريخية غير المنشورة لاغناء المكتبة التاريخية الوطنية.

3 - انشاء مجلة علمية دورية تنشر الأبحاث المتعلقة بالحركة الوطنية والثورة التحريرية.

4 - إيجاد نشرة اعلامية تهتم بنشاطات المركز.

وبعد قراءة التقرير على أعضاء الورشة، اضاف الاعضاء التوصيات التالية:

1- يحصى المركز مراكز التعذيب والمراقبة وحمايتها من الاندثار.
2- أن يكون هناك تنسيق بين جميع المؤسسات .
3- لا بد من اعلان حالة استنفار لجميع المؤسسات والتنسيق فيما بينها لخدمة التاريخ الوطني.
4 - إيجاد الاطار القانوني الذي يلزم جميع المؤسسات التى تملك الوثائق للتعامل مع المركز.
5 - دعوة وسائل الاعلام الى تكثيف الجهود واستعمال جميع وسائل النشر والبث لإيصال المادة التاريخية للمواطن.
6 - تحاشى المصطلحات الخاطئة ضد الحركة الوطنية والثورة التحريرية.
7 - تبسيط المادة التاريخية لتكون في متناول الجميع.
8 - انشاء فرق بحث متعددة الاختصاصات.
9 - المركز يتبنى الاعمال الأدبية والابداعية ذات الصلة بالحركة الوطنية والثورة التحريرية.
10 - فتح فروع للمركز في الولايات التاريخية للثورة التحريرية.

مع الملاحظة أن أعضاء الورشة دعموا المكتب بالسادة الأساتذة:

- **غالي غربي**
- **تلمساني بن يوسف**
- **سيدى موسى محمد الشريف**
- **السيدة نابت ريحة**
- **سعاد شعبان**
- **عابد بلعيدي**
- **سعاد الحداد**

التقرير الأدبي للورشة الأولى (أ) المكلفة بدراسة الوسائل المنهجية

بتاريخ 1995/10/28 وعلى الساعة 13:40 زوالا، انطلقت أشغال الورشة (أ). وبعد انتخاب رئيس اللجنة الأستاذ العربي دحو حاول الحاضرون تقييم الأسئلة الواردة في جدول الأعمال.

بالنسبة للسؤال الأول فقد جلب انتباه الحاضرين من حيث طريقة طرح السؤال كما تعرض للكثير من النقد لأن البعض يرى أنه لا يجب طرحه لأنه بديهي وأهمية التاريخ في أي مجتمع أمر لا نقاش فيه. أما البعض الأخر فيرى أن المحور الأول ضروري لأننا بصدد تركيب مجتمع محطم، لكن كيف نرسخ في ذهن الجيل الجديد هذه الثوابت رغم وجود الكثير من التناقضات في حياته اليومية؟ لذلك يجب التحدث عن كيفية كتابة التاريخ ومن ثم التأثير على نظرة المجتمع وذلك بصورة منهجية.

مهم جدا أن نلم بالمعلومات لكن الأهم هو كيفية كتابتها وإدخالها في مختلف النشاطات الثقافية: كالمسرح، التلفزيون ... مع تبسيط للمعلومات لتعم الفائدة بدلا من كتب تصف في الرفوف،واختصاص واجب في كل الميادين سواء تعلق الأمر بالمؤرخ أو بالاشخاص الذين سيوصلون هذا التاريخ الى المجتمع.

فيما يخص المحور الثاني أكد الحاضرون على نقطة أولية وأساسية تتمثل في تحديد الإطار الزمني لمفهوم الحركة الوطنية والثورة التحريرية، هل الحركة الوطنية تبدأ من 1830 م أم تتعداها الى سنة 1919، وعلى أي أساس يمكننا الإعتماد على هذا التقسيم؟

لقد تناول عدة مؤرخين تاريخ الجزائر منهم جزائريون ومنهم أجانب، فما كتبه هؤلاء مقبول من ناحية التوثيق لكنه غير ذلك من ناحية التفسير والتحليل أما المؤرخون الجزائريون فيعرفون من حيث تأثرهم بالمدارس الأجنبية مع اعتمادهم على التحويل اللفظي دون الإهتمام الكافي بالمحتوى، لذلك وجدنا أنفسنا نستهلك ماينتجه الآخرون رغم توفر الوثائق لدينا.

بما أننا لا نستطيع أن نستخلص منهجية معينة بالإعتماد على ماكتبه المؤرخون الجزائريون والأجانب فيجدر بنا أن نعتمد على منهجية أخرى.

الإشكالية المطروحة في هذا الصدد هي: هل يمكننا الإعتماد على المدارس الأجنبية مع غربلتها لتتفق ومضامين تاريخ الجزائر، أم يجب ابتكار مدرسة جزائرية جديدة بحتة؟

وبما أن هذا العمل ليس بالأمر السهل فقد اتفق الحاضرون على النقاط التى من المفروض أن يتبعها كل من يهتم بكتابة التاريخ وهي كالتالي:

1 - جمع كل ماألف عن الفترتين باقلام أجنبية وعربية.
2 - جمع ماكتبه كل الجزائريين سواء قبل أو بعد الإستقلال
3 - تكوين خلايا من مؤرخين وكتاب جزائريين لدراسة كل هذه المؤلفات ومعرفة ما إذا كانت موضوعية.
4 - اصدار مجلة تعرف بهذه الشريحة من المختصين
5 - جمع الرسائل الجامعية المطبوعة وغير المطبوعة بالمركز.

6 - احصاء ووضع ترجمة لكل الكتاب الذين تناولوا الفترتين من كل النواحي جزائريين كانوا أو أجانب.

7 - إستخراج منهج
8 - تكوين خلايا لجلب الوثائق من الخارج (صور، ميكرو فيلم) لدراستها في ما بعد.
9 - بعد هذا تتوضح الرؤيا لمنهج سيلم وغير سليم.
10 - يجب البحث عن اطار قانوني لإبراز المؤلفات ايا كان نوعها الى النور وعدم التغيير او المحو ،لتبليغها لجميع الشرائح في شكل مبسط.

محضر جلسة الورشة -ب-

إنطلقت أشغال الورشه (ب) مثلما كان مقررا في جدول أعمال اليومين الدراسيين 28 و 29 أكتوبر 1995م المكلفة بدراسة طرق وكيفيات ووسائل جمع وإستغلال الوثيقة وأنواعها بداخل الوطن وخارجه يوم 28 أكتوبر 1995 على الساعة الثانية والنصف زوالا برئاسة الدكتور محمد قنطاري، وهذا بمشاركة الأساتذة الباحثين الواردة أسماؤهم في القائمة، وفيها أدلوا بأرائهم حول الموضوع، وهذا من أجل وضع منهجية عمل دقيقة ومضبوطة لدراسة طرق وكيفيات إستغلال الوثيقة.

وأهم المحاور التي تم إثراؤها في اليوم الأول من الأشغال كانت كالآتي:

1 -إدخال تعديل منهجي وأكاديمي على العنوان.

2 -تحديد مفهوم الوثيقة وأنواعها، مع ذكر أسباب عدم إكتمال جمعها وتصنيفها

3 -طرق وكيفيات إستغلال الوثيقة داخل الوطن وخارجه.

4 -الوسائل المادية والتقنية والبشرية المستعملة في جمع وحفظ وإستغلال كافة أنواع الوثائق.

كان التدخل الأول حول:

- **مفهوم الوثيقة وأنواعها**، حيث ذكر بأن وثيقة التاريخ المعاصر لها عدة مدلولات، المدلول المادي والمدلول المعنوي وهي أنواع:

الوثيقة الشفوية: واجب التحري عند نقلها والأخذ بالأسلوب المنهجي - نظرا لتدخل الذاتية والعاطفة وحتى الآنا.

ب* (الوثيقة المكتوبة: ذكر بأنها بنت زمانها، فأعطى مثلا الخبر الصحفي، الذي يكون عادة وليد ساعته، أما الوثيقة الرسمية كالتقرير السياسي ليس له المدلول الخبري (الإعلامي) بل المدلول التاريخي ، الذي يسمح لنا بنقده وتمحيصه.

ج* (الوثيقة المصورة: وجودها ضروري وهي نقل حي للحدث.

د* (الوثيقة السمعية: لها نفس الإيجابيات كالوثيقة المصورة مثال خطاب أو توجيه سياسي كخطاب مصالي الحاج في ملعب 20 أوت.

هـ) * الوثيقة المادية: كالمستشفيات والسجون ومراكز التعذيب والمحتشدات والمعتقلات ومراكز الفرز.

أما النقطة التي أثيرت حول السؤال الثاني، فيما يخص عملية جمع وتصنيف الوثائق فلقد تمت بطريقة غير مرضية، ثم إنتقل إلى ذكر أسباب عدم إكتمال جمع الوثائق.

كيفية جمع وإستغلال الوثيقة :

1 -إعطاء الأولوية لجمع الوثائق وتسجيل الأحداث التاريخية عبر كامل التراب الوطني، أي القيام بعملية مسح ، لأن هناك وثائق نادرة بمكتبات البلديات والولايات ومراكز عدة منتشرة في القطر الجزائري ، وعند جمعها لابد من التأكد من تصنيفها وترتيبها ودراستها.

2 - ضرورة تنسيق الجهود بين مختلف المؤسسات السياسية والثقافية وهذا بوضع وتطبيق نصوص إلزامية على الجميع لإسترجاع الوثيقة.

3 -ضرورة توفير الإمكانيات المادية ، وهذه المسؤولية تقع على عاتق الوزارات المعنية بالأمر كوزارتي الإعلام والثقافة.....

4 - تجنيد الطاقات البشرية لإسترجاع الوثائق من الخارج وهذا بإبرام عقود مع الأساتذة الباحثين حسب التخصصات واللغات، لأن وثائقنا موزعة في المكتبات العمومية والجهوية مثل "إكس بروفانس "والمكتبة الوطنية بباريس وهذه المخطوطات تشتمل على معطيات أساسية لكتابة التاريخ.

5 - إن إسترجاع هذه الوثائق لابد أن تتم بطرق واقعية وعقلانية ، كإجراء مفاوضات مع البلد الذي يحتفظ بالوثائق.

6 - تزويد الفرق المتخصصة بإمكانيات مادية هائلة لتصوير هذه الوثائق.

7 - التفرغ التام للأساتذة الباحثين لجمع وتصنيف الوثائق.

8 - تعدد نسخ الوثيقة الواحدة والإحتفاظ بها في أماكنها الأصلية لحمايتها من الإتلاف.

9 – وضع قائمة لأسماء المراكز والمؤسسات التي تتوفر فيها الوثائق وتوجيه الباحث إليها.

10 - تشكيل هيئات من الباحثين لجمع ودراسة الملتقيات الأربعة لمنظمة المجاهدين وإستغلالها في البحث التاريخي.

11 - التكفل بالجمعيات التاريخية المستعدة لتقديم المساعدة في تصوير الوثائق واستغلالها.

12 – إستغلال وثائق وأفلام يزيد عمرها عن 35 سنة وهي بحوزة المحافظة السياسية.

الوسائل المادية والتقنية والبشرية المستعملة في جمع وحفظ الوثيقة :

1 - إستعمال أحدث الأجهزة السمعية البصرية لتسجيل الشهادات الحية بمقر المركز وخارجه .

2 - توفير الإمكانيات المادية لإستقبال الأشخاص المعنيين، وهـذا عـن طريق توفير وسـائل النقـل والإقامـة المريحـة مـع توفـير الشـروط الماديـة للباحث.

3 - إستعمال أجهزة إستنساخ الوثائق ذات القيمـة التاريخيـة المتوفـرة لدى الهيئات.

4 - إستعمال شبكة الإعلام الآلي في تخزين الوثائق.

5 - التعجيل بتسجيل الشهادات الحية من المجاهدين لأن جيل الثورة في طريق الزوال، وحسب مصادر رسمية لوزارة المجـاهدين فقـد تم إحصـاء وفاة 4000 مجاهد سنويا.

6 - إستغلال شـهادات المسـنين في البـوادي والقـرى الذيـن يعرفـون تفاصيل الأحداث.

7 - جمـع الشـهادات مـن مختلـف المصـادر، وعـدم الـتركيز علـى الشخصيات القيادية.

8 - ضرورة إيجاد خرائـط للقسـمات والنواحـي والولايـات بطريقـة علمية دقيقة.

واختتمت أشغال الورشة (ب) لتستأنف أعمالهـا في اليـوم التـالي بتـاريخ 29 أكتوبر1995

جمعية الإعلام والإتصال في زيارة ميدانية للمركز

سجلت " جمعية الإعلام والإتصال" حضورها بالمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر يوم 12/11/ 1995 قصد التعرف على هذا المولود الجديد، والمهام الموكلة اليه، والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها. ولقد كان في استقبالهم عند مدخل المؤسسة عدد من مسؤولي المصالح، وكذا إطارات من وحدات البحث الذين رحبوا بضيوفهم الكرام وطافوا بهم بمختلف أقسام وفروع المركز. ولقد قامت إحدى إطارات المركز بتقديم بطاقة تعريف للمؤسسة وإطارها التنظيمي الذي يسير بهياكل وهيئات توجيهية وعلمية. كما تلقى الوفد الزائر شروحا حول الخطوط العريضة والتصورات الأولية لبرنامج العمل الذي يهدف إلى إعادة كتابة تاريخ الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954 بأقلام وطنية نزيهة، وتحريره من كل تشويه وتزييف، وهذا بدراسة جميع جوانبه السياسية والثقافية والحضارية والإجتماعية والعسكرية والإدارية وفقا للمنهج العلمي المعمول به أكاديميا.

بعد ذلك إنتقل أعضاء الجمعية إلى وحدات البحث التي يعد عملها مهما وأساسيا في نشاط المركز، كما كانت هذه الزيارة فرصة سانحة للوفد حتى يتعرف على مهام الوحدات، وهي تتشكل من إطارات جامعية متعددة الإختصاص، وأساتذة باحثين متعاقدين ومختصين في التاريخ الذين يعتمد عليهم في تحليل المادة التاريخية بالتعاون مع أساتذة باحثين ذوي الإختصاصات المتنوعة الأخرى. كما قدمت توضيحات حول مهام إطارات البحث من جمع وتصنيف وترتيب الوثائق التاريخية

بجميع أنواعها المكتوبة، الشفوية، المصورة، والمادية قصد إستغلالها في الكتابة التاريخية.

كما إطلع الوفد الزائر على الوسائل التقنية الحديثة التي تتوفر عليها كل وحدة بحث والمتمثلة في أجهزة "الإعلام الآلي" التي يشرف على تسييرها إطارات متخصصة. والهدف منها وضع شبكة معلوماتية تربطها بالإدارة والجامعات عبر التراب الوطني، والشبكة المعلوماتية الدولية مستقبلا، وهذا باستعمال اللغتين العربية والفرنسية .

ثم إنتقل أعضاء الجمعية إلى قاعة الأستديو الذي يتوفر على أجهزة سمعية بصرية وهو يستعمل في تسجيل حوارات مع مجاهدين من مختلف مناطق البلاد، والذين تعد شهاداتهم ضرورية في كتابة تاريخ ثورتنا. ولقد شهد الوفد لقطات من حوار تم مع المجاهد محمد بوزيد المدعو " ابن صابر " حول معركة جبل سيدي ثامر ببوسعادة أين إستشهد العقيدان " عميروش و "سي الحواس."

بعدها توجه الوفد إلى بهو العرض أين عرضت وثائق وصور تبرز نضال الشعب الجزائري منذ أن وطئت أقدام المستعمر المدنسة أرض الجزائر الطاهرة سنة 1830 كما جسد المعرض في إحدى واجهاته المقاومات الشعبية أشهرها مقاومة الأمير عبد القادر في الإقليم الغربي (1832 إلى 1847)، ومقاومة أحمد باي في الإقليم الشرقي (1830-1847) وعرضت صور أشهر المقاومات الشعبية التي إمتد لهيبها كرد فعل على محاولات الإستعمار لمد نفوذه في أرض الجزائر كثورة بوبغلة (1850)، ثورة الحداد في 1871 وثورة الحاج المقراني 1871، وثورة بوعمامة 1881.

كما تبرز الواجهات النشاط السياسي للحركة الوطنية قبل 1945، والمتمثلة في الأحزاب السياسية التي كان لها تأثير فعال في مجرى الأحداث، إذ ساهمت من خلال نشاطاتها السياسية المختلفة في إيقاظ

الوعي الوطني وبلورته قبل وأثناء الثورة المجيدة مع التركيز على حوادث 8 ماي الدموية حيث عرضت فرنسا عضلاتها في الجزائر بإبادتها 45 ألف شهيد محاولة قبر الأماني الوطنية، وكبح تيار التحرر لتجبر الجزائريين على التخلي نهائيا عن فكرة الإستقلال أو الإنفصال والثورة ضد فرنسا.

وإلى جانب ذلك عرضت وثائق حول إندلاع ثورة أول نوفمبر في مختلف مناطق التراب الوطني، هذا الحدث التاريخي المفاجيء كانت له ردود فعل سريعة ومضطربة وهذا ما تناولته الصحافة الفرنسية التي بادرت بهجوم إعلامي دعائي سخرت له كل الإمكانيات والوسائل... ولقد وقف الزائرون على النص الكامل لبيان أول نوفمبر الذي حدد مفهوم الثورة والهدف من إندلاعها.

كما وقف أعضاء الجمعية مطولا عند الجهة التي خصصت لحادث إنعقاد مؤتمر الصومام وقدمت له توضيحات حول أسباب إختيار 20 أوت 1956 التي تعود إلى جملة من الأسباب أهمها : أنه في نفس اليوم من عام 1955 لقن جيش التحرير في الشمال القسنطيني فرنسا درسا في البطولة، كما ضبطت في الواجهة أسماء الأعضاء الحاضرين، وكذا الغائبون وما رسمه المؤتمر من أهداف، وما أسفر عنه من نتائج إيجابية إذ هيكل الثورة ونظمها تنظيما محكما بإيجاده قيادة وطنية موحدة ممثلة في المجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق و التنفيذ.

ولقد خصصت إحدى واجهات المعرض لصور ووثائق خاصة بمظاهرات 11 ديسمبر 1960 التي أثبتت للعالم أجمع بأن الجزائر صاحبة السيادة وفيها وقف الشعب الجزائري وقفة رجل واحد يقارع سلاح الجيش الفرنسي وغضب المتطرفين الأوربيين أيضا، مكتسحا شعارات ديغول الذي أراد من خلاله أن يعزز الوجود الفرنسي في الجزائر.

وكنتائج للمظاهرات عرضت صور " قمع الجيش الفرنسي للمتظاهرين في أعالي الجزائر". " الشعب يهتف بحياة الجزائر المستقلة "، " نقاط التفتيش والمراقبة وسط مدينة الجزائر " كما ألحقت بالصور عينة من مقالات صحفية فرنسية حول الحدث.

وهكذا لمس الزائرون من خلال المعرض المسيرة النضالية للشعب الجزائري وصموده إلى أن أرغم العدو للتفاوض والتوقيع على إتفاقية إيفيان التي نصت على وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962 وإجراء الإستفتاء على إستقلال الجزائر في الفاتح جويلية من نفس السنة، ولتنعم الجزائر بالإستقلال والحرية في 05 جويلية 1962.

وتجدر الإشارة إلى أن المعرض لم يهمل دور المرأة إبان الثورة، بل أبرز نضالها ومساعدتها في إسعاف الجرحى والمرضى، كما عرضت مجموعة كتب تناولت الثورة الجزائرية من خلال الأقلام الجزائرية والفرنسية مما يدل دلالة قاطعة على عظمتها وعالميتها.

ثم حل الوفد الزائر بقاعة العرض التي تبث فيها أفلام ثورية وأشرطة وثائقية تاريخية وفق برنامج مسطر يحدده المركز، كما تعقد في هذه القاعة محاضرات وأيام دراسية وملتقيات، بعدها إتجهوا نحو مكتبة المركز التي تتسع لـ 5000 كتاب مساعدة للباحثين وحتى الطلبة في إنجاز بحوثهم الخاصة بتاريخ الجزائر.

وفي نهاية الزيارة سجلنا إنطباعات بعض أعضاء الجمعية التي أجمعت في معظمها على مدى إهتمام الشباب بهذا المولود الجديد وعظمة المهام النبيلة المسندة له.

تقديم : خامس سامية

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة العلماء،
السادة الوزراء،
السادة الأساتذة،

قال أبو حاتم الرازي المتوفي سنة 277 هـ : " **إذا كتبت فقمش، وإذا حدثت ففتش** " . وعندما نرجع إلى طرق البحث المعاصرة نستسمحه لإضافة " **وإذا ألفت فهمش** " . لأن الخائض في علم التاريخ مطالب أكثر من غيره بتقديم الدليل القاطع على صحة ما يورده من معلومات، والإتيان بالحجة الدامغة لتمرير ما يطرحه من أفكار وآراء وما ينشره من قضايا أساسية حول موضوعات قد تتعدد فيها الروايات وتتكاثر الأقلام لقرع أبوابها بحثا عن الحقيقة أو عملا على تغييبها لسبب من الأسباب وما أكثرها كما سنرى فيما بعد .

وإذا كان التاريخ علما في تحريه الحقيقة والعمل على تسليط الأضواء عليها وتقديمها ، كما هي ، فإن الباحث في هذا العلم، مطالب ، إضافة إلى تمكنه من العلوم الموصلة ، بإعطاء قيمة بالغة الأهمية للأصول التي هي صلته الوحيدة بالموضوع المزمع دراسته والتي هي جميع الآثار التي خلفتها عقول السلف أو أيديهم، وإذا ضاعت ضاع التاريخ معها وفقا لنص القاعدة العامة.

وفي أثناء الإهتمام بتلك الأصول وهو مايسميه المؤرخون بمرحلة التقميش، فإن الباحث لا يمكنه إلا أن يستفيد من الإسترشاد بما جاء في

مقدمة المقدمة حيث يؤكد مؤسس علم التاريخ وموجد علم الإجتماع إن الكتابة في التاريخ تحتاج إلى " **مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبيت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط ،لأن الأخبار إذا إعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الإجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق ، وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لإعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها، ولاسبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط.** "

إنطلاقا من هذا التقديم المقتضب واقتناعا بقول موسى بن سعيد الأندلسي:

ما كل ماقيل كما قيل ، فقد باشر الناس الأباطيلا

رحت أقرأ تاريخ الجزائر في جميع مراحله قراءة متأنية فاحصة ، ولكم أدهشني وأفجعني ما وقفت عليه من تخطيط تضليلي تفنن في إحكامه مؤسسو المدرسة الإستعمارية للتاريخ والمشرفون عليها طلية الليل المظلم الذي داهم الجزائر سنة 1830 وظل، إلى يومنا هذا ، يحجب عنها الحقيقة العارية خاصة بالنسبة للعهد العثماني والحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954.

ففيما يخص القرون الثلاثة التي تمثل واحدا من أمجد عصورنا من حيث التعمير والإنشاء وتنظيم المدن وتخطيط شوارعها ومن حيث

الحفاظ على الأمن والإستقرار وتوطيدهما والعناية الفائقة بالعلم والعلماء ، إن الكتابات الإستعمارية قد تمكنت ، بأساليب مختلفة ، من ترسيخها في أذهان الجزائريين أنفسهم ، بما في ذلك الأغلبية الساحقة ممن ينعتون بالمثقفين والسياسين ، على أنها عهد الإحتلال وسيطرة تركية وحكم أجنبي ، ضاربين عرض الحائط التعليل الحقيقي للحدث التاريخي ومغفلين النظام الهيكلي للدولة الإسلامية ومتجاهلين الإنجازات العظيمة التي حققتها البلاد في تلك الفترة والتي يمكن الإستدلال عليها، بكل بساطة ، من خلال المعاهدات السبعين التي أبرمت بين الجزائر وفرنسا فيما بين 1545 و 1830، والتي تتعلق خاصة بما قامت به الأولى نحو الثانية من إنجادات عسكرية بحرية واسعافات مالية وإقتصادية وإستراتيجية ومساعدات غذائية، كما أننا نجد دليلا على عظمة الجزائر، يومها، في ذات الرسائل التي كانت توجه إلى حكامها من طرف ملوك فرنسا وأباطرتها حيث نقرأ في مستهل أغلبها " إلى السيد الأمجد الأعظم الأفخم **Illustre et magnifique seigneur de la ville et du royaume d' Alger** وعلى سبيل المثال نورد فقرة من رسالة نابليون بونابرت إلى مصطفى باشا بتاريخ 1800/07/20

Illustre et Magnifique Seigneur,

" L'Etat de guerre survenu entre la République Française et la Régence d'Alger ne prit point sa source dans les rapports directs des deux Etats.IL est aujourd'hui sans motif " .

" Contraire aux interets des deux peuples , il le fut toujours aux inclinations du gouvernement Français. Persuadé qu'il l'est pareillement aux votres, je n'hésite point à donner au citoyen Dubois - Thaniville l'ordre de se rendre prés de vous avec des pleins pouvoirs pour établir

les relations politiques et commerciales des deux Etats ,sur le même pied ou elles étaient avant la rupture."

"J'ai la confiance que vous fairez à ce négociateur le même accueil que j'aurais fait à celui de vos sujets que vous auriez chargé d'une semblable mission prés de moi."

فبدلا من دراسة المعاهدات وغيرها كثير مما أبرم مع إنكلترا وأمريكا وهولندا وروسيا وإلى آخر القائمة ، وبدلا من معالجة تاريخ هذه الحقبة بالموضوعية التي يستعملونها شعارا لتنويمنا وبالحياد الإيجابي الذي هو مفتاح الباب المؤدية إلى الحقيقة في التاريخ، فإن المؤرخين والقياديين الفرنسيين قد وظفوا كل مالهم من عبقرية لتشوية تاريخ الجزائر وتصويرها - في جميع عصورها - خصوصا في العصر العثماني - بأقبح الصور في الكتب التي تدرس في المكاتب الفرنسية وتدرس - ياللبلية وياللحسرة - لأبنائنا على حد تعبير الإمام الشيخ عبد الحميد ابن باديس في عدد الشهاب الصادر بتاريخ سبتمبر سنة 1947 .

إن المؤرخين والساسة الفرنسيين لم يكتفوا بإهمال الأصول المذكورة والتنكر لمحتوياتها ، بل تجاوزوا ذلك إلى تلفيق الروايات من أجل تثبيت الإلغاء المطلق لوجود الجزائر شعبا ودولة قبل " **الفتح الفرنسي المنقذ من الظلام** ". فهذا GAUTIER يجزم في كتابة " **ما ضي شمال إفريقيا** " ص 9 و10 إن التضاريس تتحكم في التاريخ وهي التي يعود إليها عجز المغرب على تكوين دولة دائمة وعلى التوصل إلى إقامة وحدة سياسية " . **ويرى شارل أندري جوليان في تاريخ شمال إفريقيا** " ص 14 : أن الدولة المغاربية مثل الفقاع : ينبت في ليلة ويتعفن في صبيحة ". وفي مكان آخر يؤكد أن " **إفريقيا الشمالية الفرنسية التي تشمل المغرب والجزائر وتونس ليست لها حالة مدنية دقيقة** " . أما موريس

توراز وادقارفور وشارل ديغول فإنهم لم يخجلوا حتى من كتابات أسلافهم واعترافاتهم وراح كل منهم، بطريقته الخاصة، يرفع صوته عاليا ومدويا يقولون للرأي العام العالمي، في أوقات مختلفة، إن الجزائر لم تكن أبدا أمة ولا دولة في التاريخ " . وتبنت دائرة المعارف العالمية الفرنسية هذه المزاعم التي لاأساس لها من الصحة وكتبت في مادة الجزائر: " **إن هذا الإسم فرنسي ويرجع تاريخه إلى سنة 1841، ومن البداية يطرح السؤال المتعلق بالتاريخ الذي وجدت فيه هذه الأرض الصحراوية بالنسبة لتسعة أعشارها** " .وفيما يتعلق بالحركة الوطنية ، فإن التنزييف لصيق بالحديث عن ميلادها إذ بذل المؤرخون الفرنسيون كل ما في وسعهم لأقناعنا بأن ظهورها يرجع إلى مابعد الحرب الإمبريالية الأولى ثم ربطوا ذلك بحركة الأمير خالد، وهم في ذلك يطبقون على تاريخنا المقاييس المعتمدة في الغرب الإستعماري الذي لا علاقة لواقعه بواقعنا.

إن الموسوعات العلمية في الغرب الإستعماري نفسه تعرف الحركة الوطنية بما ينفي مزاعم المؤرخين الفرنسيين ومن حذا حذوهم من الجزائريين . إنها كما جاء فى الموسوعات : " حركة الأشخاص الذين يدركون ضرورة تكوين مجموعة أساسها الروابط العرقية واللغوية والثقافية وغيرها. وهي تنطلق من إيديولوجية ترمي إلى تمكين الأمة من حق ممارسة سياسة لا تأخذ في الإعتبار سوى قدراتها الخاصة وترفض كل ما من شأنه الحد من حريتها في العمل " . ونحن نعتقد أن هذا التعريف يجعلنا نجزم أن الحركة الوطنية الجزائرية ولدت مع لحظات الغزو الأولى عندما تحركت جحافل الشعب الجزائري وطلائعه تتصدى لقوات الإحتلال بجميع الوسائل والإمكانيات .

إن الأمثلة على تشويه المفاهيم والمصطلحات كثيرة، لكن التزييف لم يقتصر عليها بل امتد إلى الوثيقة نفسها أي إلى الأصل الذي يتحكم في

معالجة الموضوع ، وعلى سبيل المثال فقط نتوقف عند معاهدتي دي ميشال والطافنة .

فالمعاهدة الأولى تحمل إسم الجنرال دي ميشال الذي كان قد جاء بقوة عسكرية هائلة لفك الحصار المضروب على وهران من طرف الجيش المحمدي، ولما يئس من تحقيق ذلك جنح إلى السلم ولجأ إلى كثير من الحيل للتوصل إليه. إن هذه الوثيقة موجودة بين أيدينا في الكتابات الرسمية التي تبنتها الدولة الجزائرية بعد إسترجاع الإستقلال وهي، مع ذلك، وثيقة مزيفة لأنها لاتحمل توقيع الأمير عبد القادر و لم تعرض عليه في شكلها النهائي، بل إن الأمير عبد القادر قد صادق ووقع على المعاهدة المكونة من جزأين مستقلين أحدهما عن الآخر واللذين جاءت صياغتها كالآتي:

أ - جزء مكتوب بلغة ضعيفة وهو من إعداد الجانب الفرنسي ومقبول من قبل الأمير الذي وقع عليه بخطه، وهو مكون من ست نقاط جاءت على النحو التالي:

أولا ، إن العداوة من هذا اليوم ، تبطل بين الفرانسوية والعرب.

ثانيا، إن الفرانسوية تلتزم بتكريم ديانة الإسلام مع عوائدهم.

ثالثا ، إن العرب تلتزم برد الأسرى الفرانساوية.

رابعا ، أن تكون السوق حرة.

خامسا، إن العرب تلتزم برد من يهرب من الفرانساوية إليهم.

سادسا، من أراد السفر في الداخلية من الفرانساوية يجب أن يكون بيده رخصة مختومة من قنصل الأمير ومن قنصل الجنرال.

ب - جزء مكتوب بلغة أرقى وهو من إعداد الأمير عبد القادر وموقع عليه من طرف الجنرال دي مشال قبل تسلمه الجزء الأول، ويتكون هذا الجزء من أربع نقاط فقط جاءت كمايلي:

أولا، يكون للعرب الحرية في أن يبيع ويشتروا كل ما يتعلق بالحرب.

ثانيا، يكون متجر مراسي أرزيو تحت ولاية الأمير، كما كان قبلا، بحيث لايصير شحن شيء إلا منه وأما وهران ومستغانم فلا يرسل لهما سوى البضائع اللازمة لأهلهما.

ثالثا، يلتزم الجنرال بترجيع كل من يهرب إليه من العرب مقيدا ، مع أنه لاتكون له سلطة على المسلمين الذين يحضرون عنده برضاء رؤسائهم.

رابعا، لايمنع مسلم عن الرجوع إلى بيته متى أراد.

وهكذا ، فإن الذي يقرأ الجزأين يلاحظ بكل سهولة أنهما متكاملان، وما الغموض الذي أحيط بمعاهدة دي مشال وكل ما نسج حولها من مزاعم وإدعاءات، سوى أكاذيب من صنع المؤرخين الفرنسيين الذين أرادوا أن يجدوا للسلطات الفرنسية منفذا يخول لها التحلل، بنوع من الشرف، من عهد ضرب باسم الأمة الفرنسية جمعاء وليس نكث العهد أمرا جديدا بالنسبة لحكام فرنسا.

أن المتفق عليه بالنسبة لهذه المعاهدة والذي يمكن استخلاصه من دراسة وبحوث كل المؤرخين هو أنها كانت نتيجة لرغبة الطرفين في إقامة سلم مؤقت، وخلق جو يساعد على التأمل والتخطيط، قبل مواصلة السير بالنسبة للأمير عبد القادر، وعلى كسب الرأي العام في فرنسا وتدعيم وضعه الأستقلالي عن القيادة العليا في الجزائر، بالنسبة **لدي ميشال**.

ولقد عمل من كل الجانبين لتكون بنود المعاهدة لصالحه دون الجانب الآخر. وذلك بالإضافة إلى أن المفاوضات كانت، في أساسها مغشوشة بسبب تدخل اليهود المحتوم، وعملهم على استغلالها للحصول على الإحتكارات التجارية ولتحقيق الفوائد والأرباح الطائلة. ونقول تدخلا محتوما لأن المتفاوضين كانوا في حاجة ماسة إلى من ينقل أفكار هذا لذاك لتبحث وتناقش. وكان مردوخي وبوشناق الوحيدين اللذين

يستطيعان ذلك في المنطقة، خاصة وأن سلك المترجمين الذي كان نابليون قد سهر على تكوينه أثناء حملته المشهورة على مصر قد زال ولم يعد له أثر في أوساط الجيش الفرنسي، كما أن الأمير لم يهتم بهذا الجانب عندما أنشأ حكومته نظرا لتركيز جهوده على الكفاح المسلح.

والمتفق عليه كذلك، هو أن الصحافة الفرنسية في ذلك الحين، قد رحبت بالمعاهدة نيابة عن الرأي العام بمختلف إتجاهاته ومشاربه، واعتبرتها نصرا حققه دي ميشال لصالح الأمة الفرنسية التي لم تكن موافقة على إرسال أبنائها: يموتون، ويعطبون من أجل قضية لاناقة لها فيها ولا جمل، وفي أرض يفصلها عنها كل شيىء.

لكن أعداء دي ميشال ودعاة الإستمرار في إستعمار الجزائر سرعان ما تمكنوا من تحويل ذلك الترحيب وتلك المساندة إلى موجة من السخط والإستنكار، ساعد على نشرها مايلي:

1- أن دي ميشال لم يطلع حكومته على الجزء الثاني من المعاهدة والمتضمن الشروط الجزائرية، بل أكثر من ذلك، فإنه استعطف الأمير وطلب منه أن يتظاهر بتعيين وكيل له في مدينة أرزيو يكون هو الحاكم الحقيقي كما جاء في الشرط الثاني ولكنه يبدو للعموم في نفس وضع الوكلاء الجزائريين بوهران ومستغانم والعاصمة. ولقد تعهد دي ميشال لوزير الخارجية ابن عراش أنه يسهر بنفسه على تسهيل مهمة الوكيل المذكور، ويمنع الجيش الفرنسي من التدخل في شؤونه مهما كانت الظروف.

وحينما استجاب عبد القادر لذلك وعين أحد أعوانه البارزين وكيلا في أرزيو، وبدأ هذا الأخير ينشط وفقا للشرط الثاني كما ذكرنا، استاء التجار الفرنسيون في كل من مستغانم ووهران وأيدهم شركاؤهم وزملاؤهم على الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط.

ورفعت الشكاوي إلى وزارة الحرب التي اعتبرت ذلك تعديا من حكومة الأمير وذلك لأنها لم تكن على علم بشروط عبد القادر التي وقع عليها دي ميشال. وسارت الصحافة في نفس التيار، وتألب الرأي العام الذي اعتبر صمت دي ميشال نوعا من الخيانة لوطنه.

2- إن النص الموحد الذي نقله دي ميشال إلى حكومته كان مزيفا في نقطة أساسية من بنده الأول . ذلك، أن وزارة الحرب الفرنسية كانت أمرت [أن يصرح في المعاهدة عن تبعية الأمير للدولة الفرنسية ، وعن تعيينه بايا بنفس الشروط المعروفة قبل الغزو . ونظرا إلى أن دي ميشال كان متؤكدا من رفض الأمير لذلك، فإنه لم يعرض عليه الفكرة إطلاقا ، وتعمد تزييف النص الذي جاء كالآتي:

إن قائد الجيش الفرنساوي ، المقيم في وهران ، الجنرال دي ميشال، والأمير عبد القادر بن محي الدين اعتمدا واتفقا على مايأتي ذكره من الأمور:

الأول: منذ يوم تحريره يصير ترك الحروب والخصومات بين الفرنساويين والعرب، وكل من الجنرال دى ميشال والامير عبد القادر يجتهد في القاء الألفة بين شعبين اقتضت الإرادة الالهية أن يكونا تحت سلطة واحدة.

ان الجملة الأخيرة تعد نوعا من الاعتراف بخضوع الشعب الجزائرى لفرنسا وهو ما لا يمكن أن يوافق عليه الأمير عبد القادر. وبالفعل فان كتاب تحفة الزائر يوردها، على العكس من ذلك، بكيفية تدل على اعتراف الجنرال دى ميشال، ومن خلاله فرنسا، باستقلال الحكومة الجزائرية. اذ تقول الجملة :

"وكل من الجنرال دى ميشال والأمير عبد القادر يجتهد في القاء الألفة بين شعبين اقتضت الارادة الالهية، الا يكونا تحت سلطة واحدة .

3- ان دى ميشال قد اخفى على حكومته توقيعه على شروط الأمير عبد القادر القاضية باعطاء الاحتكار التجاري لممثلي الحكومة الجزائرية دون غيرهم، وبحصر النشاط التجارى كله في ميناء أرزيو الذى يدخل، وفقا للشروط، تحت ولاية الأمير وحده.

4- ان دى ميشال لم يخف الحقيقة عن حكومته فحسب، بل أنه كتب الى الأمير في شهر ذى الحجة سنة أربعين ومائتين وألف يخبره بأن ملك الفرنسيين **لويس فليب** قد أطلع على جزء من جزأي المعاهدة وصادق عليها. ومن ثمة فإنه لم يعد هناك مايمكن أن يعرقل حسن سير تنفيذ المعاهدة. وعلى الرغم من ذلك الغموض كله، ومن المناورات الدنيئة، والمشاكل والصعوبات، فان معاهدة دى ميشال قد دخلت حيز التنفيذ في الوقت المحدد لها، وحسب الشروط المنصوص عليها في الجزائر.

ومن واجبنا، كباحثين أن نؤكد هنا، ان الجنرال دى ميشال قد بذل كل ما في وسعه لكى يرضى في آن واحد الجانب الجزائرى الذى وعده بالوفاء، ووزارة الحرب الفرنسية التى وعدها بان يكون السلم لصالح الامة الفرنسية .وحينما تكاثرت الضغوط على السلطات الرسمية في فرنسا وفي الجزائر، وجد دى ميشال نفسه المدافع الوحيد عن المعاهدة التى لم يبرمها في الواقع الا باذن وتشجيع من وزير الحرب آنذاك.

أما المعاهدة الثانية فهي معاهدة الطافنة التي لايمكن قبول نصها الموجود بين أيدينا كعمل أصلي وذلك لأسباب عديدة أهمها مايلي:

1- إن الوثيقة العربية المتداولة والمجمع على أنها معاهدة الطافنة حتى إن وزارة الإعلام والثقافة في الجزائر قد تبنتها بدون نقاش ونشرتها ضمن وثائقها الرسمية لتكون واحدا من المصادر الرئيسية في كتابة تاريخ تلك الفترة، إن هذه الوثيقة مزيفة لأنها جاءت مكتوبة على صفحتين كاملتين بلا ختم ولا توقيع، في حين أننا نعرف أن المعاهدة

الحقيقية كتبت باللغتين على الصفحة الواحدة بحيث نقرأ على اليمين نصها العربي وعلى اليسار نصها الفرنسي. ثم إن كلا من الأمير عبد القادر والجنرال بيجو قد وضع ختمه وتوقيعه في نهاية النص المعد بلغته.

2- إن الأمير عبد القادر كان قد خابر بيجو وأعلمه أن المسلمين لايرضون أن يكونوا تحت حكم الأفرنج، ولذلك فمن المستحيل أن يوقع على وثيقة ينص شطرها الأول على الإعتراف " **بحكم سلطنة فرنسا في إفريقيا.**"

3- إن الوثيقة مكتوبة بلغة عامية لايرضى الأمير عبد القادر ونحن نعرف بانه الطويل الباع في مجال العلم والمعرفة، أن تصدر بإسمه ، ولا أن يوقع عليها، خاصة وأنه كان يعلم أنها ستوجه للإطلاع عليها إلى ملك فرنسا وإلى فطاحل العلماء.

4- إن المعاهدة مشتركة ، ومع ذلك فإنها لاتحمل التاريخ الميلادي الموافق للتاريخ الهجري . هذا بالإضافة إلى أنه لم يذكر، في نهاية النص ، أسماء وصفات المتفقين على الشروط.

5- إن الورق المستعمل لكتابة المعاهدة غير رسمي كما أن ذكر الأمير عبد القادر الوارد في مستهل النص بدون صفة أمير المؤمنين وبدون ذكر إسم والده كما تعودنا أن نرى ذلك في كل مكتوب داخلي أوخارجي، يدل دلالة قاطعة على أن الوثيقة التي بين أيدينا ليست هي الأصلية التي صادق عليها الطرفان.

أما عن تاريخنا المعاصر وعن ثورة نوفمبر بالذات فإن عمليات التشويه والتزييف والتحريف فيه قد اتخذت أشكالا وأنواعا متعددة حتى أننا أصبحنا مكتوفي الأيدي أمام كثرة مانشر بلغات متعددة وحسب نظريات مختلفة. وإذاكان من الصعب حصر كل المجالات وكل الموضوعات التي تعرضت للتشويه في هذه العجالة، فإننا لانجد مفرا من ذكر بعض المحاور التي ركز عليها قادة الإستعمار ومؤرخوه

وو ظفوا كل إمكانياتهم الإعلامية والتربوية والثقافية لتعميمها وإضفاء طابع المصداقية عليها.

هكذا ، إذن ، فإن المدرسة الإستعمارية للتاريخ قد إستعملت كل الأساليب لتشويه التاريخ الجزائري وإفراغه من محتوياته الإيجابية وذلك لتتمكن السلطات الفرنسية، في مرحلة أولى، من فصل المجتمع الجزائري عن قاعدته المتينة التي يرتكز عليها والمتمثلة في ثقافتنا الوطنية وماتشتمل عليه من ثروات هائلة هي دروع واقية وأسلحة فتاكة عندما يحين الأوان، ولتتوصل في مرحلة ثانية، إلى فرض حلولها الكثيرة التي من بينها الإندماج المزيف والمسخ والتذويب.

ففي هذا الإطار هدمت الأوابد وأزيلت الآثار ، وضاعت الوثائق الأصلية لتحل محلها كتابات تتماشى مع أفعال وتصرفات المستعمر وتخدم في نفس الوقت، أغراضه وأهدافه.

وفي هذا الإطار أيضا، جرد تاريخنا من أبطاله ومآثره النبيلة الخالدة، مما كان به حافلا من بطولات ومكارم أخلاق، وإسهامات حضارية ومواقف إنسانية تشهد كلها على العظمة والعز والقدرة الفائقة على الأخذ والعطاء اللذين هما مقياس البقاء والخلود.

وبعد هذا وذاك، جاء الاستعمار بالمرحلة الثالثة التي مازلنا نعاني منها إلى يومنا هذا، وتمتاز تلكم المرحلة بظهور من يوصفون ظلما وبهتانا، بالتحرر والتقدمية: مؤرخون ومفكرون من الدرجة الأولى، مافي ذلك شك، ولكنهم غير مجردين من عواطفهم الوطنية فاشرفوا على دراسة العديد من أبناء الجزائر الذين بهرتهم التعابير الرنانة الجوفاء، وخدعتهم المفاهيم السطحية والمصطلحات الشكلية والسلوكات المظهرية إلى درجة أن معلومات الأساتذة صارت قرآنا لايقبل شكا ولا تكذيبا. وأنطلاقا من هذه المعطيات أصبح الجزائريون

يزيفون تاريخهم بأنفسهم أو يحافظون على واقعه المشوه ويعملون ما لا يستطيع المستعمر فعله لإقناع المواطنين البسطاء بموضوعية ذلك الواقع، بل أكثر، لقد إتخذوا من أساتذة الإستعمار أئمة وأغلقوا، بأيديهم أبواب الإجتهاد فلم تعد ذهنياتهم قابلة للثورة على الجمود والرجوع إلى الشك في كل شيء للتوصل إلى الحقيقة الضائعة.

ولأجل ذلك كله، فإن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، بالطريقة التي وجد عليها والرعاية التي يحظى بها خاصة من معالي وزير المجاهدين، إنما يعتبر فتحا مبينا وخطوة ثابتة في الطريق المؤدية إلى تكوين المدرسة الجزائرية للتاريخ ، تلكم المدرسة التي نأمل أن نستقطب جميع الطاقات الوطنية المؤهلة لأعادة كتابة تاريخ الجزائر بعد تخليصه علميا وأكاديميا، من كل ما علق به من تشويه وتحريف وتزييف. وإنها لمهمة شاقة لاتكتفي بصبر الباحثين وإرادة السياسيين ولكنها تتطلب فوق كل شيء وزيادة على الثقة في النفس ، إيمانا صادقا بالمسؤولية وقدرة فائقة على كسر الحواجز الوهمية التى أقامها المستعمر بيننا وبين ماضينا التليد الذي ما أحوجنا إلى توظيف جوانبه الإيجابية والسلبية على حد السواء. وبهذه المناسبة أستسمحكم لحظة واحدة للترحم على روح صديقنا البحاث العلامة مولود قاسم الذي كان قمقوما في نفض الغبار عن شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830.

وفي الختام ، أشكر مرة أخرى مديرية المركز وكافة العاملين به وأتمنى من جديد أن يتواصل هذا الجهد الذي أرى من خلاله نورا هو الذي سيهدي خطانا في طريق إعادة كتابة التاريخ التي يتوقف عليها استرجاع الجزائر سيادتها واستقلالها كاملين .

أراء و إسهامات

مقدمة الباب

تخصص **الرؤية**، باب "**آراء وإسهامات**"، كمنبر لجميع المختصين في حقل التاريخ من أساتذة و مجاهدين و مهتمين، خدمة وإثراء، لمرحلة هامة من تاريخ الجزائر، بغية نشر المعرفة التاريخية، إنطلاقا من المنهج العلمي، والنقاش الهادئ الرصين, دون تعصب، أو قدح أو تجريح.

وترحب "الرؤية" بكل الإسهامات، ذات العلاقة بالموضوع. وتفتح صفحاتها لجميع الآراء، قصد تكاتف الجهود، لإرساء قواعد مدرسة تاريخية جزائرية أصيلة ,متفتحة على المجتمع .

أصول الحركة الوطنية وتطورها

1830 — 1954

د/ بشير خلدون

المدخل:

نسمي حركة وطنية كل تنظيم سياسي أو مسلح كان يهدف إلى تحرير الأرض والإنسان، تحريرا شاملا وطرد المستعمر الدخيل، بغرض الاستقلال وتحقيق السيادة الوطنية.

من هنا فالحديث عن الحركة الوطنية، وتطورها في الجزائر، يعني الحديث عن المقاومات المسلحة والثورات وإنتفاضات والتنظيمات السياسية والدينية التي واجهت وقامت في وجه الإحتلال الفرنسي،بهدف تحرير الوطن وإسترجاع السيادة للأمة الجزائرية.

وهكذا ومن هذه الرؤى، بادر عدد لابأس به من الكتاب والمؤرخين والباحثين إلى تتبع آثار المقاومة والحركة الوطنية وثورة التحرير، وقدموا العديد من الأبحاث والدراسات، نشر بعضها في الصحافة الوطنية والنشريات الدورية، بينما طبع بعضها في شكل كتب ومصنفات وربما مجلدات. هذه الجهود على أهميتها أو علاتها أخدت أشكالا متعددة:

- منها ما هو موضوعي : وهي عبارة عن رسائل جامعية وأطروحات أكاديمية ما يزال معظمها في خزائن المكتبات.
- ومنها ما يجمع بين الموضوعية والذاتية.
- ومنها ماهو محايد جاف لاطعم ولالون له.
- وبعضها الآخر متحامل أو متحايل .

وهـذا الاختـلاف يعـود في الأسـاس إلى الاختـلاف في لغـة التكويـن والدراسـة ، والمرجعيـة الثقافيـة حـول الفهـم الـذي يعطيـه كـل واحـد لمفاهيم ومضامين مصطلح الوطنية.

هـذا الخـلاف حـول مفهـوم البعـد الإصطلاحـي للوطنيـة بأبعـاده الحضارية أو الإيديولوجية سنراه يشكل بإستمرار عائقا في طريق النظرة الشمولية للأمور، وذلك منذ أن وطئت أقدام الفرنسين الجزائر وإلى أن خرجوا منها، وهو ما يزا ل للأسف قائما إلى اليوم، وقد يستمر إذا لم يبادر بإيجاد صيغة واضحة تنطلق من منهجية تكون نابعـة مـن مدرسـة وطنية جزائرية تتميز بأصالتها وبالروح العلمية والموضوعية .

الموضوع:

من هنا تبدو أهمية الكتابة عـن تـاريخ الجزائـر القديـم والحديـث بصفة عامة، وتاريخنا المعاصر بصفة خاصـة، وسيظل موضـوع الدعـوة إلى كتابة تاريخ الحركة الوطنيـة وثـورة التحريـر الوطـني، مطلبـا قائمـا وبإلحاح، تفرضه علينـا معطيـات الحـاضر بواقعـه المتـأزم أكـثر مـن أي وقت آخر، حتى نجنب أجيال ما بعد الاسـتقلال مغبـة الصـراع الـذي بدأت بوادره المخيفة تطفو على الساحة .

إننا كلما تعمقنا في فهم ودراسة تـاريخ المقاومـة والحركـة الوطنيـة وثـورة التحريـر بأبعادهـا العسـكرية والسياسـية والثقافيـة، ومضامينهـا الاجتماعية، كلما تأكدنا من إننا ما نزال نجهل الشئ الكثير عن حقيقة وأسرار وخفايا هذه الفترة الغنية لثورة رائدة، قل ما وجـد لهـا مثيـل في التاريخ المعاصر، و لم تتمكن الدراسات حتى الآن من إعطائها حجمهـا الحقيقي، وبالتالي إنصافها من الخصوم والأعداء والمعقدين تجاهها، ذلك أننا كمفكريـن؛ سياسـيين ومؤرخـين، وقـع بعضنـا في فـخ التجزئـة أو التقسيم والتصنيف، بحكم المكان أوالزمـان أوالتـأثرالذاتي ومـانتج عـن ذلك من إنتماءات فرضتها طروحات الإيديولوجيات.

بعضها كان موجها من طرف المدارس الاستعمارية وبعضها وقع في مطب الولاء للتنظيم الذي ينتمي إليه، وبعضها الآخر لم يستطع أن يتجنب عقدة النقص التي يشعر بها تجاه حكم التاريخ.

وهكذا وجدنا أنفسنا في معظم الحالات ونحن نسعى إلى تأريخ الحركة الوطنية، وجدنا أنفسنا نؤرخ لرجال وشخصيات وزعامات، ساهمت دون شك في صنع الأحداث، وتعلقنا بهذه الشخصيات والزعامات على حساب البعد الشعبي للجزائرالعميقة الذي يختزن هويته الحضارية وشخصيته الوطنية.

ومن هنا وفي تقديرنا فإن الذي كتب عن الحركة الوطنية الجزائرية وثورة التحرير هو شئ قد يكون معتبرا ولكنه مايزال في حاجة ملحة وعاجلة إلى المزيد من الدراسات و الأبحاث من الأقلام الوطنية المثقفة المتخصصة الواعية بخطورة هذا الموضوع وأهميته لكي نعطيها حجمها الحقيقي وطابعها الشعبي الأصيل، وبذلك ننصفها ونعطيها بعدها الوطني، بكل أبعاده الروحية والقومية والحضارية والإنسانية، فالشعب الجزائري طيلة عصوره القديمة والحديثة، كان دائما هو صاحب الحدث، يصنعه ويدفع ثمنه مقابل كل إنتصار أو نكسة، وكان هو الضامن في النهاية لاستمرارية وجودنا، يتحدى ببسالة الغزو وكل أشكال الاحتلال، فلا الرومان رومنوه، ولا الواندال وندلوه، ولا الأسبان أسبنوه، ولا الفرنسيس فرنسوه، وظل جزائريا مسلما محبا لوطنه متمسكا بدينه، مفتخرا بحضارته العربية الإسلامية تواقا للحرية والعدالة الإجتماعية، وقد ظلت أدبياته تصب في هذا الإتجاه. ليحافظ على وجوده من الهزات العنيفة التي كان وما يزال يتعرض لها باستمرار.

لقد شهدت الجزائر منذ أقدم العصور أنواعا عديدة من أشكال الغزو من ، وقاومت بعنف هذا الغزو ، وردت كيده ، لأن الغزاة كانوا في كل مرة يحاولون

احتلال مكان الأمة الجزائرية، ولكن مع الفتح الإسلامي لم تطل مقاومة الجزائريين، لأن الأمر بالنسبة إليهم إختلف هذه المرة، إذ لا يوجد غزو يهدف إلى إحلال أمة أجنبية دخيلة، مكان أمة وطنية أصيلة، وإنما جاءتهم جماعة تحمل رسالة سماوية تدعو إلى دين الله، إلى التوحيد،وتعمل على إقامة نظام يكفل الحرية، والعدالة والمساواة، ويجند الجميع لنشر رسالة سماوية تهدف إلى إسعاد الإنسانية جمعاء، لقد وجدوا في الدين الجديد ماكانوا يسعون إليه، ويكافحون من أجله، فهم إذن أولى الناس باعتناق هذا الدين، وتحمل مسؤولية نشره، والدفاع عنه، وهكذا فشعبنا لم يقبل الإسلام كرها، وإنما عن طواعية وإقناع، وساهموا إلى جانب إخوانهم سكان المنطقة في توطيد أركان الدولة الإسلامية، في ربوع الشمال الإفريقي، بل وفي أوروبا وإفريقيا.

لقد سجل التاريخ ميلاد عدد من الدول في المغرب الأوسط (الجزائر) حكمت باسم الإسلام وفي ظله؛ قدمت وأضافت الشئ الكثير للحضارة العربية الإسلامية وفي جميع المجالات، الفكرية، والعلمية من فلسفة، وعلوم ، وطب، وفلك ورياضيات، وآداب وعلوم شرعية، ولسانية، وحتى في مجال السياسية والشؤون العسكرية مما يحق لكل جزائري أن يفخر ويعتز بهذه الإنجازات الحضارية المعتبرة، والتي في ظلها نشأت وتكونت الدولة الجزائرية الوطنية القوية التى أرسى دعائمها الشعب الجزائري وهو يلتف حول الأخوة بابا عروج وخيرالدين، وذلك في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، والتى تشكلت من خلالها ملامح الشخصية الوطنية والدولية للجزائر بحدودها المعروفة اليوم.

تلك الدولة التى استطاعت أن تثبت وجودها القوي، وسط عالم مضطرب يسوده قانون الغاب والغالب، وأن تقف شوكة في وجه الحملات الصليبية المدعمة من ملوك وقياصرة أوروبا، والمباركة من بابا

روما، و استطاعت أن تتصدى للغـزو الأجنبي وتقضـي علـى أطماعـه ووجوده، بفضل المقاومة المنظمة للشعب الجزائري، التي أعطت الوجود الفعلي للدولة الجزائرية، كحقيقة موجودة مارست بها سيادتها الوطنية على مجموع ترابها الوطني. والمتمثل في حكومتها، و إدارتهـا المركزيـة، وأسطولها البحري القوي، وجهازها الديبلوماسي النشيط، وتعبر عـن إرادتها وسيادتها بكـل إستقلالية، فهـي تعلـن الحـرب، وتوقـع الهدنـة والاتفاقات الدولية بإسمها وحدها،لأن إرتباطها بالخلافة العثمانيـة كـان إرتباطا إسميا ورمزيا فقط ، وكانت الجزائر وإلى غاية سنة 1827 سـيدة البحر الأبيـض المتوسـط. وهـو التـاريخ الـذي تحطـم فيـه معظـم قطـع أسطولنا البحري في معركة نافران المشؤومة، دفاعا عن حياض الخلافـة الإسلامية، وكان ذلك من بـين المكـائد المخططـة لاضعـاف قـوة هـذه الدولة الفتية حتى يسهل احتلالها ومـن ثـم القضـاء عليهـا، لأن وجـود دولة قويـة مثـل الجزائـر في الشـمال الأفريقـي وجنـوب حـوض البحـر المتوسط هو أمر غيرمرغوب فيه بعد أن أصبحـت هـذه الدولـة تشـكل عائقا أمام أطماع الغرب عموما، وأوربا على وجه الخصـوص وبذلـك تهيأت أسباب الغزو والإحتلال، وليس هناك ما يعيقهـا سـوى البحـث عن مبرر مهما كانت تفاهته، فوجدته في حادثة المروحـة المزعومـة مـع الداي حسين, وفي 5 جويليـة مـن عـام 1830 نزلـت قـوات الاحتـلال بسيدي فرج، ثم دخلت مدينة الجزائـر، وأرغمـت الـداي علـى توقيـع معاهدة الإستسلام والاحتلال.

لقد غابت الجزائر الدولة باستسلام دولة الإدارة لكن جزائـر العمـق الشعبي المختزن في أعماق الأمة الجزائرية وضميرهـا لم تستسـلم، فاتحـة بذلك مرحلة جديدة من التصدي والمواجهة تمثلت في المقاومـة الشـعبية ذات النفس الطويل، رمز الإستمرارية، أرضا، وشعبا، وحضارة .

و في خضم هذه الأحداث الجسام, والمعاناة سوف تتحد ملامح الحركة الوطنية بأبعادها القتالية العسكرية , و الدينية و الإجتماعية و هكذا فإننا نعتبر حركة وطنية كل مقاومة رافضة للاحتلال و تعمل بكل ما أتيح لها من وسائل مادية و معنوية على التعبير و العمل الفعلي لمقاومة الوجود الأجنبي المحتل, وتعمل على طرده و تحرير البلاد , و استقلالها و ضمان استمراريتها و هي كاملة السيادة.

و الحركة الوطنية الجزائرية بهذا المفهوم و من هذا المنطلق كانت في واقع أمرها موجودة منذ أقدم العصور حينما واجهت الأمة الجزائرية جميع أشكال الغزو الأجنبي المتعدد الألوان و الأجناس.

و إذا كان الأمر قد اختلف مع الفتح الإسلامي, فلأن الأمة لم تواجه جيشا غازيا أجنبيا كما أسلفنا سابقا , وإنما كان عليها أن تختار بين الوثنية و الشرك و ديانات حرفت , و بين الإيمان و التحرر و المساواة و العدالة, وتحافظ على وجودها أمة متميزة بعقيدتها , وو عائها الحضاري

و في هذا الإطار و التوجه الواضح المعالم بأبعاده الحضارية: الإسلام عقيدة , و العربية لغة ووعاء حضاريا, والجزائر وطنا , في هذا الإطار واجه الفرنسيون بعيد احتلالهم للجزائر ثلاثة أنواع من أشكال المقاومة:

1- مقاومة سياسية سلمية قام بها بعض أعيان العاصمة من العلماء و التجار و الحرفيين. وخير من يمثل هذا الإتجاه المفكر و الأديب حمدان خوجة صاحب كتاب المرآة.

2- مقاومة رفعت لواء شرعية الدولة المتمثلة في إدارة الداي بعد سقوط الإدارة المركزية في الجزائر العاصمة , و كانت دفاعا عن المصالح العامة و الخاصة و في الوقت نفسه جهادا في سبيل الإسلام

وذودا عن القيم والتقاليد والأرض الإسلامية , وخير من يمثل هذا الإتجاه هو الحاج أحمد باي , في الشرق الجزائري.

3- النوع الثالث مقاومة شعبية قام بها مشايخ و رؤساء قبائل تحت راية الجهاد و في السبيل الله لإعلاء كلمته , و دفاعا عن الأرض و الكرامة و الشرف , و بالتالي عن الوطن : أرضا و عقيدة وأمة , وبطل هذا النوع من المقاومة هو الرمز الأمير عبد القادر الجزائري. الذي تحمل مع فئة من أبناء جيله و بيئته مسؤولياته التاريخية بكل حزم و جدية , و عن جدارة و كفاءة, بوضعه أسس و مبادئ المقاومة المسلحة وتنظيم الدولة على أسس حديثة رغم ظروف الحرب المستمرة مع العدو .

وقد ظلت شخصية الأمير عبد القادر رمزا يحتذى يغذي الأمة و يبعث فيها الأمل لمواجهة أساليب الغزو عبرت عنها عشرات الانتفاضات و الثورات المسلحة, والتي غطت القطر بكامله , إذ ما تكاد تخمد ثورة أو إنتفاضة حتى تشتعل أخرى - أكثر من 160 انتفاضة وثورة سجلت فيما بين 1830 و 1916-.

و من باب الوفاء و العرفان لهذه المقاومة الشعبية يجدر بنا أن نذكر على سبيل العرض و التذكير بعضا منها:

- المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر: 1830 - 1847.
- المقاومة بقيادة الحاج أحمد باي: 1830 - 1848.
- الثورة بقيادة ابن ناصر بن شهرة في الوسط و الجنوب الشرقي (وهو ينتمي إلى الطريقة القادرية): 1846 - 1870.
- ثورة واحة الزعاطشة و الزيبان بقيادة الشيخ بوزيان : ...1849.
- ثورة سكان الزواغة و فيرجيوة و البابور : 1849 - 1864.
- الثورة بقيادة الشريف بو بغلة في جبال جرجرة: 1815 - 1857

- الثورة بقيادة لالا فاطمة نسومر: (1851- 1857) و قد قامت هذه المرأة الشابة بدور هام في المقاومة ضد الاحتلال شرف المرأة الجزائرية و أعطاها مكانتها كمقاتلة شجاعة تجود بمهجتها في سبيل الأرض و الشرف و السياسية .

- ثورة أولاد سيدي الشيخ : (1864 - 1884) في كامل الصحراء الجزائرية , و تنتشر أحيانا إلى مناطق أخرى من القطر في الشمال و الشرق و الغرب, و تعتبر هذه الثورة ملحمة حقيقية في تاريخ المقاومة الجزائرية , مثلها في ذلك مثل مقاومة الأمير و أحمد باي .

- الثورة بقيادة محمد بن التومي بوشوشة التي التفت حولها قبائل الشعانبه و التوارق و اتسعت لتعم الجنوب و الجنوب الشرقي 1870 - 1875.

- ثورة الصبايحية وسط الجزائر و شرقها (1875) من بوغار إلى قالمة و الطارف و سوق اهراس و بوحجار.
- الثورة بقيادة محمد المقراني و الشيخ الحداد و بو مرزاق بنواحي سطيف - مسيلة و البرج 1871 - 1872.

-إنتفاضة الشمال القسنطيني (1871) بقيادة الحسين بن أحمد الملقب بمولاي الشقفة.

-ثورة الشيخ بوعمامة (1881 - 1904) سماه بعض المؤرخين عبد القادر الثاني, واشتهر بالمسيرة الطويلة التي قادها نحو التل, مخترقا جميع الحواجز التي وضعتها القوات الفرنسية في طريقه, مما أثار فزعا في الرأي العام الفرنسي, و قلقا كبيرا لدى القوات الغازية و المسطوطن في

الجزائر .وقد استغرقت هذه الثورة أكثر من 20 عاما, وبذلك أعتبرها بعض المؤرخين بأنها أطول مدة في تاريخ الثورات الجزائرية.

وبانتهاء هذه الثورة العظيمة تمكن الجيش الفرنسي من السيطرة الكلية على مقدرات الأمة الجزائرية المنهوكة , التي قدمت خلال هذه الحروب المستمرة تضحيات جساما , في المال و المتاع و الأرواح . وعانت من جبروت و ظلم ووحشية الجيش الفرنسي الصليبي الحاقد مالا يمكن وصفه.

لقد أحرقت مداشر بكاملها , بأهلها و حيواناتها, وصلب الرجال و قطعت الرؤوس , و مثل بالجثث و بقرت بطون الأمهات الحوامل , و أبيدت أعراش بكاملها,ومورست أساليب وحشية عن طريق السلب و النهب و الإعتداءات, لا مثيل لها في تاريخ البشرية, كما شردت عائلات و نفيت و هجرت قسرا إلى مختلف بقاع المعمورة مما هو واقع تحت سيطرة فرنسا الإمبراطورية.

وهذه بعض شهادات الفرنسيين أنفسهم تكشف جانبا من وحشيتهم و مما هو مسموح بنشره أنذاك :

أرسلت إلى الجزائر لجنة برلمانية في سنة 1844 بطلب من وفد كان قد ترأسه المناضل حمدان خوجة لأعداد تقريرعن الوضعية في الجزائر بعد احتلالها ,ومما جاء في هذا التقرير مايلي:

"لقد أضفنا إلى الأملاك العامة المنشآت الدينية , و حجزنا أملاك فئات من السكان سبق أن وعدناهم بالاحترام , و شرعنا في ممارسة قوتنا في أخذ سلفة إجبارية تقدر ب(100) ألف فرنك , لقد استولينا على الأملاك الخاصة بدون تعويض, وأحيانا ذهبنا إلى أبعد من ذلك, فأجبرنا المصابين على دفع ثمن تخريب ديارهم, وشمل هذا حتى المساجد. إننا لم نحترم لا المنشآت الدينية و لا المقابر , لقد قمعنا أناسا

يحملون رخص المرور, وذبحنا لمجرد تهمة جماهير بأكملها ظهر في الأخير إنها بريئة."

وصرح وزير الحرب الفرنسي السيد جيرار بقوله:" لابد من إبادة جميع السكان العرب , إن المجازر و الحرائق و تخريب الفلاحة هي في تقديري الوسائل الوحيدة لتركيز هيمنتنا".

وصرح الجنرال بيجو أمام البرلمان الفرنسي عام 1830 بمايلي:(أينما وجدت المياه الصالحة و الأراضي الخصبة يجب إقامة المعمرين بدون استفسار من أصحاب الأراضي.

وجاء في مقال لسانت أرنو سنة 1842 ما يلي:

" إننا لا نطلق النار إلا قليلا, لأننا نحرق الدواوير و جميع القرى و جميع الملاجئ, لقد خلفت في طريقي حريقا مهولا , جميع القرى حوالي 200 قد أحرقت بكاملها و جميع البساتين خربت و أشجار الزيتون قطعت" *.

والآن و بعد هذا العرض المختصر لأهم الثورات و الانتفاضات العديدة التي حاولت أن تأخذ على عاتقها مسؤولية الدفاع عن الأمة والوطن و حملت راية الجهاد باسم الدين الإسلامي, وبذلت قصارى الجهد , و قدمت أنفس ماتملك فداء للأرض والشرف. ورغم هذه الإستماتة و العطاء في المال والعتاد والأرواح فإنها للأسف لم توفق في تحرير البلاد, ترى لماذا حدث ذلك؟

للإجابة عن هذا السؤال نطرح بدورنا سؤالا قد يتضمن في حد ذاته الإجابة:

ترى ماذا كان سيحصل لوأن القادة الثلاثة الأوائل وهم :

- الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري

* كيف تحررت الجزائر: من 16-17

- حمدان خوجة في عاصمة البلاد
- وأحمد باي في الشرق الجزائري

وحدوا قيادتهم و جمعوا جهودهم و كلمتهم ووحدوا الأمة حول راية الجهاد في سبيل الله والوطن ثم أعلنوا حربهم ضد عدوهم الواحد؟

إن انعدام وحدة القيادة و الرؤية الشاملة للأمور آنذاك و فقدان الطابع الوطني الشامل , كان هو العامل الأساسي وراء فشل هذه الثورات بالرغم من شراستها و إخلاصها لوطنها , وهو الأمر الذي بدأ الجزائريون يدركون أهميته بعد تأكدهم من عدم جدوى هذا النوع من المقاومات المسلحة و البحث عن أسلوب بديل للمقاومة المسلحة , فكان التحول عن طريق العمل السياسي السلمي بالكلمة والحجة, وبذلك تأخذ الحركة الوطنية منعطفا آخر ذا طابع سلمي متأثرا بعدة عوامل داخلية و خارجية , وسوف نتمثلها بصفة خاصة في التنظيمات السياسية ذات النفس الطويل والتي حلت محل أشكال المقاومة الانتفاضات المسلحة, إنها بمثابة هدنة مؤقتة للتأمل و التفكير في أسباب النكسة لاستخلاص العبر و الدروس , و الإهتداء إلى أسلوب يجمع شمل الأمة حول هدف واحد ولا يفرقها.

لقد وضعت المقاومة السلاح , و سيطرت فرنسا على البلاد , و لكن الشعب الجزائري لم يستسلم , نعم لقد أحس بمرارة الانتكاسة و ماأثقلها و لكن لم يقبل أن ينهزم و لذلك بدأ ينظم نفسه في جمعيات و تنظيمات سياسية و ثقافية و دينية مستخدما أسلوب الكلمة لتوعية الأمة و الحفاظ على معنوياتها وإسماع صوتها للرأي العام الوطني و الدولي , عن طريق العمل السياسي و الثقافي و الديني , و هكذا وجد في الهدنة المؤقتة فرصة للتامل و التفكير بوعي و عمق و الاهتداء إلى

الأسلوب الذي يعيد الثقة في النفس و ينشر الوعي في صفوف الأمة بكاملها, و بذلك تأخذ الحركة الوطنية منعطفا آخر تنتقل من خلاله من أسلوب الكفاح المسلح إلى نظام العمل السياسي , لكن هذه المرة سيأخذ أشكالا متعددة الأبعاد و التوجهات والأهداف, متنوعة الوسائل و التسميات, وفي بعض الحالات متباعدة الأهداف أومتعارضة .

فمن الناحية العددية : تجاوزت هذه التنظيمات السياسية العشرين حزبا أوجمعية وهذا منذ البدايات الأولى للاحتلال انطلاقا من لجنة المغاربة التي تشكلت مباشرة بعد اتفاق 5 جويلية 1830 الذي وقعه الداي حسين باسم حكومته مع قائد الحملة الفرنسية " الكونت دوبوربون". وكان قد تزعم هذا التنظيم المفكر السياسي حمدان خوجة صاحب المرآة, وهو عبارة عن تجمع مشكل من أعيان وتجار وعلماء مدينة الجزائر العاصمة مثلما ذكرنا سابقا,ومرورا بجمعية النخبة 1907, والحزب الليبيرالي 1927, والتجمع الفرنسي الإسلامي 1938,والحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر 1924, ووقوفا عند حزب نجم شمال افريقيا مارس 1926, ثم حزب الشعب الجزائري 11 مارس 1937, و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 5 - 5 - 1931, وحركة الشباب الجزائري عبر تنظيماته الطلابية و الشبانية و الكشفية, آخذين بعين الاعتبار النتائج التي تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية , وما صاحبها من تجديد للآمال نتيجة الوعود التي أعطاه الحلفاء للشعوب التي كانت ترزح تحت نيرهم , بعدما جروا الشعوب إلى خوض الحرب الكونية باسم الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان , وانتهاء بالجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات و احترامها 1951.

وهذه التنظيمات من التي ذكرنا و التي لم نذكر هي التنظيمات التي أسسها الجزائريون دفاعا عن أنفسهم لمواجهة الغزو والاحتلال الذي كان يهدف إلى ابتلاع الجزائر ومحو شعبها بكل قيمه الوطنية و الدينية و الحضارية , و من بقي من أهل الدار فهم أهال متوحشون , غير مؤهلين لأن يكونوا شعبا أو كيانا متميزا, وإن المتحضرين منهم يشكلون نخبة ملحقة وبإمكانهم أن يكونوامندمجين في الخليط المكون من الطليان و الإسبان و المالطيين واليهود واللفيف الأجنبي المجهول الهوية والنسب كخليط من الدرجة الثانية مسموح لهم بأن يحظوا بالجنسية الفرنسية.

والحقيقة أنه يجب أن نكون حذرين ونحن نطلق مصطلح الحركات الوطنية على هذه التنظيمات السياسية العديدة , ذلك إنه إذا كان الأمر واضحا بالنسبة للمقاومات المسلحة التي ثارت ضد الغزو الفرنسي بهدف تحرير البلاد وتحقيق استقلاله, فإن الأمر يبدو معقدا بالنسبة للتنظيمات السياسية حتى تدمج في مسيرة الحركة الوطنية , وإن الإجابة سوف تبدو أقل تعقيدا عندما نستعرض مطالب و برامج هذه التنظيمات , وبالنسبة لنا نتفق مع الرأي القائل بوجود ثلاث اتجاهات نشيطة على الأقل هي:

- الإتجاهات الوطنية بإبعادها السياسية و الثقافية.
- الإتجاهات التي تحاول أن تكون وطنية.
- الإتجاهات الإندماجية أو التي تدور في فلكها

وسنقتصر في بحثنا هذا على الحركات التي طورت نضالها إلى المستوى الذي أهلها أن تكون تنظيمات سياسية وطنية أو حركات فكرية و ثقافية وطنية.

ولقائل أن يقول أو يتساءل عن المقاييس التي تجعلنا نحكم على هذا التنظيم أو ذاك بأنه وطني , أو غير وطني ؟ والإجابة في تقديرنا لا تحتاج إلى عناء كبير , لأنه وبكل تلقائية وعفوية نجدها في شعارات و مطالب ,و برامج العمل التي وضعتها هذه التنظيمات نفسها والذي لا يختلف حوله العقلاء فإن الحركات والتنظيمات التي واجهت المشروع الإستعماري الإندماجي ببديل وطني بأبعاده الروحية و الثقافية و السياسية و الجغرافية , و التي طالبت بكل وضوح بالإستقلال الوطني و الإنفصال عن فرنسا الإستعمارية هي دون شك التي تعتبر حركات و تنظيمات وطنية , وما سواها فهي تنظيمات تقترب أحيانا من الخط الوطني وتبتعد عنه أحيانا أخرى , والذي يهمنا في هذا البحث هو تتبع نشأة و تطور الحركات ذات الطابع الوطني دون غيرها و بالتالي تأثيرها في الأعداد للثورة المسلحة , و لنبدأ بحزب نجم شمال افريقيا الذي يعتبر أبا للحركة الوطنية في الجزائر.

1- نجم شمال افريقيا :

تكون حزب نجم شمال افريقيا في مارس 1926 في باريس من مهاجري إفريقيا الشمالية كان اكثرهم من الجزائريين , وأعلن عن الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر رئيسا شرفيا له وكان الأمير خالد قد أسس قبل ذلك الحزب الإصلاحي سنة 1919 كانت تقوم مطالبه في بداية الأمر على المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين , ورفض الاندماج ولاسباب عديدة رفض الإندماج استقل المغاربة التونسيون بأحزابهم و تخلوا عن نضالهم في النجم ليصبح بعدها النجم منظمة جزائرية. كان حزب نجم افريقيا الشمالية يهدف إلى تحقيق الإستقلال التام للجزائر عن فرنسا في إطار الشمال الإفريقي و يظهر ذلك من خلال برنامجه الطموح, و فيما يلي أبرز مطالبه:

- الإستقلال الكامل للجزائر
- جلاء الجيش الفرنسي عن التراب الوطني
- إنشاء جيش وطني
- مصادرة الأملاك الزراعية الكبيرة التي استولى عليها الكولون والشركات الإقطاعية
-إرجاع الأراضي و الغابات التي استولت عليها الدولة الفرنسية إلى الجزائريين
- إلغاء قانون الأهالي
- حرية الصحافة والإجتماع ،والتجمع ، وممارسة الحقوق السياسية و النقابية
- انشاء مجلس وطني جزائري منتخب
- حق الجزائريين في التمتع بجميع أنواع التعليم

وقد كان النجم بهذه الرؤية الشمولية أول حزب يطالب بالإستقلال التام عن فرنسا و إقامة الدولة الجزائرية الحديثة على أساس الفصل بين السلطات الثلاث , و إنشاء جيش وطني , و اتباع سياسة الحياد التام .

ومن الناحية الإدارية و التنظيمية كان النجم مهيكلا في جميع التراب الوطني من القمة إلى القاعدة يقوم على أسس حديثة مرنة سريعة التحرك والنشاط ،وهو ما أهله لأن يكون هو الحزب الوطني الأول الذي يهيكل بهذه الكيفية الفاعلة، فكان بذلك مرجعا أساسيا للتنظيمات الوطنية التي ستظهر فيما بعد.

ونظرا لثورية هذا الحزب و نشاطه ضد الإستعمار، ووضوح مطالبه و جرأته، فقد اعتبرته فرنسا تنظيما خطيرا، وقررت حله في 20 نوفمبر 1939 ، لكن أعيد من جديد تحت اسم جديد هو نجم شمال

إفريقيا الجديد، وذلك سنة 1932. ثم أعيد تحت اسم حزب افريقيا، ثم روح النجم، ثم الإتحاد الوطني لمسلمي شمال افرقيا، والذي استمر إلى غاية 1937 بعد أن تم الإعلان عن ولادة حزب الشعب الجزائري وهوالابن الشرعي للنجم.

2 - حزب الشعب الجزائري (11–20) /1937/03 :

اجتمع أعضاء فرع الجزائر للنجم و أعضاء من اللجنة المركزية ،و أعلنوا تأسيس حزب الشعب في (11–20) مارس 1937 وانتخب مصالي الحاج رئيسا لهذا الحزب الوطني، والحقيقة ان حزب الشعب الجزائري، لا يختلف كثيرا عن النجم إذا لم نرد القول: إنه هو نفسه، وأهم مطالبه المعلنة تتماثل فيما يلي:

-انشاء حكومة وطنية مستقلة عن فرنسا .
-انشاء برلمان جزائري.
-احترام الشعب الجزائري.
-احترام العربية و الإسلام.

وقد تبنى جميع مطالب حزب النجم ،وبرنامج عمله ولكنه كيفها بحسب الظروف والمستجدات .

أنشأ الحزب اول جريدة له بالعربية بعنوان(الشعب) بالإضافة إلى جريدة الأمة التي كانت تصدر بالفرنسية من باريس. و من أهم انجازات حزب الشعب , تنظيم مظاهرة يوم 14 جويلية 1937، رفع فيها العلم الجزائري تمييزا له عن مظاهرة الجبهة الشعبية التي جرت في نفس الوقت.

وفي 27 أوت اعتقلت السلطات الفرنسية قادة الحزب بتهمة القيام بحملة معادية لفرنسا ، و إعادة العمل بحزب منحل، وسجن مصالي

الحاج. لكن الحزب الجديد أخذ يتعاظم في أوساط الشعب ،وأصبح عدد أعضائه عام 1939 يعدون بالآلاف بينما انصاره هم غالبية الأمة الجزائرية .وقبل اندلاع الحرب العالمية الثانية حلت فرنسا حزب الشعب ،و صادرت أمواله و ممتلكاته ،واعتقلت مرة أخرى رئيسه و قادته وأبرز مناضليه ، ومنعت نشاطه ، لكن الحزب ضاعف من أعماله السرية في خضم الحرب العالمية الثانية، وأنشأ إدارة جديدة سرية و قام بدعاية واسعة وسط المواطنين والمجندين من الجزائريين في الجيش الفرنسي، والمناضلين و المساجين عن طريق الرسائل والمناشير والملصقات و الاتصالات المباشرة ، والاجتماعات.

وغداة انتصار الحلفاء على النازية، قام اعضاء من حزب الشعب المنحل و عدد من مناصريه بتنظيم مظاهرات سلمية رفعوا فيها العلم الجزائري،ونادوا بتحرير زعيم الحزب ، واستقلال الجزائر، ورفعوا شعارات عبروا من خلالها عن سخطهم ورفضهم للاستعمار والإضطهاد المسلط على الشعب . فادعى الفرنسيون أنهم اكتشفوا "**مشروع ثورة** " ضد فرنسا وقد كانوا كعادتهم يبحثون عن أي سبب يبررون به جرائمهم الوحشية ضد الشعب الجزائري فوجدوها في هذه المظاهرات السلمية .

وكان قد بدآ الإحتفال الرسمي في 8 ماي 1945 عندما أعلن الحلفاء عن نهاية الحرب ، ونظم الفرنسيون مظاهرة خاصة بهم يتغنون بانتصار الحلفاء على النازية . ونظم الجزائريون من جهتهم مظاهرات تذكر فرنسا والحلفاء بالوعد الذي أعطوه في حق تقرير المصيرللشعوب المستعمرة، لكن النتيجة كانت ثقيلة على الأمة الجزائريةالتي فقدت عشرات الآلاف من المناضلين و المواطنين الأبرياء في العديد من المدن الجزائرية و لا سيما في قالمة , سطيف, و خراطة وعين عبيد.

تحولات الأحزاب وتطورها
بعد مجازر 8 ماي 1945

لقد كان يوم 8 ماي 1945 الحزين بمثابة نقطة تحول ايجابية في تاريخ الحركة الوطنية بصفة عامة و حزب الشعب الجزائري بصفة خاصة . على أساس الفرز و الوضوح.

بالنسبة لحزب الشعب : (شكل في 1946) حركة الانتصار للحريات الديمقراطية و هي عبارة عن امتداد لحزب الشعب تحت اسم جديد , يعتمد أساسا على العمال و الفلاحين و الطبقات الكادحة المحرومة ، و كان يعبر عن المطالب الوطنية للشعب الجزائري و المتمثلة خاصة في:

- إلغاء النظام الإستعماري و إقامة نظام سيادة وطنية.
- إجراء انتخابات عامة من غير تفريق في الجنس أو الدين .
- إقامة جمهورية مستقلة ديمقراطية اجتماعية تتمتع بكامل الصلاحيات التنفيذية و التشريعية و القضائية تلتزم سياستها بالحياد وتعمل على إنشاء إتحاد شمال افريقيا، وتدعم الصلات بالمجموعة العربية والإسلامية.

تكوين المنظمة السرية الخاصة O S :

وأهم انجاز قام به حزب الشعب المنحل من خلال حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية هو ايمانه بالعمل الثوري المسلح لتحرير البلاد وذلك على إثر عمليات التزوير التي قامت بها السلطات الفرنسية للإنتخابات التي جرت في 1946 و على اثر هذا العمل و قبل مجازر 8 ماي اقتنع مناضلو وقادة الحزب بضرورة تكوين جيش سري من مناضلي القاعدة من أجل الإعداد إلى الثورة المسلحة كخيار وحيد لا بديل عنه.

اللجنة الثورية للوحدة و العمل:

في مطلع سنة 54 تفجر الوضع في حزب الشعب (من خلال حزب الإنتصار للحريات الديمقراطية) نتيجة للخلافات وانقسمت قيادته و مناضلوه بين انصار لرئيس الحزب مصالي الحاج و بين انصار للجنة المركزية. فسمي أولئك بالمصاليين , و هؤلاء بالمركزيين، وأمام هذا التمزق الحاد في الحزب و خطورة الوضع قرر مناضلو القاعدة المشكلين للمنظمة الخامسة السرية O S انشاء هيأة توحد المناضلين و تقود الشعب الجزائري بجماهيره العريضة نحو الهدف الأساسي المتمثل في إعلان الثورة المسلحة ضد الوجود الأجنبي من أجل الإستقلال و السيادة الوطنية، وهكذا و في مارس سنة 1954 انشئت اللجنة الثورية للوحدة و العمل التي اخذت على عاتقها اعلان الثورة المسلحة ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 .

تلك الثورة العظيمة التي توجت نضال المقاومة الجهادي، ونضال الحركة الوطنيةالسياسي بتحرير الأرض واسترجاع السيادة الوطنية و الإستقلال إلى الأمة الجزائرية في 4 جويلية 1962 و أعلن عن الإستقلال في 5 جويلية 1962 و هو التاريخ الذي داست فيه قوات الاحتلال أرض الجزائر الطاهرة , و ذلك بعد حرب ضروس قدم خلالها شعبنا أنفس و أعز ما يملك من المال و الأرواح.

دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين انه من باب الإنصاف , و الوفاء لنضال رجال الحركة الإصلاحية في بلادنا و نحن نستعرض تطور الحركة الوطنية أن نشير ولو بإيجاز للدور الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و ناضلت من أجله بقيادة رائدها الشيخ المعلم عبد الحميد بن باديس طيب الله ثراه, ونتبين ذلك من خلال برنامج عملها ووثائقها وشعاراتها التي رفعتها ونادت بها الجمعية و المتمثلة في: الجزائر وطننا -العربية لغتنا و الإسلم ديننا . فالمطلب الأول هو مطلب

سياسي لمواجهة سياسة الضم والتوطين . والمطلب الثاني مطلب ثقافي و تاريخي و حضاري يواجه سياسة الفرنسة والإندماج. و المطلب الثالث هو مطلب عقيدي ديني يواجه سياسة التبشير و التمسيح.

وقد عهدت الجمعية إلى ترجمة هذه الشعارات قولا و عملا من خلال شبكة المدارس و النوادي , و الجرائد و المجلات التي أنشأتها كمؤسسات ثقافية و تربوية، و منبرا تعليميا يرمز إلى استمرارية المشروع الثقافي الجزائري العربي المسلم.

وبفضل هذه الإنجازات المعتبرة بلغت الجمعية رسالتها الوطنية و الحضارية و التي كانت بمثابة الغذاء الروحي للأمة الجزائرية.

لقد كانت جمعية العلماء تعارض بقوة من خلال نشاطها الفكري و الثقافي سياسة الفرنسة والإندماج , وتدعو إلى صالح كيان جزائري مسلم ينفصل في النهاية عن فرنسا , و لعل الذي يراجع و يعيد قراءة نشيد:

شعب الجزائري مسلم * و إلى العروبة ينتسب

سيجد فيه برنامج عمل سياسي و ثقافي , قبل ان يكون مجرد دعوة دينية لذلك نحن نعتبر أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لها مكانة خاصة متميزة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، و من هذه الزاوية فهي جزء منها لا يتجزأ ويصعب على الباحث الموضوعي المنصف أن يجردها من بعضها السياسي الذي يلتقي في نهاية المطاف مع المطلب الأساسي الذي كان حزب النجم ، ومن بعده حزب الشعب ، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، ومن قبل ذلك المقاومة المسلحة ، والمتمثل في استرجاع السيادة الوطنية للأمة الجزائرية.

دعاة الاندماج و المطالبة بالمساواة و بالنسبة للتنظيمات التي كانت تطالب بالاندماج في الكيان الفرنسي، أو المساواة معه في الحقوق و الواجبات، فإننا نجد من أبرز هذه التنظيمات جماعة النخبة و الحزب

الشيوعي الفرنسي في الجزائر, وإنه من الصعوبة بمكان أن يجدا لهما مكانة ضمن منظور الحركة الوطنية.

لقد تاسست جماعة النخبة منذ سنة 1907 وتشكلت من الجزائريين الذين جمعوا بين الثقافة الفرنسية و الثقافة العربية وبخاصة من : المحامين والقضاة والمعلمين والصحافيين والمترجمين والأطباء والصيادلة.

وبرنامج هذه الجماعة لم يكن يهدف إلى تحرير البلاد واستقلالها, وإنما كان كل همه هو مطالبة فرنسا أن تفي بوعدها فيما يتعلق بالاندماج و المساواة وشرطهم الوحيد هو أن لاتطلب منهم فرنسا التخلي عن أحوالهم الشخصية كمسلمين, ولذلك كانوا يطالبون بإلغاء قانون الجنسية لسنة 1865 و الذي نص على: أن الجزائريين لايمكن لهم أن يتمتعوا بامتيازات الجنسية الفرنسية إلا عندما يتخلون عن حالتهم الشخصية كمسلمين, وسوف نجد جماعة النخبة تتخلى تدريجيا عن مطالب الحركة الوطنية وتقبل في نهاية الأمر مشروع بلوم فيوليت، وتلتف حوله لتصبح واحدة من بين التنظيمات الاندماجية، وبعيدة عن مطالب الحركة الوطنية التي كانت تطالب بالاستقلال والانفصال عن فرنسا . وأما بخصوص الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر فإن الفكرة الشيوعية التي حملها في الجزائر كانت مع نهاية الحرب العالمية الأولى وهذا ضمن الأفكار الاشتراكية التي وجدت طريقها إلى عدد كبير من عمالنا المهاجرين. وفي سنة 1924 أسس الحزب الشيوعي الفرنسي فدرالية الحزب في الجزائر، و كان أغلب أعضائها من الفرنسيين الذين كانوا ينظرون إلى القضية الجزائرية كواحدة من القضايا الفرنسية, وليس في إطار مشكل وطني جزائري.

ولعل اهم خدمة قدمها فرع الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر إلى الحركة الوطنية تتمثل في التكتيك الجديد للحزب و المتمثل في معارضته لنظام الحكم الفرنسي، كما أن بعض الجزائريين المتشيعين

وجدوا فيه ملجأ ضد التعسف الناتج عن قانون الأهالي ووحشية القوانين الاستثنائية الموجهة ضد الشعب الجزائري.

وفي سنة 1945 ظهر الحزب الشيوعي الجزائري بكيان مستقل نسبيا عن الحزب الشيوعي الفرنسي وكانت مطالبه لائكية إلحادية بعيدة عن مطالب الحركة الوطنية الأصيلة التي جسدها حزب الشعب في برنامجه السياسي وجمعية العلماء في مشروعها الثقافي الحضاري.

تنظيمات وأحزاب أخرى:

ويبقى علينا من الصعب الحكم على حركة البيان وكتلة المحافظين، والحزب الليبرالي، فيما إذا كانت هذه الحركات وطنية ؟ لأنه لم تتشكل لدينا النظرة التي تحدد الموقف منها , و الموضوعية العلمية تقتضي منا المزيد من الدراسة والتقصي في البحث, فقد كانت مواقف هذه التنظيمات مذبذبة تقترب مرة من الخط الوطني وتبتعد مرات أخرى , و البحث في العلل والأسباب يتطلب دراسة الموقف من جميع جوانبه حتى يكون الحكم موضوعيا ومنصفا.

الخاتمة :

إنه من خلال تتبعنا لتاريخ المقاومة بثوراتها وانتفاضاتها العديدة, والحركة الوطنية بتنظيماتها وتفرعاتها, فإننا نخلص إلى القول : إن المقاومات والانتفاضات التي حملت السلاح وثارت ضد العدو الفرنسي بقصد طرده من البلاد، وكذا الحركات والتنظيمات التي رفضت الاندماج والذوبان في الكيان الأجنبي، وطالبت بالحرية والاستقلال التام والانفصال عن فرنسا في إطار السيادة الوطنية هي وحدها التي نسميها تنظيمات وطنية و نطلق عليها في النهاية اسم

الحركة الوطنية . أما غيرها فهي تنظيمات سياسية أو ثقافية أوربما أخذت طابعا مذهبيا أو طرقيا، ولكنه من الصعب إدراجها ضمن منظور **الحركة الوطنية إذا فسرنا الوطنية بالانفصال عن فرنسا , وإقامة الدولة الوطنية المستقلة ذات السيادة.**

وإنه ليس من المهم أن نتفق أو نختلف في هذا الطرح وفي النظرة إلى هذه القضية التي تبدو صعبة ومعقدة وشائكة ولكن المهم هو استمرار النقاش والبحث والدراسة بقصد الوصول في نهاية الأمر إلى تقارب في الطرح يوحد أو يقرب نظرتنا إلى تأريخنا الوطني بصفة عامة , وتاريخ المقاومة والحركة الوطنية وثورة التحرير بصفة خاصة.

الأمير عبد القادر والتجانية

بقلم الأستاذ
تلمساني بن يوسف

كثيرا ماتستوقفنا كتب التاريخ الفرنسية - على وجه الخصوص - أثناء تطرقها لمقاومة الأمير عبد القادر، عند الصراع الذي وقع بينه وبين محمد الصغير التجاني، تحاول أن تجعل من هذا الموضوع الوجه البارز في فترة المقاومة، والقصد من ذلك هو تشويه الحقائق، عن طريق التركيز على جانب دون الجوانب الأخرى، وهي السمة التي تمتاز بها المدرسة الغربية عند معالجتها لتاريخ الشعوب.

وسنحاول تسليط الضوء على هذا الموضوع قصد إثرائه ولا ننكر أنه يمثل نقطة ضعف في بداية مقاومتنا . تكمن أهمية العلاقة بين الأمير عبد القادر والتجانية (*)، في كونها تمثل أحدى مظاهر هذا الضعف، حيث طغت الحزازة النفسية والنظرة الطرقية بفعل الوشاية على الهدف الأسمى (1).

فكيف لم تنسق وتتكاتف الجهود، وتتوحد الصفوف، سيما في ظرف إشتدت فيه شوكة العدو؟

هذه التساؤلات فسرتها الأقلام الغربية، وأطنبت في الحديث عنها من الوجهة التي تراها مساعدة على تبرير جرائمها الإستعمارية

(*) التجانية : طريقة صوفية نسبة إلى مؤسسها أحمد التجاني، تأسست سنة 1782 بمسقط رأسه عين ماضي (الأغواط)، إنتشرت في عدة جهات من الوطن وخارجه كالمغرب حيث يوجد ضريح أحمد تيجاني بفاس. ولها أتباع كثيرون في إفريقيا الغربية ومصر والجزيرة العربية وأوربا وأمريكا -إلى اليوم ما زالت تنتشر حيث فتحت زاوية مؤخرا بإيطاليا.

وتفاديا لمزالقهم إرتأينا الإعتماد على كل ما من شأنه أن يوضح لنا الرؤية ويكشف عن حقيقة الإختلاف والصراع الذي وقع بين الأشقاء الأمير عبد القادر ومحمد الحبيب التجاني - لا من أجل الإختلاف في حد ذاته وإنما لأخذ العبرة وإثراء الموضوع في إطاره العلمي الموضوعي قدر المستطاع.

هذا الإختلاف الذي أعاق المشروع الذي كان يتوخاه الأمير عبد القادر من وراء عقده لمعاهدة التافنة بتاريخ 30 ماي 1837، والمتمثل في إعطاء نفس جديد للمقاومة الوطنية عن طريق جمع شمل القبائل المتناثرة، تحت رايته خاصة المناطق التي لم تمتد إليها أيدي الإستعمار بعد .

وإنطلاقا من هذه الإعتبارات، تحرك الأمير عبد القادر بجيشه نحو الجهات الشرقية من الإقليم الوهراني، وبعد أن قضى ردحا من الزمن في المدية، إتجه نحو الجنوب داعيا القبائل الصحراوية لمبايعته والإنضمام إلى صفوفه، في الوقت نفسه تبادل الرسائل مع التجاني نظرا لوزن الطريقة التجانية في الصحراء، لكن بدون جدوى (2) فما سبب ذلك ؟ إن محمد الحبيب التجاني لم يكن ينظر إلى الأمير عبد القادر كزعيم وطني بقدر ما كان يرى فيه زعيما للطريقة القادرية يهدف إلى إخضاع الطرق الأخرى، هذه النظرة تكونت لدى محمد الحبيب التجاني، بعد أن غدر أهل سهل غريس بالتجانيين، أثناء ثورتهم ضد العثمانيين في معسكر سنة 1827.

منذ ذاك أصبح التجانيون لا يثقون في أتباع القادرية (**) ولا يحبذون التعاون معهم (صراع طرقي)، وباعتبار والد الأمير عبد القادر

(**)القادرية: طريقة صوفية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني (1077م - 1166م) ببغداد وانتشرت هذه الطريقة في آسيا وإفريقيا وكان والد الأمير مقدما لها في منطقة سهل غريس كما تفرعت عنها طرق أخرى لا سيما في جنوب الصحراء.

كان مقدما للطريقة القادرية، فإن دعوة هذا الأخير كانت محل شك لدى التجانيين، خاصة وإن هذه الدعوة جاءت بعد عقده لمعاهدة التافنة وعلى حساب أحمد باي في الشرق الجزائري (3).

ضف إلى ذلك الإختلاف العقائدي بين الطريقتين التجانية والقادرية يتضح ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها الأمير عبد القادر إلى محمد الحبيب التجاني يتهم فيها التجانية بمخالفة المذهب المالكي المتبع في المغرب ككل، وعليه هددهم بإستعمال القوة إن لم يكفوا عن نشر طريقتهم، كما لا يمكن أن نستبعد العامل النفسي وأثره في هذا النزاع، فكل واحد منهما كان يرى في نفسه أنه جدير بزعامة الموقف، فالأمير يستمد شرعيته من المبايعة في حين ورث محمد الحبيب مقاليد طريقة سبق لها وأن وقفت في وجه ظلم الولاة العثمانيين، ولها أتباع كثيرون(4).

كل هذه العوامل ما كانت لتطفو على السطح وتوقد الصراع بين الأشقاء لولا فعل الوشاية، فبعد عودة الأمير عبد القادر إلى المدية وفدت عليه وفود من الأغواط تعلن له الولاء والطاعة وعلى رأسهم الحاج العربي بن الحاج عيسى الأغواطي شيخ قبيلة الشراقة التي كانت في صراع دائم مع قبيلة الغرابة الموالية للطريقة التجانية، ومن ثم يمكن القول أن الحاج العربي كان يسعى من وراء تقربه إلى الأميرعبد القادر إسترجاع نفوذه في الأغواط على حساب التجانيين الغرابة، وقد نجح في تحقيق مراده بعد أن ولاه الأمير خليفة له على الأغواط، حيث وجد فيه دعما قويا لا زالة التجاني من عين ماضي . وبتولية الحاج العربي الخلافة على الأغواط تعمقت الهوة بين محمد الحبيب التجاني والأمير عبد القادر، نظرا للأخبار المزيفة التي كان ينقلها الحاج العربي عن موقف التجانية، علما أن عدم إمتثال التجانيين للحاج العربي، كان نابعا من الحزازة التي كانت بينهم و بين هذا الأخير

لا بينهم وبين الأمير، ورغم كل ما ذكرناه فإن حدة التوتر لم تبلغ أقصاها بين الأمير والتجاني، والدليل على ذلك أن التجاني قدم للأمير بعض المساعدات المادية لإعانته على الإستعداد لمحاربة فرنسا، منها ما قدمته :

- عائلة الأرباع : مائة وإحدى وثلاثين ناقة وألف دورو ومائتي حمل من (الخرو) وحصان وخادم (5)
- عائلة أولاد زيان، وهي العائلة الثانية في عين ماضي، أخرجت مائة ناقة وألف دورو ورأسين من الغنم ومائة حمل من (الخرو) (6)
- عائلة أولاد سيدي ابراهيم، ستون ناقة(7)
- ويؤثر على محمد الحبيب التجاني أنه أخرج على أهل عين ماضي 12 ألف ريال وفرس وخادمين (8)

والسؤال المطروح، هل هذه المساعدات المقدمة من طرف التجانية كانت بمحض إرادتها أم أنها كانت مرغمة على دفعها ؟ إن وضع التجانية يعطينا تفسيرا واحدا يتمثل في مدى إستعداد أصحاب هذه الطريقة على تجاوز الحزازات التي بينهم وبين الأمير. بالرغم أن هذه المساعدات إقتصرت على الجانب المادي دون البشري.

أما عن رفض محمد الحبيب التجاني مقابلة الأمير والسماح له بدخول عين ماضي، يمكن أن نستشف سببه من خلال رد التجاني على مبعوث الأمير :" ليعلم سيدكم أنني لست ثائرا ولا عدوا لكن صاحب طريقة لا تهتم إلا بالأمور الأخروية، وأريد تفادي كل علاقة مع أمراء الأرض وأؤكد من جديد نوايانا السلمية، لكن إذا أراد السلطان مقابلتي عليه أن يخترق جدران مدينتي ويشق صدور خدمي." (9)

ويفهم من ذلك أن التجاني لم يكن يحبذ التدخل في الأمور السياسية وحرص على ذلك منذ أن إنهزم التجانيون في ثورتهم

على الباي حسن ليتفرغ لخدمة طريقته ونشرها بطرق سلمية كما أوصاه والده من قبل.

أما عن عدم السماح للأمير بدخول عين ماضي فلربما خوفا على مكانته فوجود الأمير بعين ماضي يجعل بدون شك التجاني الرجل الثاني في المنطقة بحكم الأحداث السياسية التي كانت تتصدر الأوضاع أو خوفا من فقدان ثروته التي كان يرى فيها الدعم الأساسي لنشر مبادىء طريقته.

إلآ أن هذا الرفض إستغلته الأطراف المعادية للتجاني وضخمت من حجمه، وعلى رأس هؤلاء الحاج العربي الذي ألح على الأمير بوجوب تأديب وإخضاع عين ماضي عنوة، بل أوهمه بأنه يكفي حضوره الشخصي لتستسلم المدينة، وأن قبائل المنطقة ستكون موالية له (10).

وبعد أن يئس الأمير عبد القادر من التفاهم مع التجاني تقدم بجيشه في 27 ماي 1838 إلى تاقدامت التي كانت تمثل مركزا من مراكزه العسكرية حيث إلتقى برؤساء الفرق التي ستكون طرفا في حملته على عين ماضي (11).

وفي 12 جوان إرتحل الأمير إلى عيون البرانس سالكا الطريق المؤدي إلى عين ماضي، وهناك إلتحقت به قبائل الأحرار التي كانت تضم ألفي شخص والقبلة (12)

ورغم المعارضة التي أبداها أقارب الأمير وكبار جيشه الذين أشعروه بخطورة الحملة، إلا أنه صمم على دخول عين ماضي ولو بالقوة خوفا من أن يفسر تراجعه على أنه ضعف، وربما يؤدي إلى تمرد القبائل وانضمامها إلى التجاني مما يزيد في تقوية شوكته وتعنته.

تضاربت الروايات حول جيش الأمير من حيث العدد والعدة فيذكر مرسيل إيمريت أنه كان يتكون من 2000 مشاة و 300 فارس ومدفع

ولوازم الأكل والملبس محملة فوق 1500 حمل (13)، في حين جاء في تحفة الزائر أن هذا الجيش يتكون من 6000 خيالة و4000 مشاة و 4 قطع من المدافع (14).

ولعل هذا التضارب مرده في نظرنا إلى كون المصدر الثاني قد ذكر العدد الأجمالي بما فيه الإمدادات التي وصلت إلى الأمير أثناء الحصار.

في حين لم يكن جيش التجاني يتجاوز 600 مدافع جلهم من المتطوعين من القبائل الموالية كأولاد سرهايم (الأغواط الغرابة) - تاجموت - تاسكويلة - سيدي بوزيد بالإضافة إلى سكان عين ماضي.

وأثناء السير أرسل الأمير كاتبه ليون روش (المدعو عمر) (15)على رأس عشرين فارسا لإبلاغ التجاني أن الأمير عبد القادر لاينوي من هذه الحملة سوى جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وأنه لايستمر في الرحلة إذا قبل التجاني المجيء لمقابلته (16)، إلا أن التجاني بقي مصرا على رفضه،خاصة بعد الدور الذي لعبه الجاسوس روش.

فعوضا أن يؤدي مهمته كمفاوض يسعى إلى تلطيف الجو بين الأمير والتجاني راح يتباهى بحصانة عين ماضي ويندهش أمام أسوارها حتى يوهم التجاني ويزيده غرورا، قائلا له أن قصره صعب المنال وسيكون قوة رهيبة أمام الأمير .

وفي نفس الوقت حذره من أن الأمير سيحاصر المدينة ولو لمدة عشر سنوات.

ويذكر روش عند زيارته لعين ماضي ومقابلته للتجاني أن هذا الأخير كان حريصا على معرفة قوة فرنسا وعلاقة الأمير بالفرنسيين (17).

ولما إندلع القتال بينهما في شكل مناوشات نشط روش في تقسيم الجيش إلى أربعة أقسام تولى بنفسه الإشراف على فرقة الكراغلة

(***) لعلمه أن عناصر هذه الفرقة الأخيرة تكن الكراهية للأمير عبد القادر، ولأن جل عناصرها من أتباع الطريقة التجانية، فأراد أن يستغلها لإضعاف قوة الأمير حيث فسح لها المجال لتبذير الذخيرة ، فكانوا يطلقون الرصاص في غير موضعه وبأمر منه (18).

كما عمل على رسم خطة للحصار الذي ضرب على عين ماضي (أنظر المخطط في آخر المقال) مستعينا بأحد المجريين **Hongrois** المدعو حسان.

وفي اليوم الثاني من الحصار، إتصل التجاني بالأمير عبد القادر عارضا عليه مبالغ مالية مقابل إنسحابه، إلا أن هذا الأخير رفض العرض وأصر على دخول المدينة حتى يكون ذلك درسا لكل من تسول له نفسه الخروج عن طاعته (19).

ويقول روش في هذا الصدد : " كنا نأمل في القضاء على المحاصرين بمجيء الإمدادات، فلما وصلت علم بها المحاصرون فأرسلوا نداء يعرضون فيه مبالغ مالية ورهائنا، لكن السلطان رفضها".

واستمر الحصار والمناوشات حتى كادت تنفذ ذخيرتهما، وفي 15 نوفمبر 1838 خطط روش بمعية المجري المدعو حسان لنسف أسوار مدينة عين ماضي بحيث نصبا (08) ثمانية ألغام و 120 رطلا من البارود، لكن لحسن الحظ، وصل في اليوم التالي الحاج مصطفى صهر وخليفة الأمير بمعسكر رفقة محمد سعيد شقيق الأمير عبد القادر، اللذان أقلقهما غياب الأمير عبد القادر من جهة وتورطه في نزاع أنهك قوى جيشه من جهة ثانية، فطلبا منه أن يخول لهما أمر التفاوض مع التجاني فسمح وأذن لهما بذلك - مما يبين أن الأمير لم يكن يحبذ

(***) الكراغلة : عنصر من بقايا الجنود العثمانيين الذين كانوا يفدون على هذه البلاد ويتزوجون من بناتها فيدعى أولادهم وأحفادهم بالكراغلة. وإذا كان أغلبهم إنصهر في المجتمع الجزائري فإن القلة القليلة منهم توجد بتلمسان والمدية والعاصمة والبليدة إلى اليوم.

القتال - حيث دخلا المدينة وشرحا للتجاني الأهداف التي يتوخاها الأمير من قدومه إلى عين ماضي، وأن بقاءه في المدينة لن يدوم طويلا (20).

ويذكر قدور بن رويلة في هذا الشأن : " أن الأمير بعث من العلماء والمرابطين معهم صهره وخليفته الحاج مصطفى بن التهامي ... فدخلوها بالإذن من صاحبها وقالو له أن الأمير المجاهد في سبيل الله لم يرد مقاتلتك ولا العتو عليك، وإنما أنت أبيت دخوله عليك، لأن النصاري إذا سمعوا بمقاتلتكما يضحكون عليه وعليك ...

وأراد الدخول إلى المدينة بجيشه ويمكث بها أياما للتعبد والصلاة بمسجدها، وتأمين جيشك وجيشه ثم يذهب لمقاتلة العدو الذي بغى عليه، فرضي التجاني بذلك"...

ونستنتج من ذلك أنه كان بإمكانهما تفادي هذا النزاع من البداية لو تفطنا لفعل الوشايين ومكائد ليون روش الذي كان حريصا على نسف أسوار المدينة.

وعلى إثر اللقاء الأول الذي إنعقد في 17 نوفمبر 1838، بعين ماضي، إلتقى مصطفى بن التهامي من جديد بالتجاني حيث إتفقا على شروط الإستسلام التالية:

1- يدفع التجاني تعويضات للأمير، قدرها " أرنو " بـ 1500 بيجو أي ما يعادل 27000 فرنك (21).

2- إخلاء المدينة في مدة أقصاها 40 يوما، ويذهب " أرنو" إلى 54 يوما، ولعل العدد الثاني هو الأصح باعتبار أن الإتفاق تم في 19 نوفمبر و دخول الأمير إلى عين ماضي كان في 13 جانفي 1839 . أما العدد الأول فربما حدد صاحبه مابين تاريخ رفع الحصار - 02 ديسمبر - وتاريخ دخول الأمير للمدينة.

3 - للتجاني الحق في حمل كل ما يريد، وعلى الأمير أن يوفر له وسائل النقل

4 - بإمكان أهل عين ماضي مرافقة التجاني (22).

5 - رفع الحصار ويتراجع الأمير بثمانية أميال حتى يسمح للتجاني بالترحال.

6 - يرسل التجاني إبنه و12 من أعيان المدينة رهائنا كضمان حتى يتم الإتفاق.

وبمقتضى هذا الإتفاق رفع الأمير الحصار في يوم 02 ديسمبر 1838 وتراجع حتى دوار تاجموت الذي يبعد عن عين ماضي بأكثر من 5 أميال.

وبعد إنقضاء الأجال المحددة أخلى التجاني المدينة في 10 جانفي 1839 ليدخلها الأمير عبد القادر في 14 جانفي من نفس السنة حيث مكث فيها أياما، فقط لإنشغاله بمستجدات الحرب .

وعليه يمكن القول أن ما وقع بين الأمير عبد القادر والتجاني ما هو إلا سوء تفاهم ناجم عن تدخل الوشاة.

نقول هذا بعد أن أطلعنا على الدور الذي لعبه روش ذلك الجاسوس الذي تقمص الإسلام وتسرب إلى جيش الأمير عبد القادر، حيث لم يتردد في مجاهرة الأمير عن تحايله بإعتناق الإسلام بمجرد أن شعر بإندلاع الحرب بين فرنسا والأمير، وإغتنم فرصة توجه الأمير إلى تلمسان ليفر من مركز تاكدامت رفقة المجري حسان ويلتحقا بأبناء جلدتهما في ثكنة وهران (23). وما يدعم صحة ما ذهبنا إليه تلك الرسالة التي عثرنا عليها موقعة بخاتم الأمير عبد القادر، بعث بها إلى التجاني يعترف له فيها بالخطأ الذي وقعا فيه، وهذا نصها الكامل(24).

" الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد إلى السيد محمد الحبيب بن العلامة السيد أحمد التجاني لقد وصلني جوابك الذي لا إفاء بعده وبعد أن عجزت عن الولوج داخل حصنكم وبعد أن أدركت حقيقتكم وعلمت أن ما دار بيننا إنما هو وشاية وتدخل الفتانين بيننا، ولهذا فإني أرجو عفوكم عنا، وهذه هدية متواضعة تصلكم مع إبنكم أحمد عساها تجدد الروابط الأخوية بيننا.
من الفقير إلى مولاه الغاني كثير الذنوب والا وزار عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن المختار عامله الله بلطفه في الدنيا ودار القرار ثلاث وعشرون من ذي القعدة عام أربع وخمسون ومائتين وألف.

والسلام" .

الهوامش

(1) قدور بن رويلة، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي المليانى، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم.ط١، ش،و،ن،ت الجزائر 1986 ص 96.

(2) Marcel,Emerit,L'Algérie à l'époque d'Abdelkader,collection de documents inédits, Paris 1951,P 221

(3) إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط١،ش،و،ن،ت،الجزائر ص 171

(4) نفسه ، ص 171

(5) أحمد بن عاشور الصمغوني، مخطوط خاص، بدون تاريخ، زاوية عين ماضي، ورقة 8.

(6)،(7) ،(8) نفسه.

(9) Léon Roches,Trente deux ans à travers l'Islam Paris 1884, P. 295 Tome I

(10) L.Rinn, Marabouts et Khouan,étude sur l'Islam en Algérie Alger 1884 P. 423

(11) L.Roches.OP.cit.P. 302

(12) Ibid. P.303

(13) M.Emerit.OP.cit . P213

(14) محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ج1،ط 2، دار اليقظة، بيروت 1964، ص 301

(15) ليون روش: ولد في غرونوبل في 28 سبتمبر 1809 من أبوين فرنسيين بدأ دراسته في ثانوية غرونبل و أتمها في تور، نال شهادة الباكالوريا في 1828 كان واسع الطموح ميالا للمغامرة، إنقطع عن الدراسة واتصل بأحد التجار بمدينة مرسيليا، وكان أبوه ألفونس ملحقا بخدمات العتاد العسكري في الجزائر منذ الحملة الفرنسية على الجزائر 30 ونظرا لتعدد مهامه أرسل لإبنه لمساعدته، فوصل ليون إلى الجزائرعام 1832، تعلم اللغة العربية والتحق بالأمير عبد القادر بعد أن أعلن إسلامه، وانتحل إسم عمر فأمن الأمير جانبه وجعله كاتب سر، تخلى عن إسلامه، بعد أن أتم مهمة الجوسسة والتحق بالجيش الفرنسي بوهران في نوفمبر 1839، توفي 1901.

أنظر مناصرية ص 42 أيضا، تلمساني، م . م 1887 معهد التاريخ.

(16) M.Emerit . P213

(17) L.Roches. P 306

(18) مناصرية يوسف، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب (1832-1846) معهد التاريخ، 1881، ص 41

(19) M.Emerit. OP cit 217 •

(20) Arnaud, Siège d'Ain-Madhi, par El hadj A.E.K ben Mohiddine - in- Revue Africaine 8 année N° 48 Novembre 1864 P 434.453

(21) M.Emerit p224

(22) L.Roches, OP.cit P327

(23) Ibid P395

(24) رسالة عثرت عليها في محفوظات الزاوية التجانية بعين ماضي، ولاتزال النسخة الأصلية هناك، وقد سبق لي أن ألحقتها بمذكرة السنة الأولى ماجستير سنة 1986 وهي تحمل ختم الأمير في أعلاها كتب داخله : عبد القادربن محي الدين مؤرخة في 23 ذو القعدة 1254 هـ - 07 فيفري 1839 ويتضح من صدر الرسالة أنها جاءت كرد لرسالة سابقة بعث بها التجاني للأمير بعد مغادرته لعين ماضي يشرح له الأوضاع وخلفية ما وقع بينهما، فرد عليه الأمير بالرسالة التي أدرجنا نصها الكامل في هذا المقال.

أما عن الهدية المذكورة في الرسالة فهي تشمل سيفا وعلمين ولا تزال الهدية محفوظة إلى اليوم بزاوية عين ماضي.

أنظر : تلمساني .م.م 1986 معهد التاريخ.

أيضا : يحي بوعزيز - وثائق جديدة حول محاربة الأمير للشيخ التجاني - في- المجلة التاريخية المغربية العدد -55 - 56- ديسمبر 1989 تونس .

الأعمال الإدارية والسياسية للحاج أحمد باي حاكم الإقليم الشرقي للجزائر

بقلم بوعزة بوضرساية

إن فطنة أحمد باي تعود بالدرجة الأولى الى ماتلقاه من تربية منذ طفولته، وبالتالي كان أولى من غيره في استلام أول منصب بالنسبة له وهو قايد العواسي، حيث أن هذه الوظيفة لا تمنح إلا لأشخاص تتوفر فيهم شروط المسؤولية، باعتباره منصبا سياسيا، الى جانب ذلك فقد إختاره الباي عبد الله أحد أقاربه لهذا المنصب (1). وكان ذلك سنة 1801م، تلك هي السنة التي توصلنا الى تحديدها حسب مقارنتنا للوثائق وهو عام 1783، وهذا خلافا لما جاء ذكره في كتاب عبد الجليل التميمي (2). الذي ذكر أن تاريخ تعيينه كقائد العواسي كان عام 1809م، وكذلك خلافا لما ذكره الدكتور غيون (3). حيث حدد تعيين أحمد باي كقائد العواسي عام 1804م الموافق ل 1220هـ

وبعد إغتيال عبد الله باي، عزل أحمد باي لا تهامه بقتله، وبقي على حالته إلى أن جاء إلى حكم بايلك الشرق نعمان باي الذي عينه مرة ثانية كقائد العواسي. لكن هذا لأخير لقي حتفه، وعين

(1) (A) cherbonneau, (Inscriptions arabes de la province de constantine). In R.S.A.C, ANNEE 1854 - 1855 .P.35
(2) TEMIMI, abdeldjelil, "LE BEYLIK DE CONSTANTINE ET HADJ AHMED BEY" (1830-1837) R.H.M, P.60
(3) GUYON, "VOYAGE. D'ALGER AUX ZIBANS", L'ANCIENNE ZEB, 1847, Alger 1852. p 283

مكانه شاكر باي الذي تزوج من إحدى أقارب أحمد باي، مما سمح له بالبقاء في منصبه لمدة عامين آخرين (1).

كما أن تنقلات أحمد باي إلى المشرق العربي أكسبته خبرة سياسية، فبعد أن زار مكة والمدينة، وأدى فريضة الحج قصد مصر في عهد محمد علي الكبير الذي أنزله منزلة الحكام، فتأثر باصلاحاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية(2).، إلى جانب تعرفه على إبني محمد علي الكبير وهما إبراهيم باشا وطوسون باشا (3).

نظرا للعلاقة الوطيدة بين أحمد باي والداي حسين باشا، فإنه إستطاع أن يحتل مكانة الا بن المدلل.

فكان يناديه بابنه، وبالتالي عندما عاد الى الجزائر، امر الداي حسين باشا من أحمد باي أن المملوك يعينه خليفة له (4).

وهكذا يكون منصب الخليفة ثاني منصب سياسي يتقلده الحاج أحمد باي.

لقد أظهر الحاج أحمد باي في منصبه هذا، كفاءة نادرة في تسيير أمور البايلك خاصة في عهد إبراهيم باي الغربي، الذي حكم قسنطينة مابين 1235هـ - 1236هـ الموافق ل 1820 - 1821م، لكن الخلاف وقع بين إبراهيم باي الغربي وخليفته الحاج أحمد باي، فوصل أمرهما إلى حسين با شا، الذي أمر بعزل

(1) GUYON, OP,CIT., PP.283 -284

(2) A.CHERBONNEAU, OP. CIT, P.35

(3) GUYON, P.284 OP. CIT,

(4) GUYON, IBID

أحمد باي من منصبه لكن خوفه من المكائد والاغتيال دفعه الى مغادرة قسنطينة في اتجاه الجزائر (1).

وعند وصوله مقر حاكم الجزائر طلب الأمان من الداي الذي رحب به ولقد أمر الداي فيما بعد بعزل إبراهيم باي وقتله عام 1235هـ (*)، الموافق لـ 1821م، وذلك بعد أن تعرف على حقيقة الأمر أن الحاج أحمد باي برئ من تهمة الخيانة لصالح باي تونس التى وجهت له. وبالتالي نجح في استمالة الداي والحصول على العفو، حيث أقام بمدينة الجزائر مدة ثلاثة أشهر (2).

وبعد أن قضى هذه المدة في الجزائر العاصمة، بعثه الداي حسين إلى مدينة مليانة، حيث أوصى به خيرا، ومنحه منزلا أنيقا وبعض الأراضي الزراعية، كما خصص له مبلغا معينا من المال ليسد به حاجاته (3). وهذا مالم يأت ذكره في مذكرات الحاج أحمد باي، الملحق رقم 2، لأحمد بوضربة بالتفصيل، و الذي ذكر أن أحمد باي نفي الى مدينة

---

(1) محمد المهدي، بن علي شغيب، ام الحواضر... ص 405

(*)إننا نشك قطعا فيما ذكره الأستاذ عبد الجليل التميمي في كتابه " بايلك قسنطينة والحاج أحمد باي"، ص 60، على أن أحمد باي المملوك هو الذي عين الحاج أحمد باي خليفة له على بايلك الشرق.

(2) محمد العربي، الزبيري، مذكرات أحمد باي... ص 117

(3) GUYON , OP, CIT, P 285

مليانة لمدة عامين ونصف، ثم سمح له بعد مساعي والدته لدى يحي آغا، قائد الجيوش في الايالة، الى الانتقال الى مدينة البليدة، لكنه مادام الحاج أحمد باي قد أثبت براءته الى جانب ما يكنه له الداي حسين من محبة وعطف، وبالتالي احتل مكانة ابنه، كيف له أن يتم نفيه الى مليانة هكذا؟ وبالشكل الذي ذكره بوضربة (1).ونحن من جانبنا نقف عند حقيقة أخرى، وهي أنه فعلا لم ينف أحمد باي إلى مليانة، بل انتقل اليها برضاه، وبموافقة من الداي نفسه، خوفا عليه من الدسائس والمكائد.

بعد ان تم أحمد باي مدته في منطقة مليانة، انتقل الى البليدة حيث عاصر الزلزال الذي حل بها، وهدمها عن تآخرها، وذلك في 12 رجب عام 1240هـ الموافق لـ 2 مارس 1825، وقد حدثت الكارثة في وقت الظهر (2).

وعلى إثر هذه الكارثة الأليمة، استدعاه الداي حسين الى الجزائر ، وأسكنه في إحدى ضواحيها في المنطقة المسماة " حنة القادوس" بحوش " أولاد بابا " (3) وقد وجد في مستقره هذا كل متطلبات الحياة، إذ خصصت له أراض للزراعة، وكذلك غابة للصيد وتربية الخيول. والظاهر أن بوضربة

---

(1) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق ذكره، ص 115 - 116.

(2) لقد احدث زالزال البليدة الذي وقع في 12 رجب 1240 هـ الموافق لـ 2 مارس 1825م، خسائر كبيرة ووصل أثره الى الجزائر، وكان ذلك يوم الأربعاء، إذ هدمت مدينة البليدة عن آخرها، وبقي العديد من سكانها تحت الأنقاض فمن 15 ألف نسمة، مابين حضر ويهود وأهالي، نجى منهم 300 نسمة فقط مابين جريح ومعطوب. وفي تاريخ 7 مارس من نفس السنة، تم انتشال 17 ألف جثة منهم 280 طفل كما وجد عدد كبير من السكان تحت انقاض المساجد حيث كانوا يؤدون الصلاة.

(3) GUYON, OP, CIT, P .285

يكن الكراهية للحاج أحمد باي، ففي مذكراته لم يتطرق الى السبب الجوهري الذي دفع الداي حسين باشا الى تعيين الحاج أحمد باي حاكما على قسنطينة، إنما ربط ذلك التعيين بشخص يحي آغا، الذي إقترح هذا التعيين على الداي حسين، لما له من نفوذ قوى، وكلمته مسموعة لدى الداي حسين، لكنا نرى أن السبب يكمن في قوة شخصية الحاج أحمد باي من جهة، ومن جهة أخرى ما أبداه من استعداد كامل في قيامه بأية مسؤولية توكل إليه، خاصة مشاركته الفعلية، وهو مقيم في منطقة " حنة القادوس" في الحملات التأديبية التى كان يشنها جيش الداي حسين على القبائل الخارجة عن طاعته، ففي مرتين متتاليتين يتمكن من إنقاذ الجيش من الهلاك. في المرةالأولى ضد قبائل بنى مناد، وفي الثانية ضد قبائل بنى جناد (1) وعلى اثر ذلك ذاع صيته، واعترف الداي حسين بقوته وشجاعته، مما دفعه الى تنصيبه بايا على إقليم قسنطينة. وهذا دليل قاطع يبطل ما جاء به أحمد بوضربة، حيث اصطحبه قائد الجيش العثماني يحي آغا إلى مقر حكمه في قسنطينة. وكان ذلك في عام 1242هـ الموافق لـ 1826م، وبالتالي حل محل محمد باي المنملي الذي حكم قسنطينة مدة عامين، وقتل بامر من الداي حسين في عام 1242هـ الموافق لـ 1826م (2).

---

(1) GUYON, OP,CIT, P.286

(2) TEMIMI, abdeldjelil, LE BEYLIK DE CONSTANTINE ET HADJ AHMED BEY (1830 - 1837) TUNIS, P.60

ونظرا لقوة شخصية أحمد باي وحنكته السياسية، إستطاع أن يصل الى مبتغاه وأن يستلم أعلى المناصب السياسية بتعيينه بايا على الاقليم الشرقي من طرف حاكم الجزائر الأول الداي حسين باشا، وبذلك يدخل أحمد باي ميدان المسؤولية الكبرى كرجل دولة، لما أثبته من كفاءة ميدانية على جميع الأصعدة. وقد كانت سنوات حكمه الأولى قبل دخول الفرنسيين الجزائر عام 1830 يسودها العدل والرفاهية والاستقرار، وشهدت قسنطينة آنذاك نهضة كبيرة شملت العديد من الميادين (1). كما استطاع أن يوحد بين القبائل خاصة ذات النفوذ الكبير، مثل قبيلة أخواله بن قانة عرب الصحراء، والمقراني وقبائل فرجيوةوالزواغة، وذلك عن طريق المصاهرة فيما بينها (2) .

ومن جهة اخرى استطاع كذلك ان يضم إلى صفه قبائل أخرى عن طريق مصاهرته لهم مثل زواجه من إبنة باي بومرزاق باي التيطري وابنة الحاج عبد السلام المقراني (3). لقد حكم الحاج أحمد باي قسنطينة طبقا لأحكام العقيدة الاسلامية، وحسب ما أكد عليه القرآن والسنة (4). وهذا الحكم الذي دام قرابة إحدى عشر عاما، ساده الاستقرار والأمن في ربوع الاقليم الشرقي، وعم الرخاء ربوع هذه المنطقة تحت حكم الحاج أحمد باي. وعلى الرغم من أن الحاج أحمد باي أصبح هو الرجل الفعلي على الاقليم الشرقي بعد القضاء على الفوضى التى حدثت أثناء غيابة، ومحاولة الأتراك إقصاءه من الحكم . فقد كان يؤمن بسلطة الباب العالي وولائه له والمتمثلة في السلطان

(1) GUYON, OP. CIT, P .286

(2) EMERIT, marcel, L'ALGERIE A L'EPOQUE D'ABDELKADER, PARIS 1951 P.238

(3) FERAUD, L- CH, (MONOGRAPHIE DU PALAIS DE CONSTANTINE) IN R.S.A.C, PARIS, CHALLANEL 1867, PP.92-93

(4) A TEMIMI, LE BEYLIK DE CONSTANTINE, OP.CIT,P .61

محمود الثاني (1).غير أن هذا الايمان والولاء لم يمنعه من تكوين دولة قائمة على العدالة الاجتماعية والحرية والمساواة حسب ماتمليه عقيدته السمحاء. لذا بادر الى تكوين مجلس شورى يتضمن نخبة من عقلاء البلد وعلمائها كما أنه يضم أكابر موظفي الدولة وشيوخ القبائل، ومن أبرز شخصيات هذا المجلس: مصطفى بن عبد الرحمن القاضي الحنفي، وأحمد العباسي القاضي المالكي، ومصطفى بن العربي ناظر الوقف، وابن عيسى الباش حامبا، والخليفة سي مصطفى، الى جانب الحاج أحمد بن حميد آغا الجيش، ومصطفى بن محمد آغا العسكر، وسي محمد بن جلول الباش كاتب ومحمد بلبجاوي الكاتب الثاني (2).وبتكوينه لهذا المجلس يكون الحاج أحمد باي قد طبق مبدأ الديمقراطية الحقة ذلك لأن اتخاذ القرارات لم يعد من صلاحياته بل من صلاحيات هذا المجلس الذي اصبحت له السلطة المطلقة في التشريع والتنفيذ، وأحمد باي ما هو الا صوت واحد من أصوات هذا المجلس وبالتالي اصبح تسيير شؤون المنطقة من اختصاص المجلس وحده (3).وهكذا أصبح أحمد باي عضوا كأي عضو يشير ويستشير. ونظرا للظروف الصعبة التى كانت تعيشها منطقته، والاخطار المحدقة بها، من ذلك تحرشات الفرنسيين لاستيلائهم على عنابة والقالة، ومن ناحية أخرى تحرشات التونسيين في الاستيلاء على قسنطينة، وذلك محاولة تأليب بعض أعداء الحاج أحمد باي داخل الاقليم ضده من طرف باي تونس، كل ذلك دفع بالحاج أحمد باي الى إحداث

(1)TEMIMI, adbeldjelil, (TROIS LETTRES DE HADJ AHMED BEY DE CONSTANTINE A LA SUBLIME PORTE), IN R.O.M.M , N°3, 1968, p.144

(2)TEMIMI Abdeldjelil, (LE BEYLIK DE CONSTANTINE, OP, CIT, PP-64-65

(3)ESQUER, gabriel, CORRESPONDANCE DU DUC DE ROVIGO, T2, P.192.

مناصب سياسية جديدة منها منصب باشاحامبا أو بالأحرى وزير أول. وقد عين ابن عيسى عليه واصبح الرجل الثاني بعد الحاج احمد باي مباشرة للاقليم (1).وكذلك منصب الخليفة الذي يمنح عادة الى احدى الشخصيات القريبة جدا من الحاج أحمد باي علما أن هذا المنصب لم يحدثه أحمد باي بل كان موجودا من قبل-، لذا أوكل هذا المنصب الى أحد أقاربه وهو مصطفى بلهوان، كما قام بتحديد منصب قائد العواسي الذي عين فيه ابن عمه الحاج حسن، ونظرا لأهمية هذا المنصب، فانه بعد وفاة ابن عمه عام 1835م، عين أبنه محمد مكانه وهو لم يتجاوز الخامسة عشر سنة من عمره (2). يضاف الى هذه المناصب، منصب قايد الدار، وقد عين عليه الشيخ بلبجاوي، وأصبح تحت تصرفه العديد من أمور العاصمة قسنطينة منها مراقبة الحرفيين، والمحاسبة العسكرية، الى جانب إدارة القصر والاشراف على الشرطة، وبيت المال (3). أما بالنسبة لمنصب قايد العشر، فقد عين عليه ابن دالي بالنسبة للناحية الشرقية للاقليم، ومسعود القبايلي على الناحية الغربية منه، إذ كان دورهما مراقبة انتاج المحاصيل الزراعية لضبط مبلغ العشر الذي يدفع الى بيت المال، ويكون حسب الانتاج بالنسبة للقبائل، وذلك طبقا للظروف المناخية (4) كذلك منصب كاتب السر أو الباش كاتب فقد تداول عليه بعض العلماء نظرا لما يكتسبه من أهمية كالإطلاع على الاخبار الهامة والمراسلات مع داي الجزائر والباب العالي. يضاف الى ذلك استعمال الختم الخاص للحاج أحمد باي، (5)

(1)VAYSSETTE (E), HISTOIRE DE CONSTANTINE SOUS LA DOMMATION TURQUE 1517 A 1837, CHALLAEL, 1869,PP.118-199

(2) TEMIMI abdedjelil, LE BEYLIK.... OP.CIT,P.68

(3)A.M. GH 226 , Rapport de Rousseau, OP,CIT, P.73

(4) Ibid

(5) A.M.G, H 226, OP, CIT, P.33

وهذا ما يوحي الى الثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم والتي لا يشوبها أدنى زيغ أو غش. كذلك بالنسبة لمنصب آغا الجيش، فقد عين عليه الحاج أحمد بن حميد الذي أثبت كفاءته القتالية في العديد من المرات. أما منصب آغا العسكر، فقد وكل مهمته لمصطفى بن محمد (1). وبالنسبة لمنصب ناظر الوقف، او وكيل الحبوس، فقد عين عليه مصطفى بن العربي، الذي إقتصر دوره على تسجيل المصاريف والمداخيل المتعلقة بممتلكات البايلك(2) يضاف إلى هذه المناصب الهامة بعض المناصب التى يمكن اعتبارها ثانوية، منها الباش مكحالجي قائد حرس الباي الخاص، وقد كلف بهذه المهمة القائد مرزوق الذي يثق فيه الحاج احمد كثيرا وكذلك الباش سراج هذا المنصب الذي كان من نصيب الشيخ مسعود بن براهيم، وكذلك قائد المقصورة وهو مقتصد القصر، وكذلك منصب باش فراش، وهو رئيس الفراشين في القصر كذلك، وقائد الدريبة المكلف بالشرطة الخاصة بالقصر والمتكونة من العبيد وأيضا شاوش الباي وقائد القصبة (3). لم يكتف أحمد باي بالاصلاحات الادارية فقط، انما قام باصلاحات في ميادين شتى، فقد دفع بعجلة التجارة الى الامام وذلك على ضوء قرار مجلس الديوان بضرب النقود، وبالتالي أصبح الاقليم الشرقي يتمتع بحرية اقتصادية كاملة(4)، الى جانب ذلك، فقد استطاع الحاج أحمد باي أن يضع علما لدولته يرمز الى الجهاد والقوة، فكان أحمر اللون يتوسطه سيف

(1) TEMIMI (a), LE BEYLIK....., OP.CIT, P.69
(2) A.M.G, H 226, OP, CIT, P.68
(3) TEMIMI, abdedjelil, LE BEYLIK.....,OP,CIT, P.70
(4) A.M.G, H 226, OP.CIT, P.199

علي رضي الله عنه، وهو السيف الملقب بذو الفقار. وقد نصبه على القصر وعلى وكل الثكنات وكل المرافق ذات الطابع الحكومي (1). هذا النظام المحكم والرزين هو الذي أثبت قوته، وفرض وجوده كرجل دولة لها كيانها السياسي. فقد أرغم فرنسا أكثر من مرة على التفاوض معه الند للند (2). أجبر بايات تونس على الاعتراف به كحاكم فعلي للاقليم الشرقي بعد أن بدد أحلامهم في الإستيلاء على قسنطينة (3).

كما كانت تربطه علاقة متينة مع القوى الداخلية المتمثلة في شيوخ القبائل، ليس بالنسبة لاقليم قسنطينة فحسب، بل بالنسبة للعديد من مناطق، إذ كان أساس هذه العلاقة يقوم على حث الحاج أحمد باي على توحيد الصفوف ضد العدو الاجنبي الكافر. وقد وصلت وفوده الى العديد من مناطق مثل بجاية والمدية والبليدة، لاعلان الجهاد ضد

(1) ESQUER(g), ICONOGRAPHIE HISTORIQUE DE L'ALGERIE DEPUIS LE XVI SIECLE JUSQU'A 1870, paris 1929, PP.76-77

(2) منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر، كانت أولى ملاحظاتهم حتمية استدراج الحاج أحمد باي الى صفوفهم ومحاولة إغرائه بأي ثمن للتخلي على مقاومته لهم، إذ جاء في الرسالة المؤرخة يوم 1 فبراير عام 1830 والموجهة الى السيد وزير الحربية، الملف 14 -1A.O.M H 2، أنه لا بد من مراقبة قسنطينة، لأنها اقوى معاقل مملكة الجزائر. وفي هذا الصدد وجوب بعث مترجم عربي من طرف محمد علي، قصد التفاوض مع الحاج أحمد باي، لأن هذا الأخير كانت تربطه صداقة حميمة مع طوسون باشا ابن محمد علي الكبير وكمرحلة ثانية، رفض الحاج أحمد باي المفاوضات بينه وبين فرنسا حول احتلالها لعنابة عام 1831، لأنه يعتبرها جزءاً لا يتجزء من دولته، الى جانب هذا، فان حمدان خوجة كان له دور بارز في المفاوضات، وفي كل مرة تبرز قوة الحاج باي بالرفض القاطع لهذه المبادرات.

انظر مراسلات الحاج أحمد باي مع حمدان خوجة في 24 أوت 1834 A.O.M, 1H2 وكذلك مارسيل امريت، المذكرات، ص 81 وايضا/

-ESQUER (g), CORRESPONDANCES OP.CIT.P.195

(3) TEMIMI(a)LE BEYLIK DE CONSTANTINE OP.CIT,P.81

الكفاروالموالين لهم (1). وهذا الموقف الشجاع هو الذي اكسبه ثقة شيوخ القبائل قاطبة وانضموا اليه، فزادوا من قوته وعزيمته على دحر محاولات الفرنسيين رغم ما أوتوا من قوة.

أما علاقة الحاج أحمد باي بالباب العالي، فقد تجلت في مراسلاته مع السلطة العثمانية في اطار الاعتراف بها كحامية لحمى المسلمين بديار الجزائر، وكوسيلة فعلية ووحيدة على المسلمين بالمنطقة (2) على الرغم مما كانت تعانيه الدولة العثمانية من أوضاع مزرية جعلتها عرضة لاطماع الدول العظمى. ولم تنج حتى من ولاتها، كمحاولة محمد علي باشا والي مصر الاستيلاء على العاصمة اسطنبول.

وأمام هذه الأوضاع ظهرت الدبلوماسية البريطانية، باعتبارها العدو والصديق في آن واحد لفرنسا، مما اضطر الحاج أحمد باي الى ايجادعلاقات بينه وبينها، حتى يتمكن من كسب قوة أجنبية الى جانبه، مقابل حصول هذه الأخيرة على إمتيازات إقتصادية، وعلى الأخص الموانى العامة كعنابة والقالة، التى تزخم بالمرجان، وهذه الأمور لم تكن تخفى على فكر أحمد باي، وعلى هذا الأساس، وامام الضرورة الملحة، بدأت المراسلات بين مجلس لبايلك الشرق وبريطانيا تمثلت في إرسال عريضة الى البرلمان الأنكليزي عن طريق قنصل بريطانيا السير طوماس ريدSir THomas READE، المقيم بتونس وذلك بتاريخ 17جانفي 1834

---

(1) ESQUER (g), CORRESPONDANCE DU GENERAL VOIROL, P 100. في 1844 جوان 15 تتضمن هذه الرسالة تقرير الجنرال فوارول الى وزير الحربية،

(2) دفتر الخط همايون، العدد 47971، رسالة من الحاج أحمد باي الى السلطان العثماني محمود الثاني بتاريخ 1251هـ/1835 -1836م وكذلك رسالة أخرى من الحاج أحمد باي الى الصدر الأعظم العثماني بتاريخ 1251هـ/1835 -1836م. أنظر أصل الرسالتين في الملحق.

وقد شملت هذه العريضة أسماء العديد من الشخصيات القسنطينية الكبيرة، من شيوخ قبائل وعلماء وفقهاء وأكابر الدولة (1).

وقد تضمن محتوى العريضة، انتهاك الفرنسيين لحقوق الشعب الجزائري، وما يمكن لانكلترا أن تلعبه من دور هام في مواجهة فرنسا وتقديم مساعدتها لحكومة قسنطينة ممثلة في شخص الحاج أحمد باي (2).

وعلى الارجح أن تكون هناك علاقات دبلوماسية مع دول أخرى أجنبية مثل إيطاليا، ومن المحتمل أن يكون قد مهد لها بعض الشخصيات التجارية أمثال أسيفانو الذي كان يحضر لوازم بناء قصر الباي أحمد من بلده إيطاليا.

وانطلاقا من هذا المنحنى السياسي، فإن الحاج أحمد باي، الشخصية الفذة، عملت على استمرارية الدولة الجزائرية، وما مشاركته في دحر قوى الاحتلال الفرنسي كرمز من رموز الدولة الجزائرية الذي جسدته على أرض الواقع مبايعته أعيان قسنطينة وسكانها له كحاكم فعلى لدليل قاطع على قدرته وكفاءته في تسيير الدولة الجزائرية، لوكانت الظروف مواتية، لأن هذه الشخصية عملت من ناحية أخرى على تجسيد الوحدة الترابية للدولة الجزائرية.

وبالتالي، فإن تعاونه مع الدولة العثمانية لم يكن من باب الخضوع التام لها، او كتابع من اتباعها، انما كانت علاقته بالباب العالي في اطار تبعية مشروطة تدخل ضمن خطة تاكتيكية، كان قد وضعها الحاج أحمد باي قصد طلب المساعدة العسكرية العثمانية للدفاع عن وحدة التراب الجزائري، لأن الفترة التى كان يعيشهاالباي، هي التي فرضت

(1) أنظر العريضة الموجهة من طرف مجلس الحاج أحمد باي بتاريخ 17 جانفي

(2) IBID F.O,77/25،1834

عليه حتمية التعاون مع دولة تملك حق الدفاع عن الاسلام والمسلمين في أي أرض تدين بهذه العقيدة، وبالتالي فإن الطابع الذي طغى على سياسته تجاه الدولة العثمانية، هو التعامل المبدئي في إطار الأخوة الاسلامية، وعلى أساس أنه حاكم فعلي وشرعي للجزائر، وهذا ما أدى الى حمله لقب باشا (1).

(1)الملاحظ أن الرسائل التى كان يبعثها الحاج أحمد باي الى الباب العالي،والى القادة الفرنسيين، وكذلك الأعيان وشيوخ القبائل تحمل إسم وإمضاء الباشا، وهذا مايفسر شرعية حكمه وادراته للجزائر.

ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية *

بقلم الغالي غربي

شهدت الصحراء الجزائرية أحداثا و ملاحما بطولية ما زالت شواهدها و معالمها بارزة للعيان, تذكر الأجيال بعظمة الشعب الجزائري وتضحياته. إلا ان الكثير من هذه الأحداث و الملاحم التاريخية لا يزال يلفها النسيان و يكتنفها الغموض و ربما حتى الإهمال. و لعل مرد ذلك إهتمام مؤرخينا بتاريخ مناطق دون أخرى لقلة المصادر التاريخية التي تساعد الباحثين في هذا المجال, أو لبعد هذه المناطق عن مراكز البحث و ضعف الوسائل المادية المسخرة لذلك.

و من جملة هذه الأحداث تلك المقاومة الباسلة و المشرفة التي خاضها سكان الجنوب الشرقي للصحراء الجزائرية في مواجهة الغزو الإستعماري لهذه المنطقة مع نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين, و التي شاركت فيها معظم قبائل و عشائر التوارق تحت قيادة زعمائها "و أمناء عقالها "(1).و هي المقاومة التي كلفت فرنسا تجنيد كامل قواتها المادية و البشرية المرابطة في الشمال الصحراوي للقضاء عليها لتأمين كامل سيطرتها على الصحراء الجزائرية , التي

(1) من الشواهد الدالة على وطنية قبائل التوارق و إيمانهم بجدية مقاومة المحتل الأجنبي , نقتطف إعتراف أحد جنرالات فرنسا و هو "Meynier" الذي يقول في الصفحة (282).

"... Dans les nombreux campements Touareg qui furent rencontres il n y avait plus que des femmes ; la plus part des hommes avaient rejoint les rebelles ...."

La guerre sainte des snoussya dans L Afrique Francaise 1915-1918 in R.A.1939, P.P(227-275),(323-357).

بدأت تتطلع إليها عدة قوى أوربية منافسة لفرنسا و سوف نستعرض في مقالنا هذا لهذه المقاومة, و لكن ليس بالإستفاضة و التوسع الذي يمكننا من توضيح كل خفايا هذا الموضوع بجزئياته و كلياته . إذ نركز فقط على شخصية نضالية كان لها الدور الريادي في تطور المسار التاريخي لهذه المقاومة و هو "شيخ آمود" .وحجتنا في ذلك أن المادة التاريخية التي هي بين أيدينا شحيحة و لا تفي بالحاجة . فرغم أن المدرسة الفرنسية أولت إهتماما كبيرا لموضوع الصحراء الجزائرية بهدف معرفة إمكانيتها الإقتصادية و البشرية و تضاريسها الجغرافية و الطبيعية , و دراسة المجتمع الترقي بعاداته و تقاليده و ثقافته , إلا أن هذه المدرسة أهملت عن قصد كل ما يتعلق بمواقف هذا الأخير من الوجود الفرنسي, اللهم إلا بعض الإشارات الواردة في تقارير و مذكرات و برقيات الذين تولوا مهمات عسكرية و قيادية في الصحراء , لهذا فإن أغلب المعلومات التاريخية الواردة في هذا البحث, إستقيناها إعتمادا على الرواية المحلية من خلال شهادات أشخاص عايشوا الأحداث الأخيرة من هذه المقاومة . و يجدر بنا في الحقيقة التأكيد على اهمية هذه المقاومة و ضرورة إعطائها مكانتها الطبيعية في التاريخ الوطني.

خصائص المقاومة الترقية :

تميزت المقاومة الشعبية للتوارق بعدة خصائص ميزتها عن مثيلاتها التي شهدتها الجزائر في الحقبة الإستعمارية, يمكن إيجازها فيما يلي:

أ)- كبر المساحة الجغرافية التي غطتها المقاومة : إذ إمتدت من مدينة "غات" (تقع على الحدود الليبية - الجزائرية) شرقا, إلى مدينة "تمنراست" غربا بما فيها منطقتي طاسيلي أزجر و الهوقار, و من مدينة "ورقلة" شمالا إلى حدود"النيجر" جنوبا (1).

(1) انظر الخريطة الملحقة بالمقال.

ب)- المساهمة الواسعة و التأييد الشعبي الذي وجدته المقاومة من كل قبائل و فصائل التوارق القاطنين ضمن هذه الرقعة الجغرافية . فقد شاركت فيها قبيلة (كل غلا) التي ينتمي إليها الثائر"أهتيغال" و قبيلة "إيمانان" التي ينتمي إليها الثائر"الشيخ آمود" و هو موضوع بحثنا . بالإضافة إلى قبائل "كل طايتوك" ,"إيفوغاس نهقار" ,"تدجاح ملات","إرقاناتن","إيهضانارن". و لا يخفى على أحد مدى قوة شكيمة هذه القبائل و سرعة تكيفها مع الظروف المناخية و الطبيعية, لهذا إستحال على القوات الفرنسية الغازية الغربية عن ظروف الصحراء إخمادها أو القضاء عليها بسهولة.

ج)- البعد الدولي الذي كسبته المقاومة, باعتبار ان المنطقة التي إجتاحتها كانت مطمع عدة قوى دولية أنذاك مثل بريطانيا, فرنسا, إيطاليا, ألمانيا في مقابل الدولة العثمانية التي كانت تتحكم في إقليم طرابلس و برقة الليبيين و تعتبر الجزء الشرقي من الصحراء الجزائرية ما زال تحت سيادتها , و في هذا الإطار برزت مشكلة مدينة "جانت" للوجود, و أصبحت من أشهر المصطلحات السياسية المتداولة في ميدان العلاقات الدبلوماسية و بالخصوص بين العثمانيين و الفرنسيين, إذ راح كل طرف يطالب بأحقيته في السيطرة على المنطقة و كان كل من القائدين "أهتيغال" و "الشيخ آمود" من المؤيدين للمطالب العثمانية (1).

د)- الدور الإيجابي الذي قامت به الطريقة السنوسية في دعم و

(1) عن قضية "جانت" و الصراع الدولي حولها أنظر عبد الرحمان تشايجي: الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى , ترجمة علي أعزازي , طرابلس , 1982.
- Marchand (H),"Les pretentions Turques en Afrique", in . Q. dipl.et.col.annee1910.
- Cartier (M),"Les Turcs en Afrique centrale, la frontiere Franco-Tripolitaine", in . Afrique Francaise n 21. Annee 1911.

مساندة المقاومة الشعبية و رموزها بمدهم بالمؤن و العتاد. و قد تضمنت التقارير الفرنسية و بعض كتب الرحالة الفرنسيين والأوروبيين عامة الكثير من المعلومات التي توضح هذا التحالف و التعاون و التضامن, و تذكر طبيعة العلاقة بين التوارق و زعماء الطريقة السنوسية .

و نستشف من قراءة هذه التقارير و المذكرات أن الطريقة السنوسية لعبت دورا أساسيا في استنهاض الهمم في المنطقة, و الدعوة إلى رفض كل وجود اجنبي و ذلك بواسطة زاويتها في مدينة "جانت" و مبعوثيها إلى مختلف المناطق .

و يمكن تفسير طبيعة العلاقة بين الطرفين , بقرب منطقة المقاومة من الحدود الليبية و تأثر زعماء المقاومة من الجزائريين بصدى الحرب الإيطالية – الليبية منذ سنة 1911 و مساهمتهم فيها (1)، زيادة على انتشار أفكار الجامعة الإسلامية التي وصلت إلى المنطقة عن طريق القوافل التجارية و بواسطة الحجاج (2)

---

(1) عن المساهمة الجزائرية في حرب الأشقاء الليبيين ضد الغزو الإيطالي , علينا أن نشير إلى الدور البطولي الذي لعبه الأمير علي باشا ابن الأمير عبد القادر. وابنه وانتقاله من سورية إلى ليبيا لمحاربة الإيطاليين . حول هذا الموضوع راجع, جورج ريمون "Georges" Remon و كتابه "من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا . ترجمة عبد الكريم الواقي . ليبيا 1983. ص222 - 233.

(2) يظهر ذلك في رسالة أرسلها "اهتيغال" إلى حاكم أغدامس يوضح له فيها إرتباطه الراسخ بالخليفة واستعداده التام للدفاع عن مصالح المسلمين . و ردت هذه الرسالة ضمن مجموعة من الرسائل التي أوردها بارنارد - م -.

- Bernard,(M), Deuxieme mission Flatters , Historique et Rapport. Rediges au service central des affaires indigenes. Alger , A.Jordan. 1882. P. P (156 - 157).

بدايات المقاومة الشعبية:

انطلقت المقاومة الشعبية للتوارق في ظروف دولية تميزت بشدة التطاحن و التنافس الدوليين لإقتسام القارة الإفريقية بين القوى الإستعمارية الأوربية خاصة بين بريطانيا و فرنسا و إيطاليا و ألمانيا التي دخلت حلبة الصراع متأخرة نوعا ما .

و يمكن أن نذهب الى القول أن هذه المقاومة تجسدت في ثورة شعبية عارمة ضد هذه الهجمة الإستعمارية الشرسة التي عرفها العالم العربي و الإسلامي عامة و الصحراء الإفريقية خصوصا.

مع مطلع الخمسينات من القرن التاسع عشر كثفت فرنسا من إرسال البعثات الإستكشافية إلى الصحراء و بذلت مجهودات لإبعاد أطماع بقية الدول الأوربية و خصوصا بريطانيا هذه الأخيرة التي أبرمت معها سلسلة من الإتفاقيات و معاهدات لتحديد نصيب و حصة كل طرف من الغنيمة و في هذا الإطار

نذكر إتفاق 1890 الذي نتج عنه تقسيم إفريقيا (1).واتفاق 21 مارس 1899 و الذي حددت فيه المناطق التي ترغب فيها كل من الدولتين خاصة تلك التي تتعلق بالصحراء الكبرى و التي كانت من نصيب فرنسا . و هكذا تحقق لفرنسا ماكانت تحلم به , و هو ربط مستعمراتها في وسط إفريقيا و غربها بمستعمراتها في الشمال الإفريقي. هكذا بدأت أولى الإتصالات بين فرنسا و التوارق من خلال البعثات الإستكشافية التي كان ظاهرها خدمة المعرفة العلمية و باطنها التجسس على مقدرات المنطقة البشرية و العسكرية . و لتحقيق مطامحها انتهجت في هذا الميدان الطرق السلمية لكسب ود التوارق باستخدام شتى المغريات مثل منح المناصب و الهدايا.

(1) أحمد إبراهيم دياب, لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث, الرياض, دار المريخ , 1981 ص 181.

و قد توجت هذه الإتصالات بإبرام "معاهدة غدامس" بين فرنسا و زعيم التوارق "الشيخ إيخنوخن" في 26 نوفمبر 1862 و التي يلتزم فيها الطرفان بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى السودان , و إصلاحها و تحديدها و توفير الحماية و الأمن للتجار الفرنسيين (1).

و منذ هذا التاريخ بدأت الدوائر الحكومية الفرنسية في التفكير في وضع ملامح جديدة لسياسة تقارب و سلم بين فرنسا و التوارق دون إظهار النوايا الخفية لفرنسا الإستعمارية (2).

ثورة التوارق :

إن مرامي السياسة الإستعمارية الفرنسية ما فتئت أن إكتشفها السكان المحليون مع مجيء أول الفرق العسكرية بقيادة المقدم فلاترس "FLATTERS" سنة 1880 إلى منطقة الهوقار .

تذكر المصادر التاريخية ان توارق أزقار و الهوقار و كال قرس و كال أوات و توارق تامبوكتو إجتمعوا في مدينة "غات" و قرروا بالإجماع على مقاومة أية محاولة أوروبية للتغلغل في الصحراء (3).

و هنا تظهر شخصية أهتيغال محمد بسيكا بن الحاج البكري

(1)Henri STUCKLI , Le commerce de la France avec le Soudan . Paris , challamel . 1864. P.P.(23-30).

(2)Servan Desplaus , La politique عن السياسة الفرنكو- ترقية أنظر Franco - Touareg. in . Nouvelle Revue . A. 1893. T. LXXX III .

(3)Les survivants de la mission Flatters . M. DJebari, Tunis, Impr, Brigol . 1895. P.(13).

(1877- 1900) أمينكال توارق الهوقار, الذي تفطن لنوايا الفرنسيين و راح يوحد قبائل الهوقار و يقضي على الصراعات و التطاحنات القبلية لمواجهة المستجدات الجديدة (1). شعر الفرنسيون بمدى النفوذ المعنوي و السياسي الذي يتمتع به "أهتيغال" على قبائل الهوقار لهذا حاولوا بطرق مباشرة و غير مباشرة التفاوض معه, خاصة و أن كل المعطيات التي يملكونها عنه تؤكد انه لا يحبب التقارب مع الفرنسيين . لهذا إستخدمت السلطات الفرنسية أصدقاءه للتأثير عليه و تغيير موقفه من الفرنسيين . و في إحدى رسائله إلى أحد أصدقائه الذي أوصاه خيرا بحملة المقدم فلاترس , Flatters يتضح لنا الموقف الوطني المبدئي الرافض لأي تواجد أجنبي فوق الأرض الجزائرية و يختم هذه الرسالة بقوله : "...لقد جاءوا و لقد ماتوا" "Ils sont venus , ils sont morts" (2). كان هدف حملة فلاترس القيام بعملية إستكشاف لمد طريق من الجزائر إلى النيجر ثم إلى التشاد. إلا أن إصرار المقدم فلاترس على اصطحاب فرقة عسكرية ترافق أعضاء البعثة أثار شكوك و ريبة قبائل الهوقار و لما تأكدو من أهدافها الحقيقية تقرر الهجوم عليها . و بالفعل كانت نهاية الحملة في "بئر الغرامة" إذ تعرضت لكمين نصبه فرسان الهوقار. و في الجولة الأولى من الإصطدام قتل ست و ثلاثون من بينهم فلاترس. و راح الثوار يتتبعون الفلول الفارة من ساحة المعركة و في الجولة الثانية سقط الملازم الأول" ديانوس" قائد القوة العسكرية . و لم ينج من هذا

(1) عن شخصية "أهتيغال" أنظر,

- Bernard (M), Deuxieme mission Flatters , Historique et rapport redige au service central des affaires indigenes , Alger ,A , Jordan. 1882 .
-Henri Lhote , les Touaregs du Hoggar . Payot , Paris , 1944.

(2) Henri Paul , EYDOUX, L exploration du Sahara, Gallimard, Paris, 1938.

المصير إلا عدد يسير من الذين كتبت لهم النجاة. و في 28 مارس وصلت 1882 أنباء الكارثة إلى مدينة "ورقلة" مركز قيادة الجيش الصحراوي الفرنسي , و نزلت نتائج هذه المعركة كالصاعقة . و راحت الأقلام الفرنسية تفسر أسباب الهزيمة و مجرياتها مع إبراز شجاعة أعضاء الحملة و على رأسهم فلاترس واستحوذت أخبار الهزيمة على إهتمامات الرأي العام الفرنسي , و تبادلت الجهات الرسمية التهم بتحميل بعضها المسؤولية, فصدرت مجموعة كبيرة من الكتب و التقارير و التحاليل حولها. المهم في هذا كله موت كامل أعضاء البعثة و أما القوة العسكرية المرافقة لها و البالغ تعدادها (78) عسكريا يقتل قتل منهم واحد و خمسون (51), زيادة على عدد آخر من الأسرى الذين وقعوا في أيد الثوار (1). كانت هذه الواقعة بداية إستفحال ظاهرة السخط و العداء لكل ماهو أوربي عامة و فرنسي بخاصة . إذ شهدت منطقة التوارق سلسلة من الإغتيالات للأوروبيين في الصحراء (2).و تضاعفت كمائن التوارق لكل المحاولات الفرنسية لإختراق الصحراء الجزائرية و بذلك حال التوارق دون معرفة المستعمر لطرق الصحراء و مسالكها, و ظلت فرنسا تخشى المرور عبر أراضي التوارق و لم يحالفها الحظ إلا عندما حل الراهب "ميشال دوفوكو " Michelde Foucauld " بمنطقة الهوقار, إذ مهد بواسطة

(1) من المصادر الفرنسية التي تعرضت لهذه الحادثة بالتفصيل نذكر,
- Le capitaine E - CH, E. Bernard ,
- Deux missions chez les Touaregs en 1880 - 1981. Alger , A . Jordan, 1886.
- Les deux missions Transahariennes du lieutenant Flatters , in . Bul. Soc. G. Alger , 1909. P.P. 43 - 61.

(2) يحي بوعزيز, ما تاريخ الجزائر في ملتقيات الوطنية و الدولية . ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر . 1991. ص(7).

الدورالتجسسي الذي لعبه في إرسال معلومات جد هامة عن أوضاع المنطقة إجتماعيا و سياسيا و اقتصاديا, كانت عونا للمصالح العسكرية الفرنسية في وضع مشاريعها التوسعية (1) إن المتتبع لتطور السياسة التوسعية الفرنسية في الصحراء الشرقية يلاحظ أن هذه الأخيرة و بعد التجربة الميدانية المريرة في التعامل مع قبائل التوارق, راحت تبحث عن بدائل و صيغ جديدة . و من بين هذه الصيغ تكثيف العمليات العسكرية و تقسيم الجيش إلى وحدات أو فرق قليلة العدد مهمتها مراقبة النقاط الإستراتيجية،و تأمين الإتصالات. إلا أن التوارق واجهوا هذه الأساليب بتصميم أكبر على المقاومة و الإستماتة. و في هذا الإطار كبدوا الفرنسيين خسائر جسيمة في الأرواح و العتاد في عدة معارك, أشهرها معركة (تيت) سنة 1902 التي إنتهت بقتل الضابط الفرنسي كوتنيس COTTENEST أما خسائر الجانب الجزائري كان إستشهاد حوالي سبعين شهيدا. و بعد هذه المعركة أبرمت السلطات الفرنسية معاهدة هدنة مع قبائل الهوقار (2).

---

(1) كانت نهاية هذا الراهب الجاسوس القتل على أيدي مجموعة من التوارق الذين إقتحموا عليه قلعته في جبل اسكارام لما تيقنوا من الدور الحقيقي الذي كان يقوم به واستولوا على مخزن الأسلحة الذي كان يخفيه . لتوسع أنظر ,

- LESSOURD (P), La vrai figure du pere Foucauld. Flammarion, Paris, 1933.
- BAZIN Rene, Charles de Foucauld et les musulmans. in, R. D. M. (dec. 1924), P. P. 481- 506.
- ROBERT CLAUD(M). L ermite du Hoggar la vie au desert de Charles de Foucauld. Alger Bucconier 1938.

(2) حول هذه المعركة أنظر,

R - C "Le Raid du lieutenant Cottenest " , in Question , dipl . col . Annee 1902, T. -XIV, P.P(102 -107).
- E . F . Gautier, "le Sahara Touarag", in Bulletin . soc. com . Paris, T. XXV, P .P.(442 - 443).

ثورة شيخ آمود (1):

عاصرت ثورة الشيخ آمود إضافة إلى ما ذكرنا، أحداثا سياسية أخرى أثرت في مجريات أحداثها، و كان على رأسها الحرب الإيطالية الليبية . فقد إنتقلت تطورات هذه الحرب إلى منطقة الصحراء الجزائرية ، و بالضبط إلى منطقة "جانت" و الطاسيلي"أزجار" ، و ذلك لقرب حدود ليبيا لهذه المنطقة زيادة على النفوذ الروحي الذي كانت تتمتع به الطريقة السنوسية في منطقة "جانت" وضواحيها. و هذين العاملين كانا وراء تلبية التوارق الجزائرية لنداء الجهاد الذي أعلنته الطريقة السنوسية على الجيش الإيطالي.

و حسب الروايات المحلية التي إستقيناها من المنطقة فإن التوارق بقيادة الشيخ آمود إنتقلوا إلى الأراضي الليبية ، و شاركوا المجاهدين الليبيين في عدة معارك كان أشهرها معركة "خزان" و "أولاد محمود" و "وادي تلت" و مكثت القوات الجزائرية في الأراضي الليبية حوالي ثلاث سنوات من 1911 – 1914.

شخصية الشيخ آمود 1859 -1928 (2):

بعد هذا التمهيد التاريخي عن الخلفيات السياسية و الإقتصادية

(1) عن ثورة الشيخ آمود أنظر،

Bernard(A)، "Le Sahara Français pendant la guerre " in . B. C. A. F, A. 1920, Suppl.

Fock (A)، "La situation au Sahara centrale ، Senoussya et Touarag" In B. C. A. F, A. 1925 .

Ardailow (L. T), – "Notes sur les Touaregs Azzer". In . B. S. G. Alger, 1911 - "L oasis de Djanet ". in. B. C. A. F, A. 1915.

للثورة يجدر بنا أن نتتبع مراحل الثورة لكن قبل هذا منيكون الشيخ آمود بن المختار. واعتمادا على الرواية المحلية، فإن الشيخ آمود ينتسب إلى قبيلة إيمانان "التي إستوطنت منطقة فاس المغربية بعد أن هاجرت إليها من منطقة الساقية الحمراء ، لكن لا ندري شيئا عن الأسباب التي دفعت أفراد هذه القبيلة إلى الإنتقال إلى مدينة "جانت" . لكن هذا الأصل أكسبها مكانة مرموقة و نفوذا واسعا حتى أصبحت من أشهر قبائل التوارق ذات التأثير المادي و المعنوي وازدادت أهمية هذه الأسرة لما دخل زعيمها الشيخ آمود في علاقات مع الأتراك ثم مع زعماء الطريقة السنوسية. و لتوضيح هذه الفكرة ، تشير بعض المصادر الفرنسية المعاصرة لأحداث الثورة إلى إعتراف السلطات العثمانية، بنفوذ الشيخ آمود على مدينة جانت و ضواحيها ، و التقرب إليه خاصة بعد ان إزدادت الأطماع الفرنسية في المنطقة . فقد كان بمثابة الحليف . ولإغراء الشيخ آمود منحته هذه السلطة طابعه خاتما يحمل لقب "الشيخ" زيادة وعلى علاوة سنوية تقدر بمبلغ ب(250) ف،ف (40) مكيالا من الشعير سنويا ، مقابل وإلتزام الشيخ آمود بتوفير المؤونة اليومية لجنود الحامية التركية في مدينة "جانت" وتنازل لهم أيضا عن حقه في جباية المكوس التي كان الشيخ آمود يفرضها على القوافل التجارية و اوكل لهم أيضا إستخلاص الضرائب التي كان يجبيها من بعض الأملاك بمدينة "غات " . زيادة على هذا كان الأتراك يرسلون له خلعة التولية في بداية كل سنة و المتمثلة في برنوس أحمر و مسدس و قد كان لهذا التحالف السياسي الذي ربط الشيخ آمود بالدولة العثمانية، أن إزدادت هيبة القبيلة لدى بقية القبائل التوارقية التي أعلنت في الأخير خضوعها لإرادة قبيلة "إيمانان" . ومما يلاحظ أن الشيخ آمود لم يكن رجلا عسكريا فحسب بل كان رجل علم ومعرفة. إذ تلقى تعليمه الأول في مدينة "جانت" حيث حفظ القرآن الكريم واستوعب

مبادئ العربية. و نشير هنا أن الحياة الثقافية و العلمية في مدينة جانت كانت مزدهرة بفضل الموقع الجغرافي الممتاز الذي الأهلها لأن تكون محطة توقف القوافل التجارية التي تمر بالمنطقة ووفد عليها علماء كثيرون كانوا وراء تنشيط وازدهار هذه الحياة الثقافية من أمثال "محمد حنلش محمد عالي الذي أسس فيها مدرسة لتدريس علوم الفقه. زيادة على الدور التعليمي و التثقيفي الذي لعبته الطرق الصوفية مثل القادرية ، وازدادت المكانة العلمية للمدينة بتأسيس السنوسية لزاويتها سنة . 1901.

لم يكتف الشيخ آمود بما أخذه على أيدي علماء مدينة "جانت" بل إنتقل إلى مدينة "تامنغست" و "عين صالح" للإستزادة من مختلف علوم عصره و كان لهذه الثقافة الدينية تأثير بالغ الأثر على أتباعه و مناصريه من بقية قبائل التوارق، الذين لبوا نداء الجهاد الذي أعلنه على الفرنسيين . و يمكن القول أن تجاوب قبائل التوارق مع دعوة الشيخ آمود يعود إلى عاملين إثنين:

-تمسكه بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف التي تنبذ التعامل مع الإستعمار و تحرم الإتصال بغير المسلمين.

-إيمانه المطلق بتوحيد جهود القبائل الصحراوية ، و نبذه للفرقة و التمزق الذي كانت تغذيه السياسة الإستعمارية قصد تفكيك الوحدة الوطنية .

معارك الشيخ آمود :

خاض الشيخ آمود طوال حياته معارك عدة ضد الجيش الفرنسي. كان الإنتصار حليفه في أغلبها . و لم تكن هذه المعارك مقتصرة على

بقعة جغرافية معينة، بل شملت كامل منطقة الجنوب الشرقي من الصحراء وامتدت رقعة هذه المعارك داخل الأراضي النيجرية و التشادية و الليبية، مما أفقد القوات الفرنسية زمام المبادرة و السيطرة على الصحراء . و كانت النتيجة أن إنحصر تواجدها في داخل المدن الكبرى مثل "توقرت" ، "الأغواط" ، "ورقلة" ، " عين صالح" . و لم تتجرأ القوات الفرنسية على التوغل في مناطق التوارق الذين احكموا حصارهم على تنقلات الجيش الفرنسي إلا بعد الإستعانة بخبرة السكان المحليين بشتى الوسائل الممكنة، بإجبارهم مثلا على الإنخراط ضمن صفوف الجيش الفرنسي كأدلاء و خيالة ، و رغم هذا فإن الأمور لم تستقر لفرنسا إلا بعد العشرينات من هذا القرن . و كانت أولى المعارك التي شارك فيها الشيخ آمود، معركة "بئر الغرامة" سنة (1881) التي قتل فيها المقدم فلاترس كما أشرنا آنفا. والذي لم نشر إليه هو أنه خلال هذه المعركة برز الشيخ آمود للمقدم فلاترس و أصابه في كتفه الأيمن. لكن مرشد القوات الفرنسية الترقي "أضيمان بن شيخان " استطاع أن يصيب المقدم فلاترس بضربة قاتلة ، و الشيء الذي لم نشر إليه أيضا أن انهزام القوات الفرنسية في أول إصطدام عسكري مع قبائل التوارق ترك أثارا كبيرة على نفسية القادة العسكريين الفرنسيين الذين لم يفكروا في العودة للتوغل في الصحراء إلابعدعام 1889 إذ في هذه السنة اجتاز الكومندان "فورلامي" المنطقة ، لكنه إستفاد من تجربة حملة فلاترس المريرة ، فاجتنب الإحتكاك مع السكان واتجه بقوته إلى النيجر (1).

(1) La mission Foureau
Lamy a la suite de la mission Foureau - Lamy
Les reconnaissances du capitaine Pein (Bul . Com. A .F)
A . 1899 . PP . 176 - 178.

معركة جانت:

لما بدأ النفوذ العثماني يشهد إنكماشا وانحصارا على إقليم ليبيا الشقيقة إستغل القادة الفرنسيون هذا الظرف العصيب الذي كانت تعاني منه السلطة العثمانية،وراحوا يمدون ويوسعون من نفوذهم على الصحراء الشرقية .

فدخلت قواتهم مدينة عين صالح عام 1900، و مدينة تمنغاست في 1904، و إيليزي 1908 ووصل نفوذهم إلى مدينة جانت مع مطلع 1909 و في هذه الأخيرة إصطدم الفرنسيون مع قوات الشيخ آمود لكن ميزان القوى كان هذه المرة لصالح الفرنسيين، و قد استمر الوجود الفرنسي في المدينة حتى سنة 1911 ، و هذا بسبب إنشغال الشيخ آمود بالحرب الدائرة بين السنوسيين و الإيطاليين ، إذ انسحبت قواته داخل الأراضي الليبية لمد يد المساعدة و العون للمقاومة الليبية .

وبعد الإنتصار على الإيطاليين عاد الثوار إلى مدينة جانت يدعمهم في ذلك رجال السنوسية ، وشددوا حصارهم على المدينة و لم تستمر مقاومة الفرنسيين هذه المرة طويلا ، إذ ما فتئت أن إنهارت أمام قوة الثوار و عزيمتهم الذين راحوا يتتبعون فلول الفارين من الجند الفرنسي ، فكانت خسائرهم المادية و البشرية كبيرة. و بقيت مدينة "جانت" مستعصية على الفرنسيين حتى سنة 1916 ، عندما أدخلت وزارة الدفاع الفرنسية تغييرات و إصلاحات كفيلة بإستعادة نفوذها وهيبتها على الصحراء و خاصة عندما عينت الجنرال لابرين "LAPERRINE"قائدا عاما للجيش الفرنسي في الصحراء.

رغم إستعادة الفرنسيين للمبادرة العسكرية في الصحراء الشرقية مؤقتا ، بإحتلال مدينة جانت سنة 1912 إلا أن تصعيد العمليات العسكرية المسلحة من جانب التوارق أزجار في منطقة الطاسيلي على

الحاميات الفرنسية ، كان له الأثر العميق على معنويات الجيش الفرنسي في إستحالة إمكانية إخضاع التوارق و إسكات مقاومتهم خاصة و أن التوارق ومن خلال تعاملهم مع الهجمة الإستعمارية، إكتسبوا خبرة و دراية في إيجاد الخطط التي تعرقل التوسع و التوغل الفرنسي .

فقد إهتدى الشيخ آمود إلى أسلوب حربي تكتيكي مكنه من التغلب على عامل كبر الرقعة الجغرافية التي تدور عليها المعارك و ذلك بتقسيم المهام العسكرية بين قادته وأعوانه . كان هؤلاء القادة يمثلون مختلف القبائل الطارقية .

و كانت خطته الإستراتيجية تعتمد على أسلوب الكر و الفر، واستخدام الكمائن بإعتراض القوافل الفرنسية التموينية منها أو الفرق العسكرية ومباغتتها و تحاشي الدخول معها في مواجهات مباشرة لأن ميزان القوى غير متكافئ بين الطرفين .

و كانت نتيجة هذا الأسلوب في المقاومة تكبد الجيش الفرنسي لخسائر بشرية و مادية معتبرة. فعين على منطقة"عمر إدريس " كل من القائدين الشيخ "العايب" من قبيلة "إيفوغاس" بمساعدة أخيه "حبة تول " .

ومن أهم المعارك التي شارك فيها هذان القائدان ، معركة "تازروفت" سنة 1917 و "تابنكورت" و" وادي أوال. " أما على منطقة إيليزي و ضواحيها فقد عين القائد " ابراهيم أقابدة" بمعية "الشيخ التومي" وكانت أولي معركة لهم معركة " وادي إيميهرو" زيادة على معركة" تين هضان" التي أستشهد فيها عدد كبير من الثوار.

وكإجراء إنتقامي و تخويفي ألقت السلطات الفرنسية القبض على سبعة من أعيان مدينة إيليزي وأعدمتهم و أقبرتهم في قبر جماعي.

و من المعارك الشهيرة التي خاضها الثوار ضد الجيش الفرنسي نذكر

معركة "عين الحجاج" التي غنم فيها الثوار غنائم معتبرة من العدة و العتاد وقتل فيها الضابط الفرنسي Le Marechal des Logis (1) مع (18) من القناصة والعشرات من الأسرى من بينهم ضابط فصيلة و لم ينج من هذه المعركة سوى ثلاثة جنود تمكنوا من الفرار (2).

أما عن المنطقة الواقعة بين جانت و سلسلة جبال الهوقار : فقد عين الشيخ آمود القائد أبة غابلي ومن أشهر معاركه وادي تهراق وإيلامان وتي هاوهاو و تهراق بين عين صالح وتامنغست والتي قادها القائد متينة شبكي – جد الراوي، وانتهت بإندحار القوة الفرنسية .

ومن المعارك البارزة أيضا نذكر معركة" عين إيمجن" في 13 جويلية 1916 التي تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر كبيرة و أرغم الثوار الضابط الفرنسي Le quitot على الإنسحاب من ساحة المعركة و الإلتجاء إلى برج فلاترس Fort Flatters بعد أن ترك وراءه حوالي 13 قتيلا من جانب جيشه ، و من النتائج المترتبة على هذه الهزيمة الفرنسية نفاذ مخزون المؤونة المخصصة للجنرال Meynier القائد العام للجيش الصحراوي لشهري جويلية و أوت (3).

و أمام تصعيد العمليات العسكرية من جانب المقاومين التوارق بدأت السلطات الفرنسية في التفكير في التراجع و الإنسحاب من الصحراء الشرقية إلا انها تبدي مخاوفها من هذا الإجراء لأنه يحول منطقة الهقار و الطاسيلي مرتعا لإنتشار الأفكار المعادية للوجود

(1) MEYNIER . (G) . OP CIT P. 268
(2) MEYNIER . (G) . IBID P. 269
(3) MEYNIER . (G) . IBID P. 258

الفرنسي . و مرتعا للفرق السنوسية يقصدها الثوار (1). في هذه الأثناء الحرجة والعصيبة التي مر بها التواجد الفرنسي في المنطقة ، قرر الثوار التوارق بقيادة الشيخ آمود إستعادة مدينة جانت . ولا نقف كثيرا عند إستعدادات الثوار التي سبقت عملية الهجوم لأنه يطول شرحها و مراحل هذا الهجوم ونتائجه إنما نشير فقط أن الجديد في هذا ا لهجوم كان إستخدام الثوار لسلاح المدفعية و أسلحة حديثة أخرى و بتعداد قدر بـ 400 مجاهد و بعد حصار دام عدة أيام سقطت المدينة بيد الثوار و تشتت شمل الحامية الفرنسية التي سقط قائدها Le Marechal des logis la pierre أسيرا و هو تائه في الصحراء . و قد ترك لنا هذا الأخيرتفاصيل و مجريات هذه المعركة في تقرير جد قيم رفعه للقيادة العامة للجيش الفرنسي بعد إطلاق سراحه (2). أمام هذا الإنكسار للجيش الفرنسي بدأت الحكومة العامة بالجزائر في التفكير و البحث عن صيغ جديدة لتكسير الصمود الترقي . و كانت أولى الخطوات إعادة ترتيب الجيش الصحراوي و تجميعه بعد تشتته و تزويده بكميات أكبر من الأسلحة و العتاد و بفرق القناصة والصبايهية الذين يتميزون بقدرات قتالية ممتازة و زيادة حجم التموين في ميدان الغذاء و اللباس و ربط المراكز و الحاميات الفرنسية بالخطوط البرقية و تشجيع الأهالي على الإنخراط في صفوف الجيش . و قد أثمرت هذه الإجراءات وخاصة وأن الثوار فقدوا حليفا قويا متمثلا في السنوسيين الذين كانوا يمدونهم بالأسلحة و يسمحون لهم بإستخدام الأراضي

(1) MEYNIER . (G) . OPCIT P. 259

(2)- Deux episodes de la guerre au Sahara" les rapports du Marechal des Logis "lapierre" in B. C. A. F (A) 1920 .
SUPL . P P . 62 - 91
ويتضمن هذا التقرير مجموعة من الصور التاريخية الفريدة من نوعها للتحصينات العسكرية للمدينة ومرفوقا أيضا بخريطة توضيحية لمدينة جانت و ضواحيها

الليبية كقواعد خلفية، بعد رجحان الكفة لصالح الإيطاليين الذين أبرموا مجموعة من الإتفاقيات و المعاهدات الأمنية لخنق المقاومة الشعبية في كل من ليبيا و الجزائر و رغم هذه الترتيبات الفعالة من جانب فرنسا إلا إن السلطات الفرنسية كانت على دراية تامة بأن هذه الأخيرة كانت غير كافية لجعل توارق أزجار يضعون السلاح و يسلمون بالواقع الإستعماري لهذا دخلت فرنسا في مفاوضات مع الشيخ آمود لإبرام الصلح. و لإقناع هذا الأخير بحسن النوايا الفرنسية ، أرسلت له بعض الشخصيات ذات النفوذ المعنوي و الروحي على توارق الصحراء لهذا الأمرإستقدمتهم من ورقلة، عين صالح ، المنيعة ، الوادي ، تقرت ، و كان طلب فرنسا الوحيد، إلقاء السلاح مقابل الإعتراف الفرنسي بتبعية منطقت الهوقار و الطاسيلي للشيخ آمود ، و تعيين هذا الأخير سلطانا على قبائل التوارق إلا أن الشيخ آمود رفض العرض الفرنسي رغم مغرياته ، و إختار المقاومة عن الإستسلام و الرضوخ لإرادة المستعمر .

و لما ضاقت به السبل إختار المنفى على أن يعيش على أرض يدنسها المستعمر الكافر.

الخاتمة :

و في خاتمة مقالنا هذا يمكن إيجاز أسباب فشل المقاومة الشعبية للتوارق عامة و ثورة الشيخ آمود بصفة خاصة فيما يلي:

1- إستماتة فرنسا في التمسك بالصحراء لما تمثله من مجال حيوي إستراتيجي يربطها بمستعمراتها في إفريقيا الغربية و الوسطى و هذا ما جعلها تسخر كل إمكنياتها البشرية و المادية المتاحة للقضاء على أي تمرد أو رفض للوجود الإستعماري.

2- سياسة فرق تسد التي إنتهجتها فرنسا لإفشال الثورة وإخماد روح المقاومة عند قبائل التوارق و هنا نشير إلى نجاح فرنسا في إستمالة سلطان الهوقار " "موسى أق مستان" واستخدامه كأداة للدفاع عن فرنسا و حضارتها و قيمها و أحقيتها في الجزائر.

3- تضييق الخناق على الثوار بواسطة الضغط على إيطاليا في منع الثوار من التزود بالأسلحة و المؤن . و قد أبرمت في هذا الإطار إتفاقيات بين الدولتين تبيح حق المتابعة داخل أراضيهما.

و رغم هذه الظروف و العوامل المثبطة للهمم إلا أن شرارة الثورة الشعبية إستمرت مشتعلة ومتأججة . و لم تستتب الأمور لفرنسا إلا مع مطلع العشرية الثالثة من القرن العشرين ، بوفاة الشيخ آمود بمنطقة الغريفة بالأراضي الليبية سنة 1928. و بوفاته طويت صفحة مشرقة من بطولات هذا الشعب الأبي الذي سيسارع مرة أخرى لتقديم التضحيات و القرابين فداء للوطن مع اندلاع الثورة التحريرية المباركة.

الجزائر 19 ديسمبر 1995

أ. الغالي غربي

مصادر و مراجع البحث:

ملاحظة:

إستقينا أغلب المعلومات التاريخية التي تخص مجريات و أحداث ثورة الشيخ آمود إعتمادا على الرواية الشفوية التي تفضل بها أحد الأشخاص الذين عايشوا الأحداث الأخيرة من ثورة الشيخ قد سمحت درجة القرابة من قائد الثورة ان يكون هذا الشخص ملما بمجريات الثورة و تطوراتها. و يعرف هذا الشخص في مدينة جانت بالشيخ ملاصي ، و إسمه الحقيقي عبدالله متيتة لهذا فنحن مدينون له في توضيح عدة حقائق تاريخية لم نعثر عليها في المصادار و المراجع الفرنسية ، هذه الأخيرة لم نهملها لأهميتها في إستكمال الرؤية التاريخية عن مرحلة المقاومة الشعبية لقبائل التوارق.

و المصادر الفرنسية التي عدنا إليها كانت في شكل تقارير العسكريين و الرحالة و الجواسيس . و قد إحتوت هذه المصادر الكثير من الإشارات عن الدور البطولي لزعماء هذه المقاومة تجاه محاولات التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية إلا أن كثرة الإلتزامات و ضيق الوقت حال دون مواصلة البحث عن خفايا ثورة التوارق وامتداداتها المحلية و الدولية .

خريطة تاريخية لقاومة الطوارق للتوسع الفرنسي بالجزائر

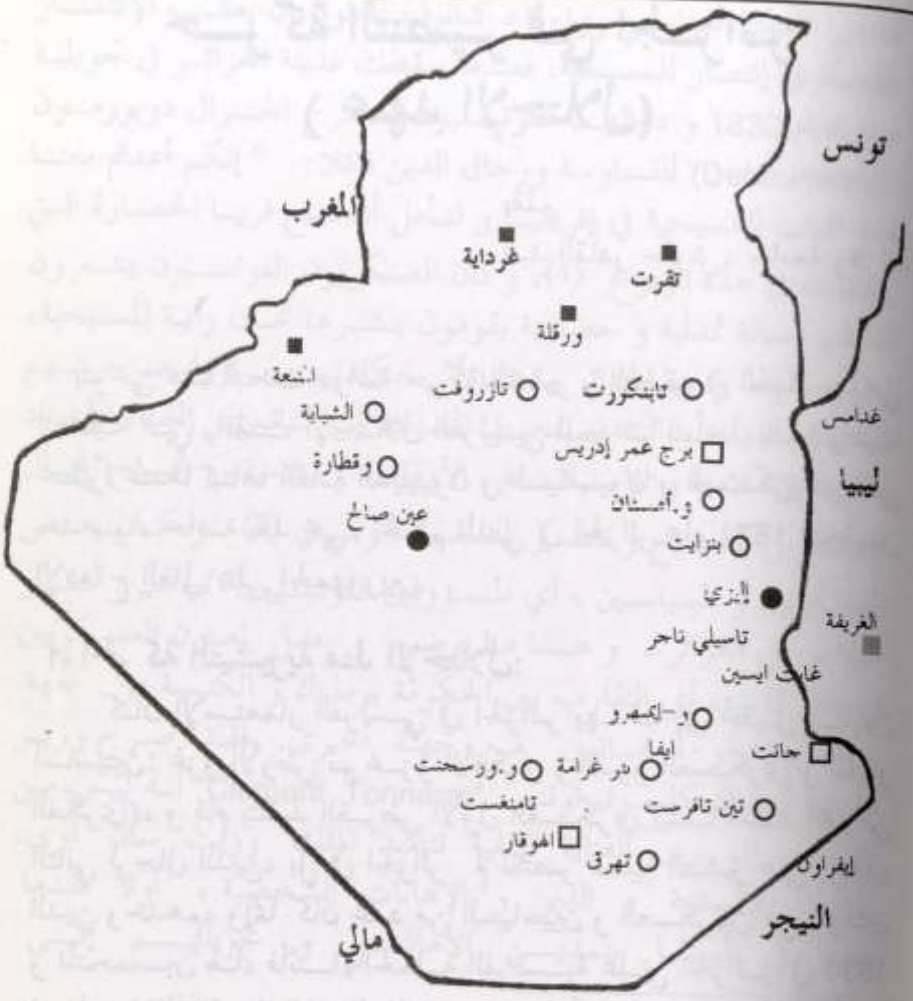

■ قاعدة فرنسية

○ معارك الطوارق ضد الجيش الفرنسي

■ وفاة اشيخ أمود

□ حصار الثوار للحاميات الفرنسية

حـــركة التنصيـر فـي الجـزائـر
(عـهد الإحتلال)

بقلم
عبد القادر حلوش، جامعة وهران

يتوخى هذا البحث دراسة حركة التبشير و التنصير في الجزائر، وهي العملية التي رافقت الإحتلال الفرنسي للجزائر لتأخذ بعدا رسميا خطيرًا عندما تبناها القادة الدينيون و السياسيون و العسكريون على حد سواء خاصة بعد مجيء الحكم المدني في الجزائر عام 1871 لتحقيق الإدماج الغالي على الجمهوريين.

1- الحركة التبشيرية منذ الإحتلال:

كان الإستعمار الفرنسي في الجزائر يهدف إلى تحقيق غايتين أساسيتين: غزو الأرض ثم غزو الأفكار (الغزو العسكري و الغزو الفكري)، و قام بتنفيذ الغرض الأول العسكري بينما أسند الغرض الثاني لرجال الدين، بل في الجزائر لم تقتصر عملية التبشير على رجال الدين وحدهم، وإنما كان عدد من السياسيين و العسكريين من المؤمنين و المتحمسين لها، فأثناء الحملة الفرنسية على الجزائر في 1830 إصطحب الغزاة معهم رجال الدين حتى يكتمل غزوهم العسكري بالغزو الفكري(1)

(1) لهذا الغرض جلب دوبورمون(قائد الحملة العسكرية على الجزائر في 1840-) ، معه 16 قسيسا ، كانوا قد رافقوا الجيش الفرنسي.

فحتى الملك الفرنسي ووزراؤه كانوا يأملون أن يعقب الإنتصار العسكري إنتصار للمسيحية، فعندما سقطت مدينة الجزائر في جويلية من عام 1830 و دخلها الفرنسيون صرح الجنرال دوبورمون (Debourmont) للقساوسة ورجال الدين قائلا : " إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا و لنأمل أن تنبع قريبا الحضارة التي إنطفأت في هذه الربوع" (1)، وكان العسكريون الفرنسيون يشعرون أن لهم رسالة تمدنية و حضارية يقومون بنشرها تحت راية المسيحية، وفور سقوط مدينة الجزائر بيدهم، أمر حكامهم و مسؤولوهم جيشهم المتعطش للنهب و التدمير بتحويل المساجد إلى كنائس و إلغاء الأعياد الدينية الإسلامية و الإستيلاء على الأوقاف الإسلامية، و إفساح المجال للمبشرين لتمسيح و تنصير الشعب الجزائري (2). و كان بعض العسكريين و السياسيين ، أي المسؤولين الفرنسيين(3)، من أنصار التبشير في الجزائر ، و هذا ما يوضح و يعلل تعاون العسكريين ورجال الدين، أي التقارب بين الحكومة يومذاك و الكنيسة من جهة و الجيش و الرهبانيين من جهة أخرى. فقد صرح وزير الحربية أنذاك كليمون تونير" "Clement Tonnerre" أنه ليس من الغريب أن نرى العناية الإلهية تناشد الملك وريث سان لوي، لينتقم للإنسانية و الدين و الإهانات الشخصية ، أولا عندما نقوم في المستقبل بتمدين الأهالي و تحويلهم إلى

(1) د. عبد الجليل التميمي، التفكير الديني و التبشيري. المجلة المغربية التاريخية ص 14.

(2) هذا العمل يخالف روح الإتفاقية التي عقدها دوبورمون مع الداي حسين و التي تقتضي إحترام الدين الإسلامي و حرية ممارسته.

(3) أمثال: جنتي دو بيسي (genty-de bussy الوكيل المدني بالجزائر)، الملك لويس فيليب، الماريشال فالي، لامورسيير ، الجنرال بيجو، دوثيدون وغيرهم.

مسيحيين ..." (1)، و كانت الأعمال الفرنسية تجاه الدين الإسلامي والشعور العقائدي للجزائريين عملية إستفزازية، فأهانوا بيوت الله كالسير قدما في المساجد و تحويلها إلى كنائس و مستشفيات و ملاجيء وإلحاق الأوقاف بإدارة أملاك الدولة الفرنسية لضرب التعليم العربي الإسلامي و توقيف مساره. فبعد إنتصار الفرنسيين على المقاومة الوطنية، إشتدت حركة الإرساليات التبشيرية التي وجدت الباب مفتوحا على مصراعيه ، و التشجيع الكامل من العسكريين الفرنسيين، فكان منهم إرساليات منظمة كالإخوان و الأخوات البيض، وإخوان المذهب الكاثوليكي و غيرهم، كما عين لأول مرة الأسقف دوبوش Dupuch للقيام بنشر الدعوة المسيحية و الدعاية لها بين الجزائريين. فقد ترك لويس فيلو l. veillot في كتاباته مايلي:" إن الإنسان يكون أعمى إذا لم يدرك أن العناية الإلهية تعمل للقضاء على الإسلام...ووقتها تصبح الجزائر مملكة مسيحية و لن تكون مسلمة..." (2) وإشتهر الجنرال بيجو بسياسة الأرض المحروقة و التدمير الثقافي و الحضاري للشعب الجزائري، وكان يرعى ويقدم المساعدات الضرورية للمبشرين الذين إزداد نفوذهم في هذه الفترة ، لأنهم لاقوا كل الدعم و الصدر الرحب و الإستقبال الجيد من العسكريين والسياسيين على حد سواء. وفي إحدى هجومات بيجو المسلحة على القرى الجزائرية، إنتزع هذا الأخير 250 طفلا من قرية في بوفاريك . بعد أن شتت عائلاتهم وشردها ، وقام بتقديم هؤلاء الأطفال إلى الأب بريمو Brumeauld مخاطبا إياه : " إنهم يتامى لقطوا في ساحات الوغى ، ربوهم وإجعلوهم مسيحيين (3)."

(1) د.حسين رايس : المرجع العدد 30 ص 31.
(2) د.حسين رايس : المرجع السابق ص 31
(3)نفس المرجع ص 33.

هذا الشعور العدائي نفسه أبداه رئيس وزراء فرنسا بولينيك PRINCE DE POLIGNAC الذي رأى أن إنتصار فرنسا على الجزائر له صبغة صليبية، فأعلن أن سقوط الجزائر يخدم الكنيسة و المسيحية جمعاء.

ولا شك أن المبشرين يقومون بدور بارز في التحضير لعملية الإستعمار الكاملة، وتاريخ البلاد العربية حافل بمثل هذه الحركات و الإرساليات التبشيرية ، و كان هدفهم الأساسي من وراء ذلك هو محاربة القرآن الكريم بإعتباره السد المنيع الذي أفشل خططهم لاختراق المجتمع العربي الإسلامي. و عبر الفرنسيون عن قلقهم من هذا الحاجز الفاصل بينهم وبين إمكانية التغلغل داخل المجتمع الجزائري بقولهم: " إن المسلمين إذا إعتنقوا الدين المسيحي فإنهم سيظهرون لنا الطاعة و يصبحون إخوانا لنا ... ألا تتطلب سعادة هؤلاء الأشقياء أن نقوم بهذه المحاولة ؟ إننا عندما نقدم لهم العقيدة الجديدة سنضع حدا لهذا الفيض الشنيع لطبائعهم و أخلاقهم ، والذي يمتاز به هؤلاء الذين يسيرهم القرآن" . (1) فأستحضار مثل هذه النظريات لعسكريين و سياسيين مختلفين-إلا أنهم متفقون في غرض واحد هو محاربة الإسلام- لها أكثر من معنى، فهي من جهة توضح بشكل جلي نوايا الفرنسيين جميعا دينيين أو لا دينيين من هذا الإحتلال، الذي كان في الأول يقصد به،على حد زعمهم، تمدين الشعب الجزائري ليكشف في الأخير عن حقيقته الصليبية. ومن جهة ثانية تبين وجود العلاقة الوطيدة و المتكاملة بين العسكريين و الدينيين عندما يتعلق الأمر بضرب الإسلام.

بالمقابل كان بعض الحكام العسكريين الفرنسيين في الجزائرلا يجرأ على المس بالمعتقدات الدينية الإسلامية مباشرة خوفا من ثائرة الشعب

(1)د. حسين رايس: المرجع السابق ص 33.

الجزائري الذي أظهر إستماتة في الدفاع عن كيانه و دينه و وجوده منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين أرضه. و الحقيقة أنه لا فرق بين من يثبت العقيدة عن طريق الغزو العسكري و الثقافي وبين من يدعمها عن طريق هدم التشريع الإسلامي ، إلا أن التبشير في الجزائر لم يقف عند هذا الحد الذي عرضناه، بل تطور تطورا كبيرا عندما لاقى أضعاف الدعم و العناية و الإهتمام من طرف الحكام العامين الفرنسيين الحاقدين على الإسلام و العروبة أمثال د وقيدون de gueydon .

2 – التبشير و التنصير في العهد الجمهوري:

إحتضنت فرنسا سياسة تبشيرية واسعة النطاق لتنصير الجزائريين ، رغم أنها دولة لائكية (علمانية) كما ينص دستورها . و تعاونت تعاونا كبيرا في هذا الميدان مع الهيئات التبشيرية المسيحية من مختلف أنحاء العالم للقضاء على الإسلام الذي منع و حال دون إختراقها للمجتمع الجزائري . و لقد ضلت شؤون الدين الإسلامي منذ الإحتلال حتى إستقلال الجزائر خاضعة للسيطرة الإستعمارية (1)

رفض الإحتلال تطبيق مرسوم فصل الدين عن الدولة على الدين الإسلامي وحده فقط، بحيث بقيت شؤونه من إختصاص الحاكم الفرنسي العام في الجزائر بالرغم من إلحاح الجزائريين على تطبيق مرسوم 1907 على الإسلام إسوة بالمسيحية و اليهودية (2).

نعني بالتنصير محاولة إخراج الجزائريين عن دينهم الإسلامي و إحلال

---

(1) عندما تقرر فصل الدين عن الدولة في فرنسا طبقا لمرسوم 1905 طبق هذا الأخير في الجزائر عام 1907 على الديانة المسيحية و اليهودية دون الدين الإسلامي .

(2)د. تركي رابح: التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، ص .109

الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية. فبعد سقوط نابليون في 1870 - الذي تعاطف هو الأخر مع المبشرين - تولى المدنيون السلطة في الجزائر و راحوا يتبنون سياسة تنصيرية و تبشيرية منظمة ورسمية ضد السكان الجزائريين. ففي عهدهم إنتشر التبشير إنتشارا واسعا بتأسيسه للمدارس الدينية و خاصة في عهد الحاكم العام دوقيدون . وكان هذا الأخير يحقد على الإسلام ويعتبره وراء كل الإنتفاضات والثورات الشعبية المنظمة وغير المنظمة التي عرفتها الجزائر، خاصة في القرن التاسع عشر و هذا السبب أكثر من هجوماته على الإسلام والجنس العربي، وعزز سيل المبشرين ونشطت وفودهم تحت رعايته ، كما عمل على تقييد حرية تنقل زعماء الطرق الدينية لأنهم ظلوا يحولون دون فقدان الشعب الجزائري عقيدته و كيانه الروحي، ومنع إعطاء رخص السفر إلى البقاع المقدسة للجزائريين للقيام بفريضة الحج معلنا في سنة 1873 أنه لأسباب سياسية لا يسمح بهذا السفر إلى المشرق" أثبتت التجارب أنهم يرجعون أكثر تعصبا و أقل قابلية للخضوع لسيطرتنا"(1). ولاشك أن هذه الإجراءات التعسفية التي إرتبطت بحكم دوقيدون تفسر سياسته التبشيرية الرسمية التي تبناها وأعانها بوضوح لافيجري :" لقد قضيت حياتي و أن أحمي البعثات التبشيرية الكاثوليكية في كل بحار الأرض ، ولا يمكن ان أقبل اليوم أن تضطهد على أرض فرنسية.(2) "... و الحقيقة أنه كلما جاء حاكم جديد إزداد تفننا في تلقين الجزائريين أنواعا من الإستغلال و الإهانة و المسخ العقائدي. و لم تكن السياسة الدينية للحاكم العام شانزي ، تختلف عن سياسة قيدون ، فكلاهما كان من أنصار تحويل الجزائريين

(1) ch. R Ageron: les algeriens musulmans et la france TI P 301

(2)د. عبد الجليل التميمي: المرجع السابق ص 22.

عن دينهم وتنصيرهم. فقد فرض الحاكم شانزي Chanzy هو الأخر رقابة شديدة على رجال الدين الإسلامي عامة في إطار مشروعه الخاص بإعادة تنظيم المدارس الإسلامية لإعطائها الطابع الفرنسي المحض، ولم يتسامح مع تعليم القرآن ، فأصدر في هذا الشأن قرارات لمراقبة المدرسين وإعطائهم رخص التنقل ، و لم يكن يسمح لأي كان أن يفتح مدرسة قرآنية دون أخذ موافقة حاكم المقاطعة prefet أو رئيس البلدية ، بعد إجراء التحقيق اللازم حول شخصية المدرس ،،، كما إمتنع من جانب أخرعن إعطاء رخص فتح مدارس قرآنية للمدرسين غير الجزائريين كالمغاربة و التوانسة خاصة.(1)

وإذا إخترنا الحاكمين دوقيدون وشانزي كنموذجين لعرض سياسة التنصير التي تبنتها الإدارة الإستعمارية في الجزائر ، فإن ذلك لا يعني أن الباقين من حكام الجزائر كانوا متسامحين مع هذا الموضوع ، بل لقد سار كلهم على المنهج " القيدوني" نفسه لمحاربة الإسلام و القضاء على الثقافة العربية الإسلامية، لأن أغلبهم كان يعتقد ويؤمن إيمانا راسخا بإمكانية إرجاع الجزائريين وتحويلهم إلى الدين المسيحي بالمدرسة الفرنسية التي إبتكروا أسلوبها الإستعماري . وعلاوة على دعم الحكام لحركة التبشير و التنصير في الجزائر، فإن الجمعيات الدينية قامت من جهتها (بواجبها الديني)، فعندما رفض الكولون و النواب تقديم القروض إلى المدارس الدينية التي أقامها الكاردينال لافيجري و المبشرون، طالب هذا الأخير المساعدات من الكاثوليك الفرنسيين و الأجانب ، فأستجاب لذلك أحدهم مصرحا أمام جمعية الكاثوليك الفرنسيين في 1877/04/06 أن سياسة التنصير هي وحدها الكافية و القادرة على إدماج الجزائريين في الوطن الأم، " وحمدا لله

(1) Ageron : op.cit p 308 .

ونجمع مصالح ديننا مع مصالح الوطن."(1)

و الواقع أنه منذ بداية سنة 1878 بدأت المدارس الدينية الحرة تنتشر في الجزائر لتضاف إلى المدارس الحكومية و خاصة في المناطق التي كان من الصعب تأسيس المدارس الرسمية بها ، كمنطقة الصحراء مثلا(2) . إذا كانت الجهود الأولى للمبشرين قد تركزت في منطقة القبائل منذ السبعينات من القرن الماضي فإن المحاولات التبشيرية و التنصيرية التي تلتها بدأت في التوسع لتشمل مناطق أخرى كمنطقة الأوراس ما بين 1893و .(3) 1900ووصلت حركة التنصير أواخر القرن التاسع عشر إلى مناطق الصحراء مثل مدينتي ورقلة والأغواط، إلا أن مجهودات المبشرين في هذه المنطقة كانت فاشلة خاصة في مدينتي غرداية و قريفيل (أولاد سيدي الشيخ) نظرا لتمسك السكان بدينهم الإسلامي، و لم يلتحق بالمدارس الدينية إلا الأطفال اليهود،الذين كانوا يتلقون بعض التعليم المهني.

3 - الأسقف لافيجري ومنطقة القبائل:

عندما أصبح لافيجري أسقفا للجزائر في 1867 قرر غزو الإنسان الجزائري بعد أن ظهر له أن الإحتلال العسكري قد إنتهى ، وإرتبط بحادثة وقوع مجاعة كبرى في الجزائر خلال عامي 1867- 1868، إزدياد نشاط الحركة التي تحمس لها الأب لافيجري ، فقد إنتهز هذه الفرصة وجمع الأطفال الذين فقدوا ذويهم وجعلهم ينشؤون على الدين المسيحي. و من هؤلاء الجزائريين "الكاثوليك" ، كون

(1) Ageron : Ibid P.308
(2) A.Merad , regards sur l'enseignement des musulmans en Algerie 1860 -1880 confluent juin - juillet 1963 p. 599.
(3) p. mesnard: l'Ecole francaise s'adapte aux masses musulmanes en Algerie, in etudes juin 1948 , P. 359

لافيجري طبقة جديدة من المبشرين عرفت بالأباء البيض وإنتشرت في بلاد القبائل(1) . وفور إخماد ثورة المقراني لعام 1871 باشر لافيجري مهمته الإستعمارية و التخريبية لغسل الأدمغة مدعما في ذلك من طرف الحاكم العام دوقيدون. ولم يخف لافيجري سياسته الهادفة إلى محاربة القرآن الكريم و الإسلام عامة ، حيث قال : " لقد وجب إعادة بناء الشعب وفصم وقف حياته عن القرآن الذي إرتبط به منذ زمن بعيد مستعملين كل الوسائل الممكنة ومن جهة أخرى يجب تلقين أبنائه على الأقل مشاعر ومبادىء جديدة . كما يجب على فرنسا أن تقدم إذا لم أخطىء أو بالأحرى تسمح بتقديم الإنجيل أو تعمل على طرد هذا الشعب إلى الصحراء بعيدا عن العالم المتحضر ، و بغير هذا كل شيء يصبح وسيلة لا تفي بالغرض.(2)"...

وكان لافيجري يعمل على تفكيك المجتمع الجزائري ليفسح المجال لعملية تنصير واسعة النطاق ، فقد إستطاع أن ينشر المسيحية بخطى واسعة وذلك بإنشاء المراكز لليتامى يقوم من خلالها بتوجيههم وفق المصلحة الأوروبية وصبغهم بالصبغة المسيحية. كما أولى إهتماما خاصا بمنطقة معينة من الجزائر كانت محل أنظار العسكريين والسياسيين على السواء، هذه هي منطقة القبائل،لقد ركز المبشرون ومن بعدهم منظروا المدرسة الفرنسية نشاطهم التبشيري و التنصيري على منطقة القبائل دون غيرهم لإعتبارات و تفسيرات تبناها الأوروبيون، منها أن المنطقة وسكانها أكثر قابلية للإندماج " لأن إسلامهم سطحي و أداء فطريون للعرب"(3). وأنشأت الكتابات الأوروبية الإستعمارية " أسطورة

(1) د.صلاح العقاد: المغرب العربي ، ص 156.
(2) د.التميمي ، المرجع السابق ص 21.
(3) أحرون: تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة عيسى عصفور،ص 108.

قبائلية حقيقية "، فقد إعتبر شعب هذه المنطقة منحدرا من الرومان وحتى من الوندال ، ولهذا فإن بعض الأوروبيين لم يقطع الأمل في " أن يعيدوا إليهم إيمانهم المسيحي" (1). وهذا ما يفسر محاولات المبشرين وعلى رأسهم لافيجري هدى هذا الشعب إلى الدين المسيحي .فقد تم تحت إشرافه الشخصي تأسيس سبع جمعيات تبشيرية دينية في منطقة القبائل وحدها. (2) وعندما قام لافيجري ببناء قريتين في منطقة العطاف قرب الجزائر العاصمة لتربية وتنشئة أطفالها على الدين المسيحي، طالبه الحاكم العام دوقيدون عام 1874 بأن يوسع هذا المشروع ليشمل منطقة القبائل كذلك ، فقد قال:

تمنيت أن تمتد هذه التجربة (القرى المسيحية لليتامى) إلى منطقة القبائل " (3) .

وهذا لاشك يبين إهتمام الحكام الفرنسيين أنفسهم بهذه المنطقة دون غيرها ، بحيث كان دوقيدون يعتقد كغيره من الكاثوليك المتعصبين أن سكان منطقة القبائل لا يبدون معارضة لمثل هذا النشاط ، لهذا وجهت أكبر الجهود التبشيرية و التنصيرية نحو سكان هذه المنطقة . و منذ سنة 1873 تأسس أول مركز للمبشرين عند قبائل ايت عيسىAit ، ثم توالت مثل هذه المراكز عبر Aissa كامل المنطقة. وفي فور ناسيونال fort-national وجماعة صهاريج .بمنطقة القبائل،أسس اليسوعيون(4) المدارس الدينية لتنصير الجزائريين.

---

(1) المرجع السابق ص .108

(2) -G.Elie: la kabylie du djurdjura et les péres blancs
In correspondant , 1923 p 57.

(3) Argon: op-cit T I p 304

(4) Archives Aix: ecoles congréganistes 50 s3.

كما نشط الإخوة المسيحيون في تأسيس المدارس الدينية الحرة لتعويض ما فقدوه أثناء العهد الإمبراطوري الذي إهتم بتأسيس المدارس العلمانية(1).وفي سنة 1901 كان عدد مدارس الأباء البيض بمنطقة القبائل قد بلغ 21 مدرسة تضم 1039 تلميذا. وفي سنة 1914 وصل عدد المبشرين إلى قبيلة أولهية بمنطقة القبائل وحدها إلى 6 أباء و 8 أخوات بيض (2). وإذا كان الجمهوريون قد سعوا إلى تحقيق سياستهم التعليمية من خلال جهازهم التعليمي المتمثل في المدرسة العلمانية، فإن المبشرين رأوا في مدرستهم الدينية وسيلة أخرى للقيام بالتبشير و التنصير. ولهذا الغرض أقام المبشرون بعض المدارس لتنصير الأطفال الجزائريين، و إرسال بعضهم الأخر إلى مراكز دينية بفرنسا لتعلم بعض الحرف(3)، ومن هنا كان رجال الدين المسيحيون و على رأسهم كبيرهم لافيجري حريصين على فتح المدارس للأطفال و الملاجىء لليتامى لنشر تعاليم الإنجيل بينهم و تهيئتهم لتقبل و إستيعاب الحضارة الأوروبية . كما لجأ الأساقفة والمبشرون إلى أساليب الترغيب-بعد أن فشلت وسائل الترهيب- لكسب ثقة الناس وولائهم ، وكانوا يتبعون سياسة نكية وذلك بالتظاهر بالرأفة و الشفقة و الإحسان وإستعمالهما مطية وأسلوبا للتغلغل الإستعماري و هدم التشريع الإسلامي . و كانت أساليب المبشرين في هذا المضمار تقوم على تعليم الأطفال و إقامة،المستشفيات و الملاجىء و إسعاف المرضى و توفير كل الخدمات الإنسانية .

(1) question de l'enseignement primaire: rapport de deliberation alger 1972 p 12.
(2) G.Elie:op.cit p 71.
(3) A.Merad: op cit p 303.

وهذه الأعمال كانت تمهد لتنصير المسلمين وتهيئة ظروف إعتناقهم الدين المسيحي. وكان الأسقف لافيجري بارعا في هذا الأسلوب بعد أن فشل في إنشاء " القرى المسيحية" في الجزائر. وكان يؤمن بأن " الإحسان و اللطف والإخلاص و العدالة المنصفة ثم الحمية المتبصرة و اليقظة، وهي الخصال التي فرضتها علينا العقيدة المسيحية ، هي القادرة وحدها على إنجاز الأعمال بادىء الأمر عن طريق السيف" (1) إلى جانب ذلك تبنى المبشرون أسلوبا جديدا لنشر المسيحية و القضاء على الإسلام، ظاهره نافع وباطنه ضار، ويتمثل هذا الأسلوب في مدح المسلمين و أعمالهم الأدبية و العلمية و الحضارية.

ويوضح أحدهم هذا الأسلوب بقوله: " إمدحوا كبراءهم، إرفعوا معنوياتهم،تلك هي وسيلة لإضفاء الذكاء على الناس و جعلهم أكثر إستعدادا و قبولا لأراء الأخرين، تحدثوا للعرب عن تاريخهم وأعمالهم العلمية و أعطوهم فكرة عمن كانوا في الماضي..."(2).

و أمام هذا المسخ العقائدي و التشويه الصريح و المعلن للمقدسات الإسلامية، كان رد الفعل الوطني عنيفا تمثل في إندلاع ثورات متعددة في مختلف جهات القطر ضد هذه الوضعية،المأساوية التي ألت إليها المقدسات و التاريخ، وخاصة عندما بدأت المساجد تداس بالأقدام الأوروبية. ومن هنا فقد فشلت جهود المبشرين عندما أرادوا تغيير تاريخ بتحويلهم الجزائر إلى أرض أوروبية مسيحية.

---

(1)د.التميمي: دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس 1830-1881، المجلة التاريخية ص 807.

(2)د.حسين رايس: المرجع السابق ص 34.

الحركة الوطنية الجزائرية في مرحلة النضج 1942 - 1954

بقلم : د/ محمد العربي الزبيري

الحدث التاريخي يلد الحدث التاريخي، ولايمكن للدارس الجاد أن يحيط بأي حدث تاريخي مالم يهتد إلى الحدث أو الأحداث التي كانت في أساسه والتي إنطلقت منها بوادره. إن الحدث التاريخي المعزول عن غيره لاوجود له في تاريخ الإنسانية جمعاء. ومن هذا المنطلق سوف نحاول من خلال هذه الدراسة، إيجاد الخيط الرابط بين مختلف المحطات التاريخية التي ساعدت على تطوير الحركة الوطنية الجزائرية خاصة في الأربعينات من هذا القرن، ومباشرة قبل إندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر سنة 1954.

إن أبرز حدث تاريخي يجب الرجوع إليه لفهم هذه الفترة وماعرفته من تحركات سياسية إنما يتمثل في إنزال الحلفاء قواتهم على الساحل الجزائري إبتداء من الثامن نوفمبر سنة إثنتين وأربعين وتسعمائة وألف.

إن ذلك الحدث قد حتم على قادة الساحة السياسية الوطنية الجزائرية الإسراع في التلاقي من أجل التشاور حول ما ينبغي القيام به لحماية الشعب الجزائري وتمكينه من تقرير مصيره بنفسه وإسترجاع سيادته التي كانت قد إغتصبت سنة 1830.

وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي أوجدتها الحرب الإمبريالية الثانية (1) والتي لم يكن من شأنها المساعدة على تسهيل الإتصالات بين أولائك القادة الذين كان منهم من يعيش في الإقامة الجبرية(2) ومنهم من كان متخفيا ويعيش حياة سرية(3) في حين كان بعضهم يتحايل للبقاء طليقا(4) ليكون همزة الوصل التي لابد منها لتبادل الأراء والأفكار ولمحاولة إيجاد الأرضية الملائمة لتوحيد الجهود النضالية وتقريب وجهات النظر حول كيفية التصدي للغزو الأجنبي بجميع أنواعه؛ فعلى الرغم من تلك الظروف الإستثنائية، في واقع الأمر، فإن الطاقات الفكرية الوطنية قد وجدت طريقها إلى صياغة ما سوف يصطلح على تعريفه ببيان الشعب الجزائري الذي، رغم توقيعه فقط من طرف مجموعة من المنتخبين الجزائريين، فإنه كان تعبيرا عاما عن كثير من المواقف السياسية والإيديولوجية والفكرية التي كانت حتى ذلك التاريخ حكرا على مناضلي الحركة المصالية في الجزائر.

لقد جاء البيان تقييما موضوعيا لمختلف المراحل التي قطعها الإستعمار الفرنسي في الجزائر والتي جعلت غلاة الغزاة يقولون " لقد سيطرنا على البلاد بالقوة، لأن الإحتلال لايكون إلا كذلك، وهو يستلزم غالبين ومغلوبين.

وعندما تم ترويض هؤلاء الأخرين تمكنا من تنظيم البلاد بالكيفية التي تشهد بتفوق الغالب على المغلوب، والمتحضر على الرجل الأدنى ، إننا نحن المالكون الشرعيون للبلاد - مجلة إفريقيا اللاتينية الصادرة بتاريخ ماي 1922.

وبعد تقييم مراحل الإستعمار، توقف البيان عند أهم المقاومات الشعبية وماترتب عنها من تصميم وعزم في صفوف الجزائريين ومن إفقار وتهميش لهم سبب إغتصاب أراضيهم و انتزاع سائر ممتلكاتهم

قبل إخضاعهم لقوانين الإضطهاد والإستبداد(6) التي يعتبر قانون الأنديجينا واحد من أفضلها وأكثرها رحمة.

ولم ينس البيان مجموعة مشاريع الإصلاح والوعود الرامية إلى تمكين الجزائري من أسباب الرقي والتقدم، بدءا من إقتراح المارشال بيجو الموجه لحكومته سنة 1844 والقائل: " إننا أبدينا قوتنا وعظمتنا للقبائل الإفريقية، وأصبح علينا الآن، أن نظهر لها طيبتنا وعدلنا "، ومرورا بإقتراح ميشلان وقوتي Michelin et Gautier سنة 1887 حول إمكانية منح صفة المواطنة الفرنسية لمسلمي الجزائر، ومشاريع مارتينو Martineau سنة 1890 وجان جوريس سنة 1898 وكليمانسو سنة 1915، وإنتهاء بمشروع فيوليت Violette الذي يعطي حق المواطنة الفرنسية لحوالي ثلاثين ألف جزائري.

وبعد التأكيد على أن كل تلك المشاريع وتلك الوعود لم تجد طريقها إلى التنفيذ وظلت حبرا على ورق بسبب تعنت الكولون الذين كانوا يتعاملون مع القضية الجزائرية على أساس عرقي وديني، خلص البيان إلى القول: " لقد فات الآوان الذي كان المسلم الجزائري يطلب فيه أن يكون شيئا آخر غير جزائري مسلم، وبعد إلغاء مرسوم كريمو Crémieux خاصة، فإن الجنسية والمواطنة الجزائريتين قد أصبحتا ملاذه الأفضل بإعتبارهما تتضمنان الحل الأكثر وضوحا ومنطقية لمسألة تطوره وتحرره."

إنطلاقا من كل ما تقدم وتماشيا مع الواقع الجديد الذي أوجده ذلكم البيان الذي أصدره الرئيس روسفالت Roosevelt بإسم الحلفاء والذي يضمن إحترام حقوق كافة الشعوب الصغيرة والكبيرة، فإن بيان الشعب الجزائري قد حدد الأهداف الأساسية في خمس نقاط هي:

1- إدانة الإستعمار وإلغائه؛ ومعنى الإستعمار هو إلحاق واستغلاق شعب من طرف شعب آخر، وهو شكل جماعي للإستعباد الذي كان يمارس على الأفراد في العصور الوسطى، وعلاوة على ذلك، فهو واحد من الأسباب الرئيسية للتنافس والتطاحن بين الدول العظمى.

2 - تطبيق جميع البلدان الصغيرة والكبيرة لحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها.

3 - تزويد الجزائر بدستور خاص بها يضمن:

أ – الحرية والمساواة المطلقة بين سائر سكانها دون أي تمييز عنصري أو ديني.

ب – إلغاء الملكية الإقطاعية وذلك بواسطة إصلاح زراعي واسع وتمكين أغلبية الفلاحين المعدومين من حقهم في العيش الرغيد.

ج – الإعتراف باللغة العربية لغة رسمية على غرار اللغة الفرنسية.

د – حرية الصحافة وحق إنشاء الجمعيات.

هـ – مجانية التعليم وإجباريته لجميع الأطفال من الجنسين.

و – حرية التدين بالنسبة لجميع السكان وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة فيما يخص جميع الأديان.

4 - مساهمة جميع الجزائريين المسلمين مساهمة فورية وفاعلة في تسيير بلادهم إقتداء بمافعلته حكومة الجلالة البريطانية والجنرال كاترو Catroux في سوريا، وحكومة المارشال بيتان Pétain والألمان في تونس. إن هذه الحكومة الجزائرية وحدها هي التي تستطيع تحقيق إشتراك الشعب الجزائري في الكفاح المشترك وذلك في جو من الوحدة المطلقة.

5 - إطلاق سراح جميع المحكوم عليهم والمعتقلين السياسيين على إختلاف أحزابهم.

إن هذا البيان، في الظاهر، من وضع السيد فرحات عباس الذي يجمع المؤرخون الغربيون خاصة، أنه هو الذي أقنع المنتخبين بمعقولية ماورد فيه من آراء وأفكار، ثم جعلهم يتحملون مسؤولياتهم في التوقيع عليه وفي تقديمه إلى الحلفاء وإلى ممثل السلطات الإستعمارية في الجزائر. لكن قراءة فاحصة ومتأنية تقودنا حتما إلى ضبط المواطن المعبرة عن تأثير سائر التشكيلات الوطنية وإلى كشف بصمات أمثال الدكتور محمد الأمين دباغين وحسين عسلة اللذين شاركا مشاركة فعلية في الصياغة كي تكون مقبولة من طرف القواعد المناضلة في صفوف الحركة المصالية ومن طرف المعتدلين في باقي التشكيلات السياسية والإجتماعية العاملة بالجزائر.

وعندما يتوقف القارىء عند سائر الأفكار الرئيسية التي تضمنها البيان فإنه لايجد بدا من الإعتراف بأنها، في معظمها، مستوحاة من البرنامج السياسي الذي وضعه نجم شمال إفريقيا سنة 1944، لأن السيد فرحات عباس لم يكن متعودا على مجموعة المفاهيم والمصطلحات التي بني البيان على أساسها والتي كان مناضلو حزب الشعب الجزائري يحملون وحدهم لواء نشرها في أوساط الجماهير الشعبية والعمل على جعل هذه الأخيرة تتبناها عن وعي وتتجند قصد الإسهام في إدخالها حيز التنفيذ. ونذكر من جملة تلك المفاهيم والمصطلحات : " البرلمان الوطني الجزائري المنتخب بواسطة الإقتراع العام " و " إلغاء الملكية الإقطاعية بواسطة الإصلاح الزراعي الواسع " و" مجانية التعليم وإجباريته بالنسبة لأبناء الجزائر" و " المواطنة والجنسية الجزائريتان."

ومهما يكن من أمر، فإن البيان قد شكل، في وقته، همزة وصل ثابتة بين طموحات مختلف التيارات السياسية الوطنية في الجزائر وكان كما قال السيد أحمد بومنجل : " تعبيرا عن مصالحة أملتها التجربة

والظروف ". أما السلطات الإستعمارية، في الجزائر وفي فرنسا على حد سواء، فإنها قد إرتاعت للحدث وساءها خاصة أن يكون كل الموقعين من غير المعروفين بميولاتهم الوطنية، بل كان جميعهم من المنتخبين الذين إشتهروا بموالاتهم لفرنسا وحبهم لها وإذاكان السيد بايروتون Peyourthon قد إستقبل السيد فرحات عباس وأبدى له إستعدادات فرنسا المبدئية للتعامل مع البيان حيث إلتمس إجراء بعض التعديلات التي من شأنها صيانة الشرف الفرنسي، فإن الجنرال كاترو Catroux قد أدار الظهر لموقف سلفه. وعندما زاره السيدان عباس وطمزالي يوم 1943/06/11 قصد تسليمه ملحق البيان الذي وقعت صياغته إستجابة لرغبة الوالي العام السابق، أعلن لهما عن رفضه للوثيقتين مدعيا أن متطلبات الحرب تقتضي السكوت عن المطالب أيا كان نوعها.

إن كاترو، الإشتراكي المذهب(7) ، لم يتمكن من تجاوز عواطفه الوطنية للإعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، بل إنه فضل نكث عهد الوالي العام المستقبل وراح يضاعف المساعي الرامية إلى إيجاد الشروط اللازمة لتمكين بعض آلاف الجزائريين من المواطنة الفرنسية ولمحاربة بعض أنواع العسف والإستبداد المسلطة على أبناء المستعمرة. لكن فرحات عباس لم ينخدع لتلك الإجراءات الصبيانية، واستطاع تعبئة الأغلبية الساحقة من المنتخبين الجزائريين الذين رفضوا معه المشاركة في إجتماعات المندوبيات المالية ثم وجهوا نداء إلى الجنرالين ديغول وكاترو يؤكدون، من خلاله، إلتزامهم المطلق بما ورد في البيان وفي ملحقه.

وكان رد فعل الجنرال كاترو عنيفا، لجأ إليه من أجل الضغط على المنتخبين الذين كان يعرف أن عددا ممن وقع منهم مع عباس لم يفعلوا ذلك عن قناعة ولكنهم تبعوا الحركة آليا حتى لايقال، مستقبلا، إنهم

تخلفوا.

وتمثل رد الفعل ذلك في الإعلان يوم 1943/09/23 عن حل الفرعين الجزائريين للمندوبيات المالية وفي فرض الإقامة الجبرية على السيدين فرحات عباس وعبد القادر سائح متهما إياهما بتحريض المنتخبين على العصيان في وقت الحرب.

وكجواب على هذه الإجراءات التعسفية، نظم حزب الشعب الجزائري، المحلول رسميا، مظاهرات شعبية في مدن الجزائر وبسكرة وسكيكدة وقسنطينة رفعت فيها اللافتات المطالبة بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وفي مقدمتهم مصالي وعباس وسائح، لكن مدير الشؤون الإسلامية في الولاية العامة(8) ، إستطاع بمساعدة الدكتور طمزالي أن يقنع المنتخبين بالتراجع عن توقيعاتهم. ففي الخامس عشر من شهر أكتوبر إستقبل الجنرال كاترو مجموعة من المندوبين الماليين مكونة من إثنى عشر شخصا، وفي اليوم الموالي أصدرت اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني بيانا جاء فيه أن اللقاء حضره إلى جانب الجنرال كل من السيدين قونون Gonon الأمين العام للولاية العامة وأوغستين بارك مدير الشؤون الإسلامية، وناب عن مجموعة المندوبين الرئيس عبد النور طمزالي فوضح أن زملاءه يتأسفون عما حدث يوم 1943/09/22 ويؤكدون رغبتهم في أن تتم الإصلاحات بسرعة وفي إطار الشرعية والإستقرار داخل المجموعة الفرنسية ووفقا لمثل فرنسا الديمقراطية، كما أنهم يعربون بكل صدق عن وطنيتهم ووفائهم لفرنسا التي يتمنون لها تحريرا عاجلا وكاملا، وللجنة التحرير الوطني وللجنرال كاترو، فإنهم يعلنون عن ولائهم الشديد وإرادتهم في المساهمة في مجهود الحرب من أجل تحرير الوطن وانتصار الديمقراطيات(9).

وعلى إثر هذا التراجع المزري والمخطط له في آن واحد، أعلن الجنرال كاترو بتاريخ 1943/10/30 أنه سيسمح للمندوبيات المالية بإستئناف نشاطها لكنه لم يفرج عن السيدين عباس وسائح إلا في يوم 1943./12/02

هكذا، جعل كاترو قرار الإرجاع مربوطا بإعلان المندوبين عن توبتهم وإلتزامهم بعدم الخروج عن الصف ثانية، لكن الحقيقة لم تكن كذلك، فالمظاهرات الشعبية المشار إليها أعلاه مضافة إلى ريح التحرر التي بدأت تجتاح مختلف العالم المتخلف قد شكلت نوعا من الضغط على لجنة التحرير الوطني التي أعلنت، بواسطة خطاب ألقاه ديغول في قسنطينة يوم 22/ 12 /1943، أنها " تمنح، حينا، حقوق المواطنة الفرنسية كاملة لعدة عشرات الآلاف من المسلمين الفرنسيين في الجزائر... وفي نفس الوقت سوف ترتفع نسبة المسلمين الفرنسيين في الجزائر داخل سائر الجمعيات التي تنظر في القضايا المحلية(10) ."

وإذا كان عدد من المنتخبين وممن يسمون بالنخبة قد إبتهج لخطاب قسنطينة واعتبره بداية طيبة في طريق الإصلاحات المطلوبة والمنتظرة منذ عقود بأكملها، فإن فرحات عباس والعلماء والمصاليين قد رأوا في ذلك طبعة جديدة لمشروع فيولات، وراحوا يؤكدون من جديد أن الحل الوحيد يكمن فقط في إعادة إقامة الدولة الجزائرية المستقلة ومايصحب ذلك من برلمان ومواطنة وألوان وطنية.

وتطبيقا لما جاء في خطاب الجنرال ديغول، أصدرت اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني يوم 1943/12/14 (11) قرارا، كلفت بموجبه المندوب السامي الجنرال كاترو بتشكيل لجنة تسند لها مهمة وضع برنامج للإصلاحات السياسية والإجتماعية والإقتصادية لفائدة المسلمين الفرنسيين. ولقد تكونت اللجنة المذكورة بالفعل(12) وشرعت في عملها يوم 1943/12/21 و لم تتوقف عن سماع آراء الزعماء

السياسيين والأعيان الجزائريين إلا يوم 1944/07/08، ثـم جمعت كـل محاضرها في مجلدين يمكن الرجوع إليهمـا اليـوم في أرشيف آكـس آن بروفانس. Aix En Provence

إن المطلع على ماتضمنتـه تلـك المحـاضر يسـتطيع تصنيفهـا إلى ثلاثـة أنواع هي:

1- إدلاءات الأوربيـين الذيـن كـانوا جميعهـم رافضـين لتوحيـد هيـأة المنتخبين لكنهم غير متفقين فيما يخص منح المواطنة الفرنسية للمسلمين الجزائريين. ومن بين أولائك الأوربيين تجدر الإشارة إلى رئيس فيدرالية رؤسـاء البلديـات السـيد عبـو (Abbo) وعـامل عمالـة وهـران السـيد باتيسـتيني (Battistini) - و رئيـس بلديـة تلمسـان السـيد فـالور - (Valleur) وقد أشار كلهم على اللجنة بعدم تجاوز خمسين ألف مواطن جديد، ويبدو أن أمرية الجنرال ديغول قد أخذت ذلك في الإعتبار.

2 - إدلاءات الجزائريين الموالين لفرنسـا والمدافعـين عـن حـق المواطنـة الفرنسية دون التخلي عن الإطار الإسلامي للأحوال الشـخصية. ومـن بين هؤولاء، تجدر الإشارة إلى السادة : شيخ العرب إبن قانـة والشـيخ إبن تكوك شيخ الزاويـة السنوسية، والشـيخ السـاحلي أمقـران النـاطق بإسـم أعيـان منطقـة القبـائل والآغاسـليمان رئيـس الفـرع العربـي للمندوبيات المالية، وكذلك الدكاترة عبد السـلام طـالب وابـن جلـول ولخضري وعبد النـور طمـزالي ورونـي فضيـل والشـيخ الطيـب العقبي وعمار أوزقان الأمين الوطني للحزب الشيوعي الجزائري.

3 - إدلاءات الوطنيين وقد جاءت ضمـن ثـلاث وثـائق هـي حسـب ترتيبها الزمني:

أ - تصريح السيدين فرحات عباس وعبد القادر سائح.

جاء في هذا التصريح أن مبادرة اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني، المعلن عنها بواسطة رئيسها الجنرال ديغول، ليست إلا إعادة لمشروع فيولات الذي أدت معارضته، في الجزائر وفي فرنسا، إلى إقصائه نهائيا، مع العلم أن الأوضاع اليوم قد تغيرت عما كانت عليه سنة 1937. فالأمر لم يعد يتعلق بتوسيع إمتيازات طبقة إلى واحدة أو أكثر من فآت الأهالي، وإنما أصبح الهدف هو إلغاء تلك الإمتيازات وهدم كل دكتاتورية في الجزائر. لأجل ذلك، فإن الإصلاحات التي يمكن أن تكون في مستوى فرنسا الجديدة يجب أن تتم في إطار المبدأين التاليين:

1- إن الناس يولدون ويعيشون أحرارا وسواسية في الحقوق.
2- كل شعب حر في تقرير مصيره بنفسه.

وبعد التعرض من جديد إلى محتوى بيان الشعب الجزائري، أكد السيدان عباس وسائح أن الإستقلال الداخلي الذي ينبغي أن يحل محل النظام الإستعماري المتوحش يشكل قاعدة التجديد بالنسبة لفرنسا وللجزائر، وعليه يتوقف ميلاد نظام جديد.

* فالإستقلال الداخلي يضبط العلاقات بين فرنسا والجزائر منطقيا وعقلانيا بحيث تكون علاقات شعب بشعب.

* إنه يترك لفرنسا حق النظر في عملية تطوير الجزائر.
* إنه يضع حدا للغموض وللتحايلات التي يلجأ إليها النظام الإستعماري لتأبيد سيطرته.
* إنه يقضي على مصادر الخلاف حول ممارسة المواطنة في الجزائر واحترام العادات والديانة الإسلامية، كما أنه يحول دون مخاطر مغامرة مثل تلك التي يعيشها يهود الجزائر بعد إلغاء مرسوم كريميو(13) Décret Crémieux

إنه يحترم مبدأ اللامركزية الذي هو مصدر حياة أو موت بالنسبة للجزائر ولغيرها من البلدان، وذلك لأن الإستقلال الداخلي يبقي المجالس الجزائرية ويجعلها ديمقراطية، ويحول الولاية العامة إلى حكومة جزائرية.

* إنه يعطي إمكانية تكوين فدرالية شمال إفريقية مع تونس والمغرب، تحت إشراف فرنسا.

* إنه يرضي كل السكان المسلمين الذين عندما يستشارون بواسطة الإستفتاء، سوف يوافقون عليه بالإجماع.

ب - شهادة الشيخ البشير الإبراهيمي

في اليوم الثالث من شهر جانفي سنة 1944 وهو نفس اليوم الذي سلم فيه عباس وسائح تصريحهما تقدم الشيخ البشير الإبراهيمي إلى أعضاء اللجنة وعبر لهم، أصالة عن نفسه ونيابة عن العلماء الجزائريين، عن رفض مشروع الإصلاح المقدم من قبل اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني والذي هو فقط محاولة لإحياء مشروع فيولات الذي كانت جمعية العلماء قد وافقت عليه، في حينه، لكن " من الناحية التكتيكية وللتمكن من الوصول إلى ماهو أفضل". وقبل الإستئذان بالخروج سلم الشيخ البشير الإبراهيمي لمكتب اللجنة مذكرة مطولة عالج، من خلالها، نقاطا ثلاثا هي صلب برنامج عمل الجمعية التي يرأسها وجاء يتحدث بإسمها.

ولقد حرص الشيخ، في مقدمة المذكرة، على تأكيد دور الجمعية الإصلاحي الديني مبينا أن هذا الدور لن يكتمل إلا في جو من إصلاح التعليم والإصلاح السياسي. لأجل ذلك، وعلى الرغم من كون العلماء لم يسطروا برنامجا سياسيا خاصا بهم، فإنهم لم يخفوا قناعتهم بخصائص الشعب الجزائري الذي لاتربطه بفرنسا سوى مجموعة من المصالح. وهم إذ يعتبرون أن " الإصلاحات الإسلامية" كل لايتجزأ وينبغي أن

تشمل كافة المجالات السياسية والثقافية والإقتصادية، فإنهم يركزون في مرحلة أولى، على ضرورة الإسراع بإصلاح القضاء الإسلامي والمساجد والأوقاف والتعليم العربي.

فبالنسبة للقضاء الإسلامي، ترى مذكرة الشيخ الإبراهيمي أنه في وضع يرثى له من الناحيتين النظرية والعملية، وأن تصريحات الجنرال ديغول فيما يخص الإبقاء على الأحوال الشخصية لامعنى لها، لأن الموضوع أفرغ من محتواه الحقيقي و لم تترك الإدارة الإستعمارية للقاضي المسلم سوى النظر في مسألتي الزواج والطلاق اللتين يمكن للقضاء الإستعماري التدخل فيهما على مستوى الإستئناف.

ومن الناحية النظرية، فإن تكوين القضاة مدعاة للتأسف الشديد حيث لايشتمل" على تعليم الشريعة الإسلامية التي هي أساس القضاء في الإسلام" وهو يفتقر إلى المنهجية السليمة التي من شأنها أن تجعل الطالب قادرا على تأدية الأغراض المسطورة له، وحائزا على الكفاءة اللازمة والضرورية للقيام بوظيفة القاضي.

وعندما يحصل كل ذلك بواسطة تطوير برامج التعليم وحسن إختيار الأساتذة المقتدرين، فإن الشيخ البشير الإبراهيمي يرى من الضروري تشكيل هيأة يرجع إليها في إختيار القضاة وتعطى لها سلطة مراقبة أحكامهم.

وفيما يخص التعليم العربي الحر، فإن الشعب الجزائري ما فتىء يحتج على إجراءات الإضطهاد المسلطة على لغته التي تصله بدينه وتاريخه وثقافته، علما بأن تعليمها في المدارس الحكومية يكاد يكون بدون معنى وتعليمها في المدارس الحرة معرض للقمع الإداري. فعلى هذا الأساس يجب أن تخصص الإصلاحات مكانة مرموقة للتعليم العربي بحيث " تعطى الحرية المطلقة للشعب الجزائري المسلم يعلم أبناءه لغة الدين والثقافة... علما بأن الحكومة الفرنسية لن تتحمل أي مصروف في

الموضوع، لأن المسلمين مستعدون للتبرع بالأموال اللازمة لذلك" (14).

وعن المساجد وأوقافها والعاملين بها، فإن مذكرة الشيخ البشير الإبراهيمي تتوقف عند ممارسات الولاية العامة التي تحتكر تسيير المساجد وتعيين أئمتها ومؤذنيها والإشراف المطلق على أوقافها والتي تسعى بجميع الوسائل لمنع تطبيق القانون الخاص بفصل الدين عن الحكومة طبقا لمرسوم السابع سبتمبر سنة سبع وتسعمائة وألف، ليس حبا في الإسلام وعملا على رعايته كما تزعم الإدارة الإستعمارية، ولكن عملا على منع المسجد من تأدية الدور الحقيقي الذي وجد من أجله وتهميش الإسلام بعد تزييفه وتحريفه وإغراقه في متاهات الخرافة والشعوذة.

من هذا المنطلق، فإن الإصلاحات يجب أن تمكن الشعب المسلم في الجزائر من تولي تسيير مساجده وأوقافه بنفسه " لأنه هو الوحيد المؤهل لذلك، ولأن ذلك يتوقف فقط على السماح له بتشكيل لجنة دينية من الأشخاص الذين يثق في علمهم وسلوكهم تتولى الإشراف على الممتلكات وكذلك إختيار الأئمة والمؤذنين.(15) "

إن ممثلي جميع اللجان الدينية التي تكون قد تشكلت بعيدا عن نفوذ الإدارة الإستعمارية يجتمعون في العاصمة، دوريا، تحت إشراف هيأة عليا يختارونها بأنفسهم، للنظر في جميع القضايا الدينية وبحث كل ما يستعسر من شؤونها مع ممثلي الحكومة الفرنسية.

وفيما يتعلق بالإصلاحات السياسية أشارت المذكرة إلى أن " الإعلان الرسمي عن منح المواطنة الفرنسية لبضع عشرات الآلاف من المسلمين الجزائريين دون الإستشارة المسبقة للشعب المعني مباشرة، قد أعاد إلى الأذهان ذكرى مشروع فيولات الذي ذهب أدراج الرياح لأنه لم يكن صالحا.... إن الشعب الجزائري المسلم يعتبر أن مثل هذا

المسعى يقود إلى الإندماج الـذي يرفضـه كمـا يرفـض بشـدة إستبدال هويته وشخصيته الإسلامية.(16)"

وإذا كانت فرنسا ترغب، فعلا، في إجراء الإصلاحات السياسية فإن عليها أن تـأخذ في الإعتبـار مصلحـة الجزائريـين الأولى الـتي تكمـن في العمل على إبعاد الشبح المخيف المتمثل في إستعمارهم من طرف جنس آخر واستغلالهم من طرف فئـة مـن الأجـانب. وتسـهيلا للوصـول إلى هذه النتائج التي لابد منها لنجاح الإصلاحـات الجديـدة، يعـدد الشـيخ الإبراهيمي مايلي:

1- إنشاء المواطنة الجزائرية التي تستفيد منها مختلف عناصر سكان هذا البلد بدون تمييز عرقي أو ديني والتي تنشأ معها نفـس الحقـوق للجميـع ونفس الواجبات عليهم.

2- إسـتبدال الميكنزمـات الإسـتعمارية بنظـام حكومـي، أي بحكومـة جزائرية تكون مسؤولة أمام البرلمان الجزائري.

3- السماح لجميع الجزائريـين بالإرتقـاء إلى جميـع المنـاصب الوظيفيـة بدون شرط آخر غير الكفاءة المهنية اللازمة لذلك.

4- إعتبار اللغة العربية رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية.

5- حرية التدين، وحرية كل مجموعة دينية في الإشراف على أوقافهـا ومؤسساتها الدينية.

6- إخضاع الأحوال الشخصية الإسلامية لقضاء إسلامي محض.

ج - تصريح الحاج مصالي كتبه في الشلالة يوم 1944/01/07 وسلمه إلى اللجنة بعد ذلك بأسبوع.

لقد كان خطاب الجنرال ديغول في نظر الحاج مصـالي مجـرد تخريجـة جديدة لمشروع فيولات الذي حاربـه حـزب الشـعب الجزائـري بكـل قواه سنة 1937 والذي لم يجد أنصاره من الجزائريين إلا بسـبب اليـأس من الحصول على شيىء آخر. لكن ست سنوات من خبرة الإستعمار

قد غيرت الأوضاع ومكنت من ظهور تطور ملحوظ على الساحة السياسية في الجزائر، أما فيما يخصنا، فإن موقفنا لم يتبدل : لقد عارضنا مشروع فيولات ونحن نعارض مشروع 1943 للأسباب التالية:

* لأنه مناف للديمقراطية إذ يحدث فئة من ذوي الإمتيازات ويبقي الأغلبية الساحقة خاضعة للسياسة الإستعمارية.
* لأنه يتناقض مع طموحات الشعب الجزائري المسلم الذي هو وفي للغته ودينه وماضيه التاريخي.
* لأن سياسة الإندماج قد فشلت وأصبح من الضروري إستبدالها بسياسة تحررية لحل المشكل الجزائري.
* لأن المسلمين الجزائريين لم يعودوا يقبلون المعاملة، في بلدهم، كأناس دون الأقليات التي تعيش معهم وهي تتمتع بجميع الإمتيازات.
* لأن الجزائري المسلم يريد بإلحاح المواطنة الجزائرية التي تضمن له إحترام لغته ودينه وحقوقه السياسية والإجتماعية والإقتصادية الضرورية لتقدمه.
* لأن الإنسان الجزائري يرى أن الديمقراطية تكمن في حريات الإنسان وفي حرية الشعوب في تقرير مصيرها.
* لأنه لايمكن الإستمرار بواسطة نظام إستعماري، في حرمان ثمانية ملايين عربي من تسيير بلادهم وترك ذلك لأقلية تتحكم في كل صغيرة وكبيرة.

ولتجاوز هذه الأوضاع اللاطبيعية، قال السيد الحاج مصالي أنه يطالب بممارسة الديمقراطية في جميع المجالس الجزائرية وبتحويل المندوبيات المالية إلى برلمان جزائري ينتخب بواسطة الإقتراع العام من طرف كافة الجزائريين بدون أي تمييز عرقي أو ديني.

وقبل الإنتهاء من عرضه لفت السيد مصالي إنتباه أعضاء اللجنة إلى أمرين إثنين عبر عنهما كالآتي :

1- أن الأفكار السياسية التي أوردتها أمامكم ليست جديدة، بل دافعت عنها في فرنسا وفي الجزائر أمام المحاكم التي كان لي شرف المثول أمامها من أجل نفس هذه الآراء. معنى ذلك، أيها السادة، أنني لم أنتظر استسلام فرنسا سنة 1940 لإبداء عواطفي تجاه المشكل الجزائري.

2- أرجو من اللجنة أن تقدم للحكومة مشروع عفو عام على جميع المعتقلين السياسيين سواء كانوا محبوسين أو في الإقامة الجبرية، لأن التقاليد الجمهورية، في فرنسا، تقتضي أن يسبق كل إنجاز تحرير الذين سجنوا من أجله.

لقد ظلت اللجنة تستمع إلى أعيان الجزائريين وشخصياتهم طيلة الفترة الممتدة مابين 1943/12/21 و 1944/07/08، لكن اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني لم تعر كثير إهتمام لمحاضرها، بل إن الجنرال ديغول لم يحاول حتى تطوير خطابه الذي كان في أساس تشكيل اللجنة المذكورة، وبدلا من أن يأخذ في الإعتبار التوجه الوطني الجديد الذي أجمع قادته على ضرورة تجاوز الماضي العقيم لفتح آفاق المستقبل الواعد، فإنه لم يجد غير نص أمرية أصدرها على عجل بتاريخ السابع مارس سنة أربع وأربعين وتسعمائة وألف دون أن يجهد نفسه لإزالة ما تميز به من غموض وتناقض.

فالمادة الأولى من تلك الأمرية تنص صراحة على أن المسلمين وغير المسلمين في الجزائر فرنسيون، يتمتعون بنفس الحقوق ويخضعون لنفس الواجبات . لكن المادة الثالثة تؤكد أن المواطنة الفرنسية لاتعطى إلا للمسلمين الذكور الذين يتجاوز سنهم واحدة وعشرين حجة والذين

ينتمون إلى مجموعة من الفيآت الإجتماعية التي تتوفر فيها شروط ذكر مدير الشؤون الأهلية، بعد الإحصاء، أنها تجعل المستفيدين من تلك المواطنة لايزيد عددهم عن 285,65 شخصا.

أما المادة الرابعة، فإنها تشير إلى بقاء الهيأتين الإنتخابيتين وتؤكد تمثيل الجزائريين في المجالس العامة والمندوبيات المالية بنسبة خمسي (2/5) أعضائها.

وتنص المادة السادسة على أن سكان وادي ميزاب وسكان سائر المناطق الصحراوية يخضعون لقانون خاص.

إن هذه الأمرية، زيادة على التناقض الحاصل بين موادها، تتناقض من حيث مضمونها مع خطاب الموقع عليها الذي ألقاه بمناسبة إنعقاد ندوة برازافيل في الفترة ما بين 01/30/ و 1944/02/08 والذي جاء فيه على الخصوص : " إنه لن يكون هناك تقدم بمعنى الكلمة إذا كان أبناء البلد لايستفيدون منه معنويا وماديا (17)." وعلى الرغم من ذلك فإنها صدرت بإسم اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني وحظيت بمساندة المجلس الإستشاري وجميع الأحزاب المشاركة في المقاومة بما في ذلك الحزب الشيوعي الفرنسي الذي صرح ممثله قائلا: " إن الجمهورية الفرنسية، الميتروبول وما وراء البحار، واحدة ولا تتجزأ(18)."

وإذا كانت وحدة الفرنسيين قد تجلت في تصميمهم على منع شعوب المستعمرات من ممارسة حقها في تقرير مصيرها بنفسها، متجاوزين، في ذلك، كل القناعات الفكرية والتوجهات الإيديولوجية، وضاربين عرض الحائط سائر المثل والمبادىء والشعارات التي كانت، يومها، تشكل أساس الخطاب السياسي في فرنسا وفي العالم أجمع، فإن الطاقات الوطنية الجزائرية، أيضا، قد وجدت طريقها إلى التوحد حول برنامج سياسي أدنى ألقت به إلى الشارع في إطار تنظيم إتفقت على تسميته " أحباب البيان والحرية ." إن السيد فرحات عباس هو الذي

صاغ القانون الأساسي للتنظيم الجديد بعد أن أخذ موافقة قطبي الحركة الوطنية في ذلك الوقت : السيد الحاج مصالي والشيخ محمد البشير الإبراهيمي. وفي اليوم الرابع من شهر أفريل سنة أربع وأربعين وتسعمائة وألف، قدم الوثيقة إلى المصالح المختصة لدى عمالة قسنطينة من أجل الحصول على الترخيص الرسمي الضروري لإنطلاق النشاط الميداني في كافة أنحاء التراب الوطني.

إن " أحباب البيان والحرية " تجمع يهدف إلى التعريف ببيان الشعب الجزائري والدفاع عنه أمام الرأي العام الجزائري والفرنسي، كما أنه يرمي إلى المطالبة بحرية التعبير لجميع الجزائريين. ولقد تفنن السيد فرحات عباس أثناء صياغة القانون الأساسي، في إختيار الكلمات والتعابير التي لا تثير حساسية السلطات الفرنسية. وعلى هذا الأساس فإن التجمع الجديد لن يستعمل سوى سلاح القول والكتابة لمحاربة الإستعمار وللتصدي إلى عنف القوات الإمبريالية وإعتداءاتها في إفريقيا وآسيا ضد الشعوب الضعيفة. وبالنسبة للعمل داخل الجزائر، فإن التجمع قد حصر مجالات نشاطه في مساعدة ضحايا قوانين الإستثناء والقمع الإستعماري، وتعميم فكرة الأمة الجزائرية وتحبيذ إقامة جمهورية مستقلة ذاتيا ومتحدة مع الجمهورية الفرنسية المتجددة والمناهضة للإستعمار والإمبريالية.

ويرى التجمع أن هذه الأهداف يمكن تحقيقها بواسطة المحاضرات والندوات في جميع الأوساط والأوساط الفرنسية على وجه الخصوص بغرض محاربة الإمتيازات التي تستحوذ عليها الطبقات المسيطرة، والدعوة إلى تحقيق المساواة بين الناس وتمكين الشعب الجزائري من حقه في ممارسة الحياة الوطنية مع التذكير بتاريخه العريق وإسهاماته في إثراء الفكر الإنساني وتضحياته في سبيل تحرير فرنسا ومن أجل إنتصار الشعوب الأوربية وقضايا الديمقراطية(19).

وعلى الرغم من أن القانون الأساسي لأحباب البيان والحرية قد إكتفى فقط بملامسة الأفكار الرئيسية التي تضمنها البيان الذي كان في أساس التجمع، فإن هذا الأخير قد عرف إقبالا منقطع النظير من طرف مختلف الفيآت الإجتماعية الجزائرية التي شعرت، لأول مرة، أن ثمة حركة وطنية قادرة على إخراج البلاد من حالة الإستعمار والتبعية. ومما لا شك فيه أن للإقبال المذكور دوافع متعددة لكننا نعتقد أن أهمها ما يلي :

1- تمكن أكثر الزعماء شهرة في أوساط الجماهير الشعبية من الإلتقاء حول الخطوط العريضة لبرنامج واسع جاء، رغم بساطته، معبرا تعبيرا صادقا عن طموحات أغلبية أفراد الشعب الجزائري.

وبالفعل فإن قراءة فاحصة للبيان وملحقه تقودنا، حتما، إلى التعرف على مختلف التنازلات التي قدمها كل واحد من الأطراف الرئيسية الثلاثة على الأقل. فالسيد فرحات عباس وافق على أن تقبر إلى الأبد قناعاته الخاصة بإمكانية الحصول على المساواة التي يتوقف عليها الإرتقاء إلى المواطنة الفرنسية التي كان يعتقد أنها تفتح أبواب الرقي والتقدم لأبناء جلدته ممن كانوا يسمون بالأهالي.

وأكثر من ذلك، أصبح يؤمن بضرورة إقامة الجمهورية الجزائرية والبرلمان الجزائري الذي يتم إنتخابه بواسطة الإقتراع العام المفتوح لجميع سكان الجزائر بدون أدنى تمييز في أي مجال كان، أما السيد الحاج مصالي فإنه أغمض عينيه عن أنجع وسيلة تمكن الجزائر من إسترجاع إستقلالها وهي : العنف الثوري كما أنه وافق السيد عباس على العمل من أجل جمهورية جزائرية متحدة مع فرنسا .(20)

وأما الشيخ البشير الإبراهيمي فإنه أعلن صراحة أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مستعدة لخوض المعارك السياسية على أساس ما

ورد في بيان الشعب الجزائري وملحقه وذلك بالإضافة إلى الدور الثقافي والتعليمي والديني المذكور في قانونها الأساسي الصادر بتاريخ الخامس ماي سنة واحدة وثلاثين وتسعمائة وألف.

2- نشاط مناضلي حزب الشعب المحلول رسميا والمنتشر فعليا عبر مختلف أنحاء الوطن. لقد إستطاع أولائك المناضلون توظيف خبرتهم الواسعة في تعميم الأفكار الجديدة وجعلها في متناول الجماهير الشعبية الواسعة.

3- إزالة جميع الحواجز البيروقراطية التي من شأنها الحد من رغبة المواطنين وجعلهم يترددون أو يحجمون عن الإلتحاق بالصفوف. وبالفعل، فإن الإنضمام إلى التجمع لم يكن مشروطا بتقديم أي ملف ماعدا تصريح على ورق عادي يعبر فيه صاحبه البالغ من العمر أكثر من 18 سنة، عن إرادته في الإلتحاق بأحباب البيان والحرية.

4- إنشاء لجان محلية للتجمع في سائر أنحاء الوطن والعمل على ربطها بسرعة بلجان العمالات التابعة مباشرة إلى اللجنة المركزية.(21)

إن هذه الدوافع مجتمعة قد جعلت أحباب البيان والحرية،يتحول،بسرعة فائقة،إلى أكبر تجمع وطني في الجزائر مقبول من جميع أصناف الشعب ومشتمل في صفوفه على أكثر من نصف مليون منخرط بعد سنة واحدة من ميلاده فقط. (22) وعلى الرغم من أن تجمع أحباب البيان والحرية لا يذكر إلا مقرونا بإسم السيد فرحات عباس والدكتور سعدان بدرجة أقل، فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب الجزائري قد شكلا منذ اللحظات الأولى، قلبه النابض: وبدونهما ما كان يمكن له أن يتجذر بتلك السرعة، في فقادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد تحركوا مع حلول شهر أفريل 1944، في جميع إتجاهات الوطن يدعون الناس إلى الإلتفاف حول المولود الجديد مركزين على ضرورة التمسك بالإسلام و بلغة

القرآن ومؤكدين على أن الوقت قد حان لتوحيد الجهد الوطني في سبيل تقويض أركان الإستعمار. وكانت تلك الجولات مناسبة لتحريض المواطنين على الإلتزام بمبادىء الإسلام، وعلى التبرع بما يستطيعون من أموال لبناء المدارس الحرة وللمساعدة على توفير الشروط اللازمة لنشر التربية الإسلامية الصحيحة. ولقد كانت لهذا المسعى آثاره الإيجابية يمكن إستشفاف بعضها من خلال إرتفاع عدد المصلين وظهور جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانتشار نشيد الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس :" الشعب الجزائري " الذي أصبح على السنة الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب.

وعبأ حزب الشعب الجزائري المحظور كل طاقاته النظالية لهيكلة التجمع الجديد ولإعطائه نفسا وطنيا قادرا على سد الطريق في وجه السلطات الإستعمارية التي صارت تسعى بكل الوسائل لإسترجاع ثقة من كان يسمون بالمعتدلين ولفصل العلماء عن الحركة المصالية .

ومن جهة أخرى، إتخذت قيادة الحزب من أحباب البيان والحرية غطاء للقيام بنشاطها السري في إتجاه الشباب الجزائري المتعلم حيث تمكنت من تأسيس جمعية التلاميذ المسلمين في الثانوي (23) ورابطة الطلبة المسلمين الجزائريين في الجامعة(24) ، ومن تعميم الشعارات والمبادىء الثورية في سائر الأوساط الشعبية. وعندما يرجع الدارس، اليوم، إلى نشرية اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني في أعدادها الصادرة مابين شهري أفريل وديسمبر سنة 1944 يدرك مدى فعالية التنظيم الذي كان عليه حزب الشعب الجزائري المحلول الذي تمكن، في الفترة المشار إليها، من تحويل حيطان الجزائر إلى لافتات عملاقة يقرأ عليها الصغير والكبير : " حرروا مصالي والمعتقلين السياسيين " "الجزائر أمة حرة " " ليس في الدنيا ما يمكن أن يحول الإنسان العربي إلى إنسان فرنسي " "عاش بيان الشعب الجزائري " " كلنا فداء الجزائر ". و في

النشرية الإعلامية التي أصدرتها الولاية العامة في شهر أفريل سنة 1944 يجد القارىء إشارات كثيرة إلى وجود " قوات الداخل العربية" التي هي تنظيم سري أوجده الحزب لإشعال فتيل الثورة عندما يحين أوانها وعندما ترفض السلطات الإستعمارية تمكين الشعب الجزائري من ممارسة حقه في تقرير مصيره.

وفي نشريتي اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني الصادرتين في شهر أكتوبر ونوفمبر سنة 1944 تركيز على إشتراك حزب الشعب الجزائري مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم حملة واسعة النطاق لمقاطعة دور سينما الأوربيين ومقاهيهم ومتاجرهم ولمحاربة الخمارات بجميع أنواعها.

ولكي يحقق حزب الشعب الجزائري أهدافه البعيدة المتمثلة في الإستعداد للمعركة الكبرى من أجل إسترجاع السيادة الوطنية، أسس جريدتين إحداهما بالفرنسية وهي " L'Action Algérienne " : والثانية باللغة العربية وهي : " الجزائرالحرة " وقد ظلتا تصدران إلى ما بعد حركة ماي 1945 الثورية، دون أن تتمكن السلطات الإستعمارية من العثور على مكان طباعتهما ولا من التعرف على أعضاء هيأة تحريرهما وذلك رغم كل ما استعملته من وسائل وما جندته من إمكانيات (25)

ولضمان إستمرارية التوجه الوطني لأحباب البيان والحرية، يذكر السيد محمد السعيد معزوزي (26) إن الحاج مصالي أصدر تعليمات صارمة إلى مناضلي القواعد الحزبية في كل أنحاء البلاد كي يشغلوا منصبي المالية والسكرتارية في جميع الفروع المحلية. وإضافة إلى ذلك تجدر الإشارة إلى أن مكتب إتحادية عمالة قسنطينة تشكل كله من مسؤولين قياديين في حزب الشعب الجزائري المحلول.(هؤلاء المسؤولون هم : الشاذلي مكي ، مسعود بوقدوم و جمال دردور).

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فإنها هي الأخرى،قد إستعملت غطاء أحباب البيان والحرية لتقييم مسيرتها وبلورة أفكارها وآرائها من خلال مذكرة مفصلة وجهتها بتاريخ 1944/08/15 إلى السلطات الفرنسية.

إن جمعية العلماء، تقول المذكرة، ترى أن تسيير المساجد وسائر المؤسسات الإسلامية يجب أن يكون من إختصاص الجماعة الإسلامية، وأن الأوقاف ينبغي أن تخرج من قبضة الإدارة الإستعمارية حتى يتسنى للمشرفين عليها أن ينفقوا مدخولاتها في سد الحاجات الدينية والإجتماعية بعيدا عن كل تدخل أجنبي مهما كان نوعه - والشعب المسلم في الجزائر أولى من غيره بإختيار أئمته ودعاته وأساتذته وقضاته. وبما أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مسؤولة على رسالتها أمام الله وأمام كافة أفراد الشعب، فإنها ترفع إلى السلطات الفرنسية، فيما يلي، موقفها من الموضوعات الحيوية الثلاثة التالية:

1- تطبيق مبدإ فصل الدين الإسلامي عن الإدارة.

في مرحلة الإستعمار الأولى قامت الحكومة الفرنسية بإتخاذ عدد من الإجراءات والتدابير إستحوذت، بموجبها، على المساجد والأوقاف التابعة لها، موهمة الناس بأنها تسعى إلى توفير الشروط اللازمة ليكون الإسلام محترما طبقا لمعاهدة الإستسلام ؛ غير أن التاريخ بين عكس ذلك وأثبت أن الإدارة الفرنسية لم تترك أي مجال لتنفس المسلمين. وحينما جاءت الجمهورية الثالثة ورفعت شعار فصل الدين عن الدولة، فإن المؤسسات الإسلامية لم تستفد من ذلك، وحتى عندما صدر مرسوم 27 سبتمبر 1907، فإن الإدارة الإستعمارية لم ترفع يدها عن تلك المؤسسات بل أنها صارت تتفنن في إذلال المسلمين وإهانتهم إلى درجة أنها لم تعد تستحي من تشكيل الجمعيات الدينية وتعيين المشرفين عليها من بين المسيحيين والأميين. وعلى إثر الحرب الإمبريالية

الأولى أصبحت المناصب المالية في المساجد خاصة، تسند إلى قدماء المحاربين بقطع النظر عن تكوينهم وانتماءاتهم ثم جاء بيان الجنرال كاترو المؤرخ بيوم 1944/08/04 والمبشر بتطبيق المرسوم المذكور أعلاه، فاستبشر المسلمون خيرا لكنهم سرعان ما خاب ظنهم عندما أقدمت الإدارة في نفس الأسبوع على تعيين مفتي الجزائر بالطريقة القديمة ووفقا للمعايير الإستعمارية المعهودة. إن التمعن في مختلف هذه المراحل هو الذي جعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تقترح على الحكومة الفرنسية برنامج عمل من شأن تطبيقه أن يقود إلى تحرير الإسلام وتمكين المسلمين، في الجزائر، من ممارسة دينهم كما ينبغي ويتكون البرنامج المذكور من المراحل الأساسية الآتية:

أ- يؤسس في الجزائر العاصمة مجلس إسلامي أعلى موقت يكون مكونا من عناصر ثلاثة هي:

-بعض العلماء الأحرار المعروفين في الأوساط الإسلامية

-بعض الأعيان المسلمين المعروفين بتدينهم وبعدم تقلدهم لأية وظيفة رسمية.

-بعض الموظفين المسلمين شريطة ألا يتجاوز عددهم نصف أعضاء المجلس .

ب - يتولى المجلس المذكور تكوين الجمعيات الدينية عبر مختلف أنحاء البلاد على أساس المقدرة والكفاءة وحيث تكون هذه الجمعيات موجودة مع توفر المعايير المطلوبة ، فإنه يرسمها.

ج - بعد تنصيب مكاتب الجمعيات ينظم مؤتمر يحضره، زيادة على أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى المؤقت، رؤساء الجمعيات الدينية وبعض الأعضاء البارزين.

د - تكون قرارات المؤتمر ملزمة وتظل كذلك إلى أن يفسخها مؤتمر لاحق، علما بأن المؤتمر ينعقد سنويا طبقا لقانونه الأساسي ونظامه الداخلي.

هـ - مع إنعقاد المؤتمر الأول، يحل المجلس الإسلامي الأعلى المؤقت ويترك مكانه للمؤتمرين الذين ينتخبون مجلسا إسلاميا أعلى تسند له مهمة تطبيق القرارات المصادق عليها.

2- تعليم اللغة العربية، المدارس والمعلمون الأحرار.

قبل الحرب الإمبريالية الأولى، كانت الإدارة الإستعمارية تبدي نوعا من التسامح إزاء وجود الكتاتيب القرآنية لأن التعليم فيها لا يؤثر على المحيط، وعندما شرع العلماء في تعليم اللغة العربية التي لابد منها لفهم الدين، وتأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتقود عملية الإصلاح ولتطور التعليم المذكور، فإن السلطات الفرنسية قد قابلت ذلك بإتخاذ مجموعة من الإجراءات والقوانين التعسفية الرامية كلها إلى إجهاض الحركة الإصلاحية وتهميش لغة القرآن بإعتبارها وسيلة أساسية للتبحر في الدين ولإحداث النهضة الفكرية التي تسبق كل ثورة. ومن جملة القوانين المزرية ذلك الذي يجعل اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر؛ الأمر الذي ترتب عليه ملاحقة معلميها وتغريمهم وحبسهم بعد غلق مدارسها.

لأجل ذلك، فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تطالب، اليوم، بما يلي:

أ - إلغاء جميع الإجراءات والتدابير القمعية إدارية كانت أم وزارية.

ب - إصدار نص يضمن حرية تعليم اللغة العربية في المدارس، ويكون ذلك على النحو التالي:

يحق لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولسائر الجمعيات الدينية إنشاء المدارس حيث يكون لهم ذلك ممكنا ودون إسترخاص الإدارة. يكفي فقط أن يقدم طلب يكون متضمنا إسم المدرسة وعنوانها .

- يتضمن النص المطلوب إصداره ضمانات تكفل للمدارس الحرة حماية من تعسف الإدارة وللمعلمين الأحرار عدم الملاحقة والمتابعات القضائية الظالمة.

- لايكون للإدارة الإستعمارية حق لا في إختيار المعلمين ولا في وضع برامج التعليم أو تعيين الكتاب المدرسي.

-تخضع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وسائر الجمعيات الثقافية الأخرى إلى ما تتطلبه الرقابة الصحية وتقبل في مدارسها التفتيش الرسمي الذي يقوم به موظفو التعليم العمومي.

3 - القضاء الإسلامي.

ترى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن القضاء في الجزائر يجب أن يكون صادرا عن الكتاب والسنة. وحيث أن السلطات الفرنسية تمكنت على مر السنين من تهميش القضاء الإسلامي، وحيث أن أمر إعادة تأهيل هذا الأخير لن يكون إلا تدريجيا، فإن الجمعية تقترح الإجراءات التالية:

أ - إعادة النظر في برنامج تكوين القضاة بحيث تعطى مكانة واسعة للغة العربية وللشريعة الإسلامية وعلم النفس وتاريخ القضاء في الإسلام، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يتحتم فتح مؤسسات تكوين القضاة إلى المعلمين الأحرار خريجي الزيتونة وغيرها من الجامعات الإسلامية وألا يكون هناك معيار آخر في الإختيار غير مقياس الكفاءة والمقدرة.

ب - إنشاء مجلس أعلى للقضاء يكون مشكلا فقط من القضاة وتكون مهمته تعيين القضاة ومراقبتهم، ويكون مستقلا عن أجهزة القضاء الفرنسي.

ج - إنشاء محاكم الإستئناف الإسلامية بحيث لا يؤيد ولا يلغى الحكم الصادر عن القاضي المسلم إلا من طرف قضاة مسلمين.

وبالإضافة إلى هذه الموضوعات الرئيسية الثلاثة، تلفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إنتباه الحكومة الفرنسية إلى ضرورة تسهيل مهمة الدعاة وعدم مضايقتهم أثناء تأديتهم لمهمة الوعظ والإرشاد عبر مختلف أنحاء البلاد، وإلى رفع الحصار المضروب على النوادي التي هي، في واقع الأمر، مؤسسات مكملة للمدرسة وللمسجد. وفي هذا الإطار، فإن الجمعية تطالب بإلغاء المرسوم الصادر بتاريخ الثامن مارس سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وألف.

لكن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تكتف بالمواقف المكتوبة للتعبير عن إلتزامها بما ورد في البيان وملحقه بل أن دعاتها كانوا، حيثما يحلون، يرفعون نفس الشعارات ويؤكدون للناس أن الإلتحاق بأحباب البيان والحرية " واجب كل مسلم " حتى يشرق فجر الخلاص من ربقة الإستعمار، وكانت آذان الشعب ضاغية خاصة وأن الحاج مصالي وجه، هو الآخر، من منفاه، وبصياغة أخرى نفس الدعوة لتعزيز صفوف المولود الوطني الجديد. واستمعت جحافل مناضلي حزب الشعب لنداء الزعيم وتعانق لأول مرة، في تاريخ الجزائر، تيار العلماء وتيار المصاليين فتغير وجه الجزائر السياسي وفاض الشارع حماسا، كان على فرحات عباس أن يبذل جهودا جبارة للتمكن من توظيفه لإقناع الحلفاء والسلطات الفرنسية بأن الجماهير الشعبية قد إختارت طريق الجمهورية الجزائرية المستقلة.

وفي إطار هذا الجو الجديد الذي وجد إمتدادا له وغذاء نافعا في المبادىء الجديدة التي شاعت في مختلف أنحاء المعمورة والتي تدعو إلى تمكين سائر الشعوب من حقها في تقرير مصيرها بنفسها، عرف برنامج أحباب البيان والحرية تطورا سريعا وملحوظا.

ففي فترة لا تتجاوز شهرين، تشكلت إتحادية عمالة قسنطينية وعقدت مؤتمرها الأول يوم 1944/05/22 ، و قد توجت أشغال هذا الأخير بلائحة كان التركيز فيها على المطالبة بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وفي مقدمتهم الحاج مصالي، وكذلك رفع الحصار المضروب على الشيخ البشير الإبراهيمي والتنديد بعملية الإندماج التي بشرت بها أمرية الجنرال ديغول لأنها تتناقض مع طموحات الجزائريين.

وفي إنتظار حلول النهاية المنتظرة للمشكل الجزائري بعد أن تضع الحرب أوزارها، طالب المؤتمرون بحرية الرأي وحرية الصحافة وحرية العبادة وحرية تعليم اللغة العربية، وبذلك يكونون قد تجاوزوا كثيرا فحوى بنود القانون الأساسي لأحباب البيان والحرية المشار إليه آنفا.

لكن التحول الجذري في برنامج التجمع الجديد لم يظهر إلا من خلال اللوائح التي صادق عليها أول مؤتمر وطني جرت أشغاله بالجزائر العاصمة أيام 2-3 و4 مارس سنة 1945 أي بعد تاريخ التأسيس بأقل من عام.

لقد إستعمل المؤتمرون أسلوبا مباشرا حيث جددوا قناعتهم بأن بيان الشعب الجزائري هو الوثيقة الوحيدة التي يمكن إعتمادها في كل عمل يكون الهدف منه تسوية المشكل الجزائري بكيفية جدية. أما تجاهلها بعد قبولها كما فعلت الحكومة الفرنسية، فإنه لا يقود سوى إلى التمادي في الخطإ وإلى محاولة فرض سياسة تتناقض كلية مع طموحات الشعب الجزائري.

ومن جهة ثانية، أكد المؤتمرون أن السياسة الواقعية الوحيدة هي التي تأخذ في الإعتبار الإرادة الشعبية وتنطلق من كون بناء مستقبل شعب لا يمكن أن يتم بدون إستشارته. ولأجل ذلك، فإن المؤتمر طالب بأن تنجز حينا الإجراءات التالية:

1- إستبدال الجمعيات الجزائرية ببرلمان منتخب

2- إستبدال الولاية العامة بحكومة جزائرية.

3- الإعتراف بالألوان الوطنية.

وإذا كانت حركة أحباب البيان والحرية ترى أن مستقبل الشعب الجزائري يكمن في إسترجاع سيادته وإقامة جمهورية جزائرية مستقلة، فإن الحزب الشيوعي الجزائري على غرار نظيره الفرنسي، يرفض الإعتراف بوجود الشعب الجزائري الذي تزعم أدبياته أنه مازال في طور التكوين، وهو، في تلك المرحلة، عبارة عن تلاحم عدد من العناصر أهمها : العربي والقبائلي والميزابي والشاوي واليهودي والأوربي إلخ... لأجل ذلك فإن القيادة قد أبدت، منذ اللحظات الأولى، مناهضتها للحركة الوطنية الفتية؛ ولتجسيد تلك المناهضة على أرض الواقع قررت تأسيس حركة منافسة أسمتها : " أحباب الديمقراطية."

إن بيان أحباب الديمقراطية يدعو الجزائريين إلى المساهمة في مجهود الحرب وفي بناء فرنسا الجديدة التي سوف يترتب على قيامها تخليص الجزائر من النظام الإستعماري وأعوانه المرتشين والرجعيين والقواد (32) . أما المطالب التي ينبغي أن يناضل المسلمون من أجل تحقيقها في القريب العاجل فتتعلق جميعها بتحقيق المساواة مع الأوربيين في مجالات التموين والكساء والتنظيم الإداري، وقد وضع لبلوغ هذه الأهداف برنامج من تسع نقاط هي:

1- تمكين كل الجزائريين من تموين عادي،أي 300 غ خبز يوميا أو 10 كلغ قمح شهريا مع مضاعفة الكمية بالنسبة للعمال اليدويين أمثال عمال السكة الحديدية والموانى والفلاحة.

2- تطبيق الأجر الأدنى المحدد من طرف الولاية العامة، أي 10 فرنكات للساعة بالنسبة لجميع العمال بما في ذلك عمال الأرض.

3- الإستفادة من القوانين الإجتماعية (المنح العائلية، الضمان الإجتماعي إلخ...).

4- المساواة في الجيش، مع الأوربيين بالنسبة للأجور والمنح.

5- مساعدة الفلاحين والخماسين بواسطة إعادة تنظيم إدارة جمعيات الإحتياط الأهلية (SIP)

6- توزيع المواد بعدل على الصناع والتجار الصغار والمساواة في التزويد مع الأوربيين.

7- إلغاء البلديات المختلطة بواسطة إرجاع مراكز الدواوير البلدية التي علقت في عهد فيشي.

8- إعادة فتح جميع المدارس الموجودة وإيجاد أخرى جديدة في محلات تؤمم للضرورة وتزود بمعلم يقدم للأطفال مبادىء التعليم بالفرنسية والعربية في إنتظار حل شامل لمليون الأطفال غير المتمدرسين.

9- الإعتراف باللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية.

كان الشيوعيون، بهذه المطالب البسيطة، يعتقدون أنهم وجدوا أفضل الوسائل لتعبئة الجماهير الشعبية قصد سد الطريق في وجه أحباب البيان والحرية، لكن التربة الجزائرية ترفض الغرس الشيوعي ولذلك فإن الإقبال على حركة أحباب الديمقراطية كان معدوما. وأمام ما كان لأحباب البيان والحرية من شعبية ومن إبداء الجزائريين إستعداداتهم المطلقة للإنخراط فيها ولتبني برنامجها الذي ما فتىء يتطور إيجابيا كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وعلى الرغم من

المساعي المختلفة التي قامت بها السلطات الإستعمارية لدعم الشيوعيين من أجل تثبيت حركتهم الجديدة فإن هذه الأخيرة لم تعمر طويلا وسرعان ما تركت المجال للحزب الشيوعي الجزائري فراح يستعمل كل الوسائل لإيقاف الزحف الوطني الذي وجد في محاربة الشيوعيين له قوة مكنته من التجذر بسهولة في أوسط سائر فيآت الشعب الجزائري.

إن الحزب الشيوعي الجزائري في مصارعته لأحباب البيان والحرية كان يعتقد أن وصف القياديين الوطنيين بدعاة الإنفصال عن الميتروبول سوف يقلل من شأنهم لدى مواطنيهم، زاعما أن الإستقلال أمر مستحيل " لأنه لا يخدم الجزائر ولكنه يكون في صالح غلاة الكولون والإمبرياليات الأجنبية الأخرى التي ليس لها من هم سوى آبار البترول(33).

لقد كان الحزب الشيوعي الجزائري يرى أن الذين يعملون على إسترجاع الإستقلال الوطني " هم عصابة من المفسدين في ركاب الفاشية، يتسترون بالدين لمحاربة المشروبات الكحولية(34) إنهم " وطنيون مزيفون يسعون بدافع إمبريالي أجنبي، لفصل الجزائر عن فرنسا الجديدة (35) "وعلى الرغم من هذه المواقف العدوانية ومن قناعة السيد فرحات عباس بأن " أحباب الديمقراطية صنيعة للشيوعية المقصود منها هو خلط الأوراق وذبذبة الضمائر (36)، فإن المكتب المركزي لأحباب البيان والحرية قد وجه نداء إلى أحباب الديمقراطية من أجل التعاون على أساس شرط واحد هو أن يدرج الشيوعيون ضمن مطالبهم إطلاق سراح المعتقلين السياسيين وحرية الصحافة بالنسبة لجميع الأحزاب والمنظمات الجزائرية، لأن برنامج أحباب الديمقراطية بجميع نقاطه المسطورة أعلاه لا يشتمل على أي عنصري جدي يمكن الأخذ به لتعبئة جماهير الشعب الجزائري.

لكن الشيوعيين، من خلال قيادة أحباب الديمقراطية، رفضوا عرض الوطنيين لسبب إيديولوجي واضح هو : عدم إيمانهم بالوطن الجزائري ككيان واحد ومستقل عن فرنسا. و لم يتوقفوا عند رفض العرض، بل إنهم جندوا كل آلياتهم واستنجدوا بالسلطات الإستعمارية لإقامة العراقيل في طريق أحباب البيان والحرية.

هكذا، إذن لم تمض سوى ستة أشهر على تأسيس أحباب البيان والحرية حتى وجد هذا التجمع الوطني الجديد نفسه أمام عدد من الصعوبات والمخاطر كان أهمها ما يلي:

1- رفض الإدارة الفرنسية لبيان الشعب الجزائري بعد أن كان الوالي العام السيد بايروتون قد أفهم السيد فرحات عباس أن الإقتراحات الواردة ضمنه مقبولة لكنها تتطلب قليلا من المراجعة وهو ما تم بموجب الملحق الذي سبقت الإشارة إليه. وجاء الرفض مصحوبا بإجراءات بعضها قمعي والأخر يتعلق بدس أعوان مقنعين في صفوف المناضلين ينشطون لفائدة مصالح المخابرات والإستعلامات العسكرية.

2 -حرب بلا هوادة يغذيها الشيوعيون الجزائريون بدعم من الحزب الشيوعي الفرنسي من أجل إفشال الجبهة الوطنية التي إستطاعت أن تعبىء الجماهير الشعبية حول مطلبي الجمهورية والبرلمان الجزائريين، أي تجنيد مختلف فيآت الشعب لفائدة الإنفصال عن فرنسا. ولقد كانت الحرب تجري نيرانها على ثلاث جبهات هي:

أ- الجبهة الخاصة بإبراز نواقص الحركة المصالية التي يتمثل إنحرافها وتزمتها، حسب المنطق الشيوعي في رفعها لراية الإستقلال. ففي هذه الجبهة يسعى الشيوعيون إلى محاولة إقناع قواعد حزب الشعب الجزائري بالتخلي عن قيادتها وضمها، بشتى الوسائل(37). إلى أحباب الديمقراطية. وطبيعي أن في ذلك إضعافا لأحباب البيان والحرية.

ب- الجبهة المخصصة لتهميش المثقفين الإسلاميين الذين يستعملون العاطفة الدينية لحمل الجماهير الشعبية على الإلتحاق بصفوف أحباب البيان والحرية؛ ومما لا شك فيه أن تحييد هؤلاء العناصر سيفسح المجال لأحباب الديمقراطية من أجل التحرك بحرية في أوساط الجماهير الإسلامية.

ج- الجبهة المخصصة للتنديد بالمنتخبين وأعضاء النخبة الذين تخلوا عن فكرة الإندماج وتحولوا إلى " وطنيين مزيفين " ومناهضين للفرنسة وللفرنسيين.

3- وجود الفارق الكبير في أسلوب العمل الذي تمارسه إطارات ومناضلو أحباب البيان والحرية من أجل تحقيق الأهداف الوارد تعدادها في بيان الشعب الجزائري؛ فبينما يكتفي المنتخبون والعلماء بالقلم والكلمة، فإن عناصر الحركة المصالية ينادون بالعنف الثوري إنطلاقا من كون ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة.

ولتجاوز هذه الأوضاع الصعبة، ولتعميم الفكر السياسي الجديد وتمكين الجماهير الشعبية من التفاعل مع برنامجها فإن جمعية أحباب البيان والحرية قد أصدرت لسانا مركزيا بعنوان (38) Egalité وظفت له كثيرا من الإمكانيات المادية والأقلام الوطنية بحيث إستطاع، في فترة وجيزة جدا، أن يحتل مكانة مرموقة بين نشريات ذلك الوقت وأصبح رغم كل المنافسات، الجريدة المحببة التي تنتظرها بلهفة أعداد غفيرة من الجزائريين في مختلف أنحاء البلاد.

غير أن ذلك لا يعني أن سحبها كان مرتفعا، بل ضعيفا لم يتجاوز ثلاثين ألف نسخة بسبب أزمة الورق.(39)

وعندما نعود اليوم، إلى مختلف أعداد الجريدة، فإننا نلاحظ بكل سهولة الدور الإيجابي الذي أدته سواء بالنسبة لإنجاح عملية التعبئة الشاملة حول برنامج الحركة أوفيما يتعلق بمحاورة الأوربيين الذين

كانوا متخوفين من فكرتي الأمة الجزائرية والبرلمان المنتخب بواسطة الإقتراع العام؛ أوفيما يخص تعرية أمرية الجنرال ديغول التي قال عنها السيد فرحات عباس: أنها لم تأخذ في الإعتبار تاريخ الجزائر وتطور ذهنيات أبنائها.(40) "

و بالإضافة إلى الدور الإعلامي الذي كانت الجريدة تقوم به على أحسن وجه فإن أعمدتها كانت مفتوحة لبرامج التوجيه والتكوين الإيديولوجيين وللتحقيقات التي كانت تعالج موضوعات أساسية في مجالات الدين والتربية وحول أوضاع المرأة والطفل المسلمين إلى غير ذلك مما له علاقة بتطوير المجتمع وإعداده لمستقبل أفضل.

ولم يكن نشاط الجريدة ليرضي الإدارة الإستعمارية ولا ليطمئن الحزب الشيوعي الجزائري. فأما الأولى فإنها راحت تقابله بتقليص كمية الورق المخصصة للحركة وبعرقلة عملية التوزيع التي كانت تعتمد أساسا على مبادرات المناضلين؛ وأما الثاني فإنه جعل من صحافته منبرا للتنديد بمحرري الجريدة والمشرفين عليها مع التركيز على رئيس التحرير السيد عبد العزيز كسوس. وفي مجال آخر، ورغم ظروف الحرب الصعبة، كان السيد فرحات عباس يتنقل من مكان لآخر عبر مختلف أنحاء الوطن: يخطب ويحاضر تارة ويحاور ويناقش مرة. وفي جميع الحالات، كان يسهم بفعالية في شق طريق الحركة نحو التحذر والإنتشار. ومما يستحق الذكر أن تلك الإتصالات المباشرة والمكثفة، بقدر ما أفادت أحباب البيان والحرية، فإنها سمحت للرجل أن يثبت أقدامه في عالم الوطنية الجزائرية وأن يتخلى نهائيا، عن قناعات ظل بها متمسكا إلى أن كانت صياغة البيان.

وإذا كانت الحركة المصالية قد هللت لهذا التحول الإيجابي لدى أهم أقطاب المنتخبين الجزائريين، فإن الإدارة الإستعمارية لم تخف إستياءها وراحت تعبر عنه بالعمل ميدانيا وبشتى الوسائل، على إحداث

التصدع في البناء الجديد وزرع الشقاق بين سائر الأطراف المكونة لـه. لكن حزب الشعب الجزائري المحظور فوت عليها الفرصة بفضل ما أصدره من تعليمات لإطارته ومناضلية يدعوهم من خلالها إلى إحاطة السيد فرحات عباس بكل أنواع الرعاية والعناية وإشعاره بأنه قائد أساسي إلى جانب الزعيم الذي كان يتابع النشاط ويحرك الخيوط من إقامته الجبرية. وبينما كانت حركة أحباب البيان والحرية تواصل العمل الهادف إلى تطبيق برنامجها، كان حزب الشعب الجزائري ينشط في السرية وفقا لإيديولوجيته المعبر عنها رسميا سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وألف وكما سبقت الإشارة لذلك في بداية هذه الدراسة.

لقد كان حزب الشعب الجزائري، في مؤتمره المنعقد بالجزائر يوم 1938/07/24 قرر بإجماع المؤتمرين تأسيس هيأة أسماها " اللجنة الخضراء " وأسند لها مهمة التكوين العسكري إستعدادا للكفاح المسلح في سبيل إسترجاع الإستقلال الوطني؛ وقبل نهاية نفس الشهر قامت الهيأة المذكورة بتكوين " لجنة شمال إفريقيا للعمل الثوري" (41).التي إختارت من بين أعضائها مجموعة سيرتها إلى برلين قصد التدرب على إستعمال الأسلحة وممارسة النشاط السري.

صحيح أن السلطات الألمانية قد إستقبلت المجموعة التي كان يرأسها السيد محمد طالب (42).وصحيح، أيضا، أنها أولت عناية كبيرة بتدريب أفرادها، لكنها أرجأت البت في موضوع الإستعمار إلى ما بعد نهاية الحرب ولم تبد كثير إستعداد عندما نشرت أمامها قضية التسليح. لأجل ذلك، فإن لجنة شمال إفريقيا للعمل الثوري قد فضلت إنهاء العلاقة معها وولت وجهها نحو إيطاليا التي لم يكن موقفها أكثر إلتزاما مع مسألة تحرير الشعب الجزائري.

غير أن كل ذلك لم يمنع بعض أعضاء اللجنة وبعض المسؤولين الآخرين أمثال بلقاسم راجف وسي جيلاني (43).من الإستمرار في محاولة الإستفادة من دول المحور بصفة عامة.

وعلى الرغم من معارضة الحاج مصالي لفكرة التعاون مع الألمان وإقدامه، وهو سجين، على فصل أعضاء لجنة شمال إفريقيا للعمل الثوري من صفوف حزب الشعب الجزائري بسبب إتصالاتهم ببرلين وتعاونهم مع مصالح الجيش الألماني، فإن محاولات التقارب مع دول المحور لم تنقطع طيلة سنوات الحرب.

و من الجدير بالذكر أن بعض مساعي الوطنيين قد أثمرت خاصة في مجال الإستفادة من تقنيات التنظيم السري واستعمال الأسلحة بجميع أنواعها.

إنطلاقا من كل ما تقدم، وعندما نريد ضبط الأوضاع التي كان عليها حزب الشعب الجزائري، فإننا نخلص إلى مايلي:

1- كان الحزب ينشط في السرية نتيجة حله بموجب قرار إداري صدر بتاريخ 1939./07/26

2- كان معظم قادته وفي مقدمتهم الحاج مصالي (44) محبوسين بمقتضى أحكام تتراوح مابين 16 و 3 سنوات، صدر معظمها يوم 1941./03/28

3- فرضت طبيعة النضال السري ومقتضيات تلك المرحلة الصعبة ظهور قيادة جديدة من الشباب(45) معظمهم من المثقفين، في مقدمتهم الدكتور محمد الأمين دباغين(46).

4- تبلور النشاط السري خاصة في مجالين: التنظيمي حيث أعيدت هيكلة الحزب بكيفية تتلاءم مع الأوضاع الجديدة، والإعلامي الذي تميز بالكتابات الحائطية وحملات التوعية والتربية الدينية(47) وبصدور جريدتي L'Action Algérienne و " الجزائر الحرة."

5- ظهور " منظمة الشباب "(48). ومنظمة الجيش الثامن(49). " اللتين كانتا تدعوان إلى عدم الإلتحاق بصفوف الجيش الفرنسي قبل أن تتضافر جهودها لتأسيس منظمة عسكرية تكون " قادرة على رفع لواء الكفاح المسلح عندما تفتح الجبهة الثانية أو يتم إنزال قوات الحلفاء، وتكون هي الممثل الشرعي للشعب الجزائري عند إقتضاء الحاجة" (50).

6- إطلاق سراح الحاج مصالي يوم 1943/04/24 ووضعه في الإقامة الجبرية بالشلالة. ومن هناك صار يوجه نشاط الحزب المحظور رسميا ؛ و مما يستحق الذكر أنه قرر السماح لأعضاء لجنة شمال إفريقيا للعمل الثوري المفصولين بالعودة إلى صفوف الحزب كما أنه قرر عدم إبقاء أي تنظيم خارج الإطار النظامي.

7- إن الحزب، نتيجة كل هذه العوامل، قد أصبح تنظيما سياسيا أكثر قدرة على تعبئة الجماهير وتوعيتها، وأكثر دقة في العمليات التي يقوم بها من أجل تجسيد إيديولوجيته على أرض الواقع .

وفي هذا الإطار، تجدر الإشارة إلى أن هياكل الحزب العادية قد تعززت، عبر مختلف أنحاء الوطن، بآليات متخصصة في التوثيق والإحصاء والنشاط السري والعمل السيكلوجي، كما أنها تدعمت بتنظيمين أساسيين أحدهما مسؤول عن الأمن والمراقبة بجميع أنواعها والثاني مكلف بتنظيمين أساسيين أحدهما مسؤول عن الأمن والمراقبة بجميع أنواعها والثاني مكلف بالدراسات ومتابعة الأحداث وتوظيفها لفائدة الحزب. وكان التنظيمان، على غرار الآليات الأخرى، ممثلين في جميع مستويات الهيكلة الحزبية، لكن نشاطهما كان يتم في سرية مطلقة.

8- إستطاع الحزب، بفضل مساعي تنظيماته المختلفة، أن يجمع كمية معتبرة من الأسلحة والذخيرة إشترى بعضها من جيوش الحلفاء ووصله بعضها الأخر عن طريق مناضليه ومحبيه العاملين في صفوف الجيش

الفرنسي. وزعت كل المعدات الحربية على سائر الإتحاديات والدوائر ووقع خزنها في انتظار يوم المعركة الذي أصبح متداولا لدى العام والخاص أنه سيحل مع نهاية الحرب الإمبريالية الدائرة رحاها في أوربا وشمال إفريقيا وبعض مناطق آسيا.

9- إستطاع الحزب، بفضل تجربة مناضليه الواسعة، أن يسيطر بكيفية شبه كلية على حركة أحباب البيان والحرية، وتمكن، في ظرف قصير جدا، من إدخال تغييرات جذرية على برنامجها السياسي كما أشرنا إلى ذلك آنفا.

10- إن فكرة الكفاح لمسلح قد نضجت بما فيه الكفاية، ووجد في داخل الحزب تيار قوي من المناضلين الشباب الذين إلتحق معظمهم بالصفوف فقط في الفترة ما بين 1939 و 1944، لكنهم يرفضون تكتيك القيادة الذي كان الحاج مصالي قد لجأ إليه لمحاولة التقرب من باقي أطراف التيار الوطني، والذي جعل الحزب يتنازل عن هدف الإنفصال عن فرنسا ويعوضه بالشعار الغريب " لا إندماج ولا إنفصال، ولكن ترشيد وتحرر .(51) "إن أولائك الشباب الذين إكتسبوا خبرة واسعة من خلال نشاطهم السري ضمن " منظمة الشباب " و" الجيش الثامن " قد أصبحوا على كامل الإستعداد لإشعال فتيل الثورة والإنتقال إلى المرحلة الحاسمة من الكفاح التحريري.

الهوامش

(1) نحن نفضل هذه التسمية على " الحرب العالمية الثانية "، لأن الدول الإمبريالية هي التي إشعلت فتيلها لأسباب توسعية في أساسها أو لتصفية حسابات بينها. أما بقية العالم المستعمر(بفتح الميم) بطريقة أو بأخرى، فإنه تحمل أعبائها مرغما، ولذلك من اللامعقول أن نظل تابعين لمؤرخي الإستعمار فيما وضعوه من مصطلحات و مفاهيم تقوم بأدوار حاسمة في تعليل التاريخ.

(2) نعني بذلك خاصة السيد الحاج مصالي الذي كان مجبرا على الإقامة بقصر الشلالة (ربفيل سابقا) و الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي كان بنفس الصفة في قرية أفلو في الجنوب الغربي من البلاد.

(3) المقصود بهؤلاء هم إطارات حزب الشعب الجزائري وهم كثر.

(4) نذكر على وجه الخصوص السيد فرحات عباس.

(5) تم تحرير هذا البيان يوم 1943/02/10 وسلم مباشرة إلى ممثلي الحلفاء في الجزائر العاصمة ثم نقل بطريقة خاصة يوم 1943/03/31 إلى السيد بايروتون(Peyrouthon) الوالي العام الذي إستنكر بعض أجزائه و طلب ملحقا تصحيحيا فسلم إلى خلفه الجنرال كاترو (Catroux)يوم 1943./02/11

(6) في هذا المجال ينبغي الرجوع خاصة إلى: القانون الصادر بتاريخ 1844/04/24، و الأمرية المؤرخة بيوم 1834/07/22 و المرسوم الموقع بتاريخ 1898/08/23 وكذلك قانون فيفري سنة 1919 و الأمرية الصادرة بتاريخ 1945./12/15

(7) جورج كاترو، من مواليد ليموج سنة 1877، كان واليا عاما للهند الصينية سنة 1940 ، إنضم إلى الجنرال ديغول فعينه سنة 1941 مندوبا ساميا على سوريا ثم حلفا للسيد بايروتون في جوان 1943. و عندما وضعت الحرب أوزارها عين سفيرًا لفرنسا لدى الإتحاد السوفياتي، عينه في مولي وزيرا مكلفا بالجزائر سنة 1956 لكن المعمرين رفضوه فلم يلتحق.

(8) هو أوغستين بارك والد جاك بارك، وقد أدى دورا خطيرا في تجذير الإستعمار ببلادنا.

(9) كانت المجموعة مشكلة من: الدكتور عبد النور طمزالي، الدكتور إبن جلول، الدكتور لخضاري، و السادة: عبد السلام طالب، خيار غراب، خليل طمزالي، شنتوف عده، أحمد غرسي، روني فضيل، حسان باشترزي، عباسه وإبن علي شريف.

(10) يزعم الجنرال ديغول في " مذكرات - الحرب " أنه بينما كان يلقي خطابه كان الدكتور إبن جلول و معه عدد من المسلمين يبكون من الفرح.

(11) لكن كلود كالووجان روبرت هنري في " نصوص الحركة الوطنية الجزائرية 1912-1954" ص: 171 يشيران إلى أن القرار مؤرخ بيوم 1943./12/19

(12) تكونت اللجنة من إثني عشر عضوا نصفهم من المسلمين وهم: شيخ العربي بوعزيز بن قانة، الشيخ الطيب العقبي، قاضي عبد القادر، الدكتور إبن حلول، الدكتور عبد النور طمزالي، روني فضيل.

(13) مرسوم إقترحه وزير العدل الفرنسي أدولف كريميو (Adolphe Crémieux) ، و صدر في شهر أكتوبر سنة 1870 لتمكين يهود الجزائر من الجنسية الفرنسية. ألغي سنة 1940 . بعد إنهزام فرنسا.

(14) commission chargée d'établir un programme de réformes politiques, sociales et économiques en faveur des musulmans français d'Algérie ,Alger imprimerie officielle,1944 Tome 2 page 66 et suivants.

(15) نفس المصدر.

(16) نفس المصدر.

(17) M. GAZEF ,a la recherche d'une nouvelle politique coloniale en 1944, paris.1972, page 271 et suivants.

(18) كان ذلك أمام المجلس الإستشاري، و كان ممثل الحزب الشيوعي هو السيد أندري مارسي (André Mercier) ،أنظر جريدة ليبرتي (liberte) الصادرة بتاريخ 1944./01/20

(19) Akrouf (Daoud) aux origines du F.L.N. les amis du manifeste, et de la liberté, Alger 1967, page 105.

(20)- يذكر السيد فرحات عباس بهذه المناسبة أن الحاج مصالي، بعد أن أعطاه موافقته، حذره قائلا: " أن فرنسا لن تعطيك شيئا. إنها لا تخضع إلا للقوة، ولا تسلم إلا ما ينتزع منها إنتزاعا."

أنظر La nuit coloniale :ص، 152.

(21) جاءت هيكلة " أحباب البيان و الحرية" على النحو التالي:

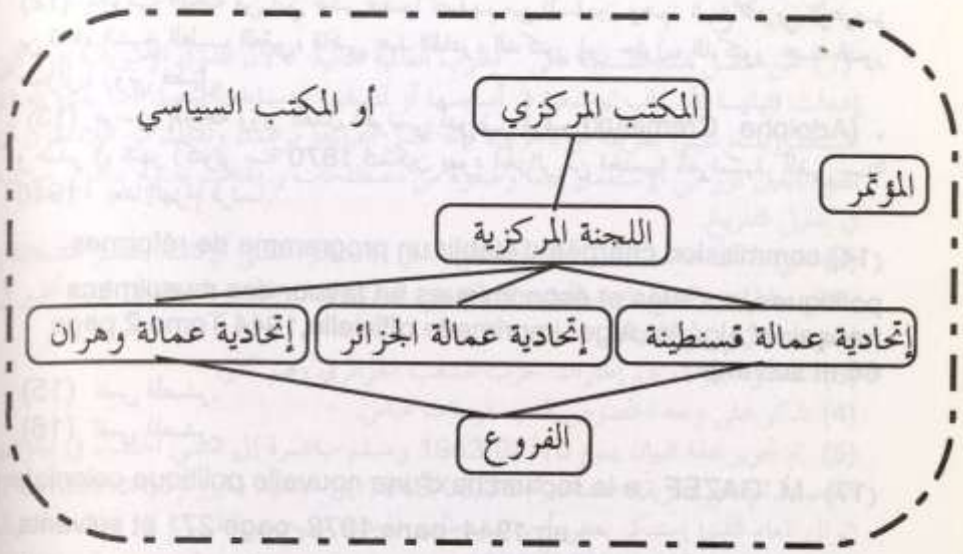

(22) قرأت في أرشيف السيد فرحات عباس التقرير النظامي المقدم للمؤتمر المنعقد بالجزائر أيام 2-3 و4 مارس 1945، أن عدد النخرطين بلغ نصف مليون موزعين على 163 فرعًا أكثر من نصفها في عمالة قسنطينة.

(23) تشكل مكتب الجمعية في ذلك الوقت من أمثال عبد الرحمن كيوان ومراد بن أونيش ومحمد ساطور وبسرعة كبيرة أنشأت الجمعية بمساعدة الحزب، فروعا لها في سائر كبريات مدن الجزائر.

(24) تكون مكتب الرابطة من مناضلين في مقدمتهم ابن يوسف بن خدة وشوقي مصطفاي وعمر بن مبخوت

(25) كانت الطباعة تتم في بيت المناضل لزرق في Fontaine Fraîche تحت المسؤولية السياسية للمناضل محمد طالب الذي كان عضوا بالمكتب السياسي لحزب الشعب الجزائري المحلول. أما الأقلام فكانت كثيرة ومن أبرزها : حسين عسله ، مفدي زكرياء ، محمد الأمين دباغين ، محمود عبدون.....

(26) أنظر الجزائر الأحداث الصادرة بتاريخ 4-9 ماي 1969

(27) أنظر نص المذكرة مترجما إلى الفرنسية في: Claude collotJean Robert Henry

Le mouvement national Algerien, Textes 1912-1954, OPU Alger SD P191 et suivants

(28) دامت الجمهورية الثالثة في فرنسا من يوم 1870/9/4 إلى يوم 1940/07/10 كان أول رئيس فيها هو أدولف تيار (Adolphe Thiers) الذي حكم من يوم 1871/08/31 إلى يوم 1873/05/24؛ أما آخر رئيس فيها فكان ألبارلوبران(Albert lebrun) الذي حكم من يوم 1939/04/15 إلى يوم 1940/07/10

(29) أنظر نص اللائحة في كولو، ص: 187

(30) نفس المصدر، ص 203

(31) أنظر نص البيان في نفس المصدر، ص: 188 وما بعدها

(32) أنظر جريدة ليبرتي (Liberté) في عددها الصادر بتاريخ 1944/09/14

(33) أنظر نص التقرير العام الذي قدمه السيد عمار أوزقان إلى الإطارات المشاركة في الندوة المركزية للحزب الشيوعي المنعقدة بقاعة الماجستيك (الأطلس حاليا) يومي 23 و 1944/09/24.

(34) أنظر جريدة لومانيتي (L'humanité) في عددها الصادر بتاريخ 1944/10/25

(35) نفس المصدر

(36) بغول (يوسف)، " بيان الشعب الجزائري. مساهمته في الحركة الوطنية " المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والإقتصادية والسياسية، ج 11 الصادر في شهر ديسمبر 1974 ص 215 وما بعدها.

(37) لقد إستغل الشيوعيون نفوذ الحزب الشيوعي الفرنسي، في ذلك الحين، ليلتمسوا تسليط القمع البوليسي على الإطارات القيادية لحزب الشعب الجزائري، كما جاء ذلك في تقرير السيد عمار أوزقان إلى الندوة المركزية التي عقدها الحزب الشيوعي بالجزائر العاصمة يوم 1944/09/23.

(38) كان السيد فرحات عباس هو المدير المسؤول، أما رئاسة التحرير فقد أسندت إلى السيد عبد العزيز كسوس الذي كان يتمتع بتكوين سياسي كبير وتجربة نقابية واسعة بالإضافة إلى قلم طيع وأفكار واضحة.

(39) هناك من يذكر أن السحب، في نهاية الفصل الأول من سنة 1945، بلغ 130,000. عدد، لكننا نستبعد ذلك لأن الأمية المتفشية في ذلك الوقت لم تكن تسمح بوجود مثل هذا العدد من القراء لجريدة واحدة.

(40) أنظر نشرة اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني الصادرة بتاريخ 1944/10/01

(41) رئيس هذه اللجنة هو محمد طالب، عضو اللجنة المديرة للحزب. أما أعضاؤها فكثر وتتفق معظم الروايات على الأسماء التالية : عبد الرحمن ياسين، موسى بو الكروا، رشيد وأعماره، مسعود بوقدوم، علي زاوي، عمر حمزة، عمار مسعودي وأحمد فليته.

(42) إنخرط في صفوف نجم شمال إفريقيا سنة 1944؛ وعين عضوا باللجنة المديرة لحزب الشعب الجزائري منذ تأسيسه لكنه إستقال في بداية سنة 1939 إستجابة لطلب الحاج مصالي الذي كان قد قرر فصل أعضاء كل المجموعة " حفاظا على الحزب " خاصة بعد أن علمت السلطات الإستعمارية بوجود لجنة شمال إفريقيا للنشاط والشورى".عاد إلى العمل الحزبي مباشرة بعد إندلاع الحرب الإمبريالية الأولى. يعود الفضل إليه في إصدار" "L'action Algerienne"سنة 1944. توفي يوم 1952/02/15.

(43) تجدر الإشارة إلى أن الرجلين اللذين كانا عضوي اللجنة المديرة لحزب الشعب الجزائري قد توليا تسيير البرامج التي كانت " الإذاعة الدولية" Radio Mondial " تبثها في إتجاه شمال إفريقيا. وبفعل تلك البرامج أعلن الإحتاد المسلمون، المتمركزون بالحراش، عن تمردهم يوم 1941/01/25

(44) كان الحاج مصالي سجينا عندما إندلعت الحرب الإمبرايالية الثانية، وقد أطلق سراحه يوم 1939/08/27 ثم أعيد إلى السجن صحبة سبعة وعشرين إطارا قياديا يوم 1939/10/04. وفي يوم 1940/06/08، ألقي القبض على ثلاثين إطارا آخر.

(45) نذكر من بين هؤلاء الشباب الذين فرضوا أنفسهم على ساحة النضال : " محمد طالب، حسين عسله، عبد الحكيم بن الشيخ الحسين، محمود عبدون، محمد شرشالي، عبد الحميد سيد علي، عبد المالك تمام وعلي حليت.

(46) من مواليد شرشال سنة 1917، إلتحق بصفوف حزب الشعب الجزائري سنة 1939 بعد حله وقد إستطاع بحكم ثقافته ونشاطه أن يصبح الرئيس الفعلي له في غياب الحاج مصالي ورفاقه من المؤسسين. عرضت عليه قيادة الثورة قبل إندلاعها بأيام قلائل لكنه رفض العرض وألقي عليه القبض يوم 1954/11/05 وبعد إطلاق سراحه إستدعته جبهة التحرير الوطني ليكون مسؤولا على مندوبيتها في الخارج. عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية ثم عضو لجنة التنسيق والتنفيذ سنة 1957 وعندما تأسست الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أسندت له وزارة الخارجية. في سنة 1963 فتح عيادة طبية بمدينة العلمة وإعتزال كل نشاط سياسي.

(47) كانت الكتابات المذكورة تجسد المطالبة بإطلاق سراح الحاج مصالي وتحرير الجزائر ودعوة الجماهير الشعبية إلى الإلتفاف حول حزب الشعب الجزائري. وفي إطار حملات التوعية والتبرية كان الشباب يحاربون الخمر والقمار ويدعون إلى تعمير المساجد والنوادي والمدارس.

(48) من أبرز قادتها، في ذلك الوقت، محمد بلوزداد، سعيد عمراني، مراد ديدوش، عبد الرحمن سماعي وعبد الرحمن طالب.

(49) من بين قادة هذا التنظيم تجدر الإشارة إلى محمد طالب، عبد الرحمن ياسين، حمو بوتليليس والشاذلي المكي.

(50) أنظر الحديث الذي أجراه الدكتور محمد شفيق مصباح مع كل من السيدين سعيد عمراني وعبد الحميد سيد علي والمنشور موجزا في Idéologie politique et mouvement national en Algérie, P15 :

(51) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، أنظر كتابنا : جبهة التحرير الوطني الجزائرية (1954-1964) المسار والفكر، ص : 47 وما بعدها.

(52) بغول، ص : 152

(53) ليبرتي Liberte)) في عددها الصادر بتاريخ 1945/06/07 تؤكد على أن ما وقع في ماي 1945 إنما هو " مؤامرة فاشية حبكها الخونة من كل جنس ودين أي : حزب الشعب الجزائري، حزب الشعب الفرنسي، الموظفون السامون في حكومة فيشي الذين ظلوا في مناصبهم بمساعدة الإقطاعيين."

(54) إنعقدت ندوة سان فرانسيسكو إبتداء من يوم 24 أفريل،فوضعت ميثاق الأمم المتحدة لكنها لم تنظر في القضية الجزائرية.

(55) هؤلاء المندوبون هم Vallet :من وادي العثمانية، La vie من قالمة،Fournier من خراطة، Mayerمن أولاد رحمون، Deyron من سوق أهراس و Cusin من عزابة.

(56) Sarrassin P

(57-) عباس، (فرحات)، حرب الجزائر وثورتها - ليل الإستعمار نقله إلى العربية: أبوبكر رحال، ص، .185

(58) نفس المصدر.

(59) في نهاية المقابلة أخبر الحاج مصالي أن المناضل : بناي واعلي هو المكلف بتهريبه فأعطى موافقته وشرع في الإستعداد لذلك، لكن السلطات الإستعمارية داهمته وأفشلت العملية.

حركة ماي الثورية 1945 في صحيفة النهضة التونسية

بقلم الأستاذ مسعود كواتي

مقدمة:

تعتبر حوادث 8 ماي 1945 بالجزائر، نقطة تحول حاسمة في تاريخ الحركة الوطنية، التي إقتنعت أكثر من أي وقت مضى بمشروع الحصول على الإستقلال عن طريق العنف الثوري، طبقا لمقولة ما أخذ بالقوة، لايمكن أن يسترد إلا بالقوة. وتخلت عن سياسة الحصول على الحرية بالوسائل القانونية، مثلما كانت تتبناها بعض الأحزاب التي كانت مقتنعة بالطرق السلمية.

وقد حاولت فرنسا محاصرة الحدث لكي لا يصل إلى إسماع العالم لأنه يمثل صوت الجزائريين الأحرار، بإعتبار أن ما يحدث في الجزائر يهم فرنسا وحدها، وأن هذه الحوادث ماهي إلا محاولات معزولة لبعض الخارجين عن الإطار القانوني على الرغم من كل ذلك. فإن محاولات فرنسا لتقزيم الحوادث وأحتوائها إعلاميا قد باءت بالفشل، فصوت الأحرار، وأنين البائسين، والضحايا قد خرق جدار الحصار الإعلامي الفرنسي، فلجأ ساساتها إلى التقليل من وقعه، والتصغير من حجمه على لسان وزير الداخلية الفرنسي بقوله أن الحوادث قد بولغ فيها، وقد تناولتها الصحف في الداخل والخارج إنطلاقا من الإشاعات والتأويلات التي لا تعتمد على الواقع الحقيقي.

ومن بين الصحف التي تناولت الحدث الجسيم، صحيفة النهضة التونسية التي كان يرأسها السيد الشاذلي القسطلي. فكيف تعرضت

هذه الصحيفة لحوادث 8 ماي 1945 بالجزائر؟ وما مدى أهمية مادتها الإعلامية بالنسبة للمؤرخ؟ وما هو موقف النهضة من هذه الحوادث، التي كادت أن تتوسع نحو القطر التونسي، فهل لها موقف سلبي أم إيجابي أم موقف حيادي همه الوحيد، الإعلام من أجل الإعلام؟ هل تعرضت لضغوطات، أم أنها كانت حرة في تناولها للحوادث؟ ذلك ما سنحاول الإجابة عنه من خلال هذا العرض القصير، الذي إستقى مادته الأساسية من صفحات الجريدة خلال سنة الحادثة أي من شهر ماي 1945 إلى شهر ديسمبر 1945.

1- نشأة الصحيفة

ظهرت صحيفة النهضة اليومية التونسية في نهاية الربع الأول من القرن العشرين، وبالتحديد في سنة 1923، وقد سخر لإصدارها مطبعة النهضة المؤسسة بأموال شركة النهضة الفلاحية(2)، وكان مؤسسها الطاهر بن الحاج مبروك.(3)

وعهد أمر إدارتها إلى السيد الشاذلي القسطلي، الذي ظل يشرف على تحريرها إلى أن توقفت في طائفة 1954 (4)، بعد مسيرة إعلامية دامت حوالي ثلاثين سنة، حيث إنطفأت شمعتها " بعد أن صرع أحد الفدائيين الأحرار مديرها.(5) "

إن صحيفة النهضة تعتبر من الصحف القليلة باللغة العربية التي عمرت طويلا، على الرغم من المضايقات التي عانتها من السلطات الفرنسية، والسلطات الألمانية بعد إحتلال قوات المحور تونس، إذ أوقف الحاكم العسكري الألماني كل الصحف الصادرة باللغتين العربية والفرنسية، بما فيها النهضة.(5)

بعد هذه اللمحة عن ظروف ظهور الصحيفة، يتبادر إلى الذهن تساؤل، ما هو إتجاهها السياسي؟ إن صحيفة النهضة إعتبرت إصلاحية

كما صنفها الأستاذ عمر بن قفصية (6)، إذ كان وراءها الحزب الإصلاحي المنشق عن الحزب الحر الدستوري الذي كان يتزعمه الشيخ عبد العزيز الثعالبي، فالثلة المنشقة التي ترأسها حسن قلاتي تعتمد على الإعتدال وسياسة المراحل(7)وتفضل الجانب الإقتصادي على الجانب السياسي (8).

فجريدة النهضة تعبر عن وجهة نظر الحزب الإصلاحي المنادىء للدستور وهذا إلى سنة 1926 حيث أخفق حسن قلاتي في الإنتخابات لعضوية المجلس الكبير الذي عوض مؤتمر الشورى إثر صدور إصلاحات 1922 ".

وهو هيئة إستشارية تقدم تقارير عن الميزانية والمسائل المالية والإقتصادية الأخرى، ولا يحق لها مناقشة المسائل السياسية والدستورية "(8 م) يتكون من قسمين الأول تونسي ويضم 41 عضوا، والثاني فرنسي ويضم 56 عضوا- وإنهزام الشاذلي القسطلي في إنتخابات الغرفة التجارية، وإثر ذلك إنحل الحزب الإصلاحي، وتحررت الصحيفة من الوصاية الحزبية، فأستقلت، وأصبحت تعبر عن وجهة نظر مديرها (9) إلى أن توفي.

2- مصادر الصحيفة عن حوادث 8 ماي:

إن مصادر النهضة عن حوادث 8 ماي 1945 متعددة، ومتنوعة، ويمكن تصنيفها كالتالي وذلك حسب أهميتها:

1- وزارة الداخلية الفرنسية التي كان يترأسها في تلك الفترة أدريان تكسي (ADRIAN TEXIER) والجريدة تعتمد على البلاغات الرسمية الصادرة عن الوزارة (10) التابعة لحكومة ديغول.

2- الولاية العامة بالجزائر التي يرأسها منذ شهر سبتمبر 1944 إيف شاطينو (Ives Chataigneau) بدلا عن الجنرال كاترو(george catroux)(11)وقد إعتمدت النهضة على بلاغاتها الرسمية(12).

3- وكالة الصحافة التي ظهرت في شهر مارس 1944 بمرسوم صادر بتاريخ 30 سبتمبر 1944 (13) إذ إستغلت جريدة النهضة مادتها الإعلامية في عدة مناسبات(14) .

4- تونس الإشتراكية (Tunis Socialiste) ، صحيفة أسسها المحامي ديران أنقليفيال (Duran Angliviel) سنة 1921 (15)، إعتمدت النهضة على مقالاتها فترجمتها و نشرتها في ركن معرض الصحافة.(16)

5- مستقبل تونس (L'AVENIR DE LA TUNISIE) و هي لسان حال الحزب الشيوعي التونسي(17) ، أعادت الصحيفة نشر تحليل سياسي عن الوضع في الجزائر و المشرق.(18)

6- صحيفة كومبا(19)(Combat)، التي بدأت تصدر بمدينة قسنطينة سنة 1889 وتصدر أسبوعيا ، و هي لسان حال الإشتراكيين(20) ، نقلت التحليل السياسي لهذه الصحيفة عن الأوضاع في الجزائر.

7- دبيش دي قسنطينة (21) (Depêche de Constantine) (، نشرت النهضة لقرائها موقف فرع قسنطينة للحزب الراديكالي الإشتراكي من حوادث 8 ماي .1945

8- الحزب الشيوعي التونسي ، و نشرت بلاغ هذا الحزب الرسمي و موقفه من الحوادث بالجزائر.(22)

3- أسباب الحوادث :

إن المتتبع لجريدة النهضة خلال سنة 1945، و المتصفح لأعدادها من يوم 17 ماي إلى يوم31 ديسمبر،يستنتج أن الأسباب التي أدت إلى

إنفجار الوضع في الجزائر، غداة إنتصار الحلفاء على الفاشية، تعود إلى قيام أعضاء من حزب الشعب الجزائري بأعمال مسلحة عامة مما حدا بهم للإعتداء على السكان المحتفلين بإستسلام ألمانيا وذلك يوم 8 ماي بناحيتي سطيف و قالمة، وفي اليومين التاسع والعاشر منه شملت الإعتداءات القرى و المزارع المنعزلة(23) ،كل هذا يسبق العمل المسلح المزمع القيام به يوم الجمعة 11 ماي.(24) البيان هذا الصادر عن وزارة الداخلية الفرنسية إستقى المعلومات من الوالي العام للجزائر السيد " شاطينو" إذ جاء فيه " وتفيد المعلومات التي تحصل عليها والي الجزائر العام " ، بمعنى أن وزارة الداخلية الفرنسية تبنت معلومات الولاية العامة، التي وجهت إتهام تفجير الوضع إلى حزب الشعب الجزائري.

ونشرت في يوم 1 جويلية 1945 في الصفحة الأولى " وزير الداخلية الفرنسية يشرح نتيجة بحثه عن حوادث الجزائر(25)، فأتهم حزب الشعب و أحباء العريضة (أي أحباب البيان)و بالتالي فهو يحمل مسؤولية الحوادث التي تقع على "عاتق زعماء الحركات الوطنية والإنفصالية".(26)

وهدد الوزير الفرنسي بقوله :" يتعين على الجميع فهم أن فرنسا الظافرة عازمة راسخ العزم على قمع كل عملية ترمي إلى النيل من السيادة الفرنسية بالجزائر وأن بيدها جميع الوسائل لتحقيق ذلك.(27) "

ولم تقتصر بلاغات الداخلية الفرنسية على الجانب السياسي الذي يهدف إلى النيل من السيادة الفرنسية بالجزائر، والإنفصال عن الوطن الأم، بل نال الجانب الإقتصادي حظه من التحليل، إذ جاء في بيانها الصادر بصحيفة النهضة " وقد ظهر نشاط أقلية أعوان الهيجان والتشويش في الوقت الذي تسعى فيه الحكومة الوقتية للجمهورية بجد حتى تحسن تموين إفريقيا الشمالية من القموح فرفعت الكميات المعطاة

من 41,500 طن في أكتوبرإلى 50 ألفًا في ماية ومن غرة ماية إلى 66 ألفا بفضل ما ورد من أم الوطن أو من الولايات المتحدة"(28) "
وتستدرك الصحيفة بعد يومين بقولها : يجب تنقيح أخر البلاغ المتعلق بحوادث الجزائر كما يلي : من شهر أكتوبر إلى شهر ماي كانت الأقساط المخصصة للجزائر في كل شهر ترتفع من واحد وأربعين ألفا وخمسمائة إلى تسعة وخمسين ألفا إبتداء من غرة ماي إرتفعت إلى ستة وستين طنا (كذا) كلها واردة من البلاد الفرنسية والولايات المتحدة.(29) "

إن هذه الأرقام تبين بوضوح مدى إهتمام السلطات الفرنسية بالجانب التمويني الغذائي، والذي ترى فيه من الدواعي الهامة التي أدت إلى إنفجار الوضع في الجزائر، بجانب القضايا السياسية الداعية إلى الإنفصال عن فرنسا.

كما أوردت الصحيفة في يوم 18 ماي (30) في صفحتها الأولى في مربع صغير بعنوان " حول قلاقل الجزائر " خبر إجتماع مجلس الوزراء في نهار أمس(31) " ، وتدخل وزير الأخبار والإقتصاد الوطني مؤكدا على " أن التدابير المتخذة حول التموين داخلة في طور الإنجاز.(32) "

وفي نفس اليوم أوردت تعليق الأستاذ - ديران انقليفيال في جريدة تونس الإشتراكية في ركن أقوال الصحف بعنوان " الجوع بئس النصوح " جاء فيه " أن تلك الحوادث كانت نتيجة الدعاية التي قام بها أنصار - الحزب الشعبي الجزائري - الذي تشبه وسائل عمله وسائل - الحزب الشعبي الفرنسي- المنحل والذي هو حزب فاشستي (33).

وتحدث الكاتب عن موقف الديمقراطيين في تونس الذين " لايرتضون العنف ولكنهم يطالبون الحكومة بالمحافظة على الأمن لأن المطالب العادلة لا يمكن أن تقدم إلا في جو هادىء ولأن العنف لا تكون

نتيجته إلا إعانة محاولات العدو التخريبية قلنا ومازلنا نقول بأن السكان الذين قاموا بتلك الأعمال بالجزائر كانوا دائما يتألمون من جوع قاس تسببت فيه الحرب... وهذا ما جعلنا نصفق طربا للوسائل التي قررتها الحكومة الفرنسية والرامية إلى تموين شمال إفريقيا بكميات هائلة من القمح لأن الجوع بئس النصوح(34) "

وهكذا يتوافق موقف الإشتراكيين مع موقف الحكومة المركزية في باريس في تفسير أحداث الجزائر من الناحية الإقتصادية التي تعتبر إحدى العوامل الهامة في تفجير الوضع، ويرى في الحزب الوطني حزب الشعب الجزائري بأنه يعتمد على الوسائل الفاشية.

ولقد نقلت صحيفة النهضة بلاغ الحزب الشيوعي التونسي(35) الذي عقد تجمعا يوم 15 ماي 1945 والذي يقتطف منه ما يهم الجزائر " ... وبعدها أخبروا بالحوادث الدامية التي وقعت بالجزائر والتي كونها بعض من يدعون ويزعمون الوطنية يرون أن الحق كل الحق كان مع حزبهم الشيوعي.(36) "...

أما البلاغ الصادر عن الديوان السياسي للحزب الشيوعي التونسي الذي إجتمع يوم 13 ماي 1945 جاء فيه " إن جارتنا وشقيقتنا الجزائر أصبحت اليوم مسرحا لحوادث دامية كان فريستها وضحيتها الشعب الجزائري نفسه وقد وقعت تلك الحوادث في ظروف كانت فيها المجاعة والتعاسة سائدة على البلاد وسمحت لبعض مدعي الوطنية الكاذبة وإلى حلفائهم من بعض العناصر الفاشستية الذين لا يزالون بالإدارات الجزائرية.(37) "

فبالنسبة للحزب الشيوعي التونسي فإن حوادث 8 ماي ما هي إلا نتيجة للمجاعة والنقص في التموين، الذين ساعدا مدعي الوطنية الكاذبة والعناصر الفاشية لجر الجموع إلى القيام بحوادث دموية كانوا هم ضحاياها.

وتطرقت الصحيفة التونسية في يوم 31 ماي 1945 نقلا عن " تونس الإشتراكية" تحت عنوان " على هامش أحداث الجزائر " إلى جماعة أحباب البيان وفرحات عباس، ومطالبهم المتمثلة في إستقلال المسلمين إستقلالا إداريا وماليا وسياسيا مع التعلق بالديمقراطية الفرنسية، وتساءلت عن التغير الذي طرأ على موقفهم السلمي، إذ إنقادوا إلى القلاقل الدامية وإلى العصيان المسلح وإلى الثورة (38).

ويتهم علي جراد في صحيفة – مستقبل تونس(L'Avenir de la Tunisie) الشيوعية الطابور الخامس بتفجير الوضع في الجزائر والذي يقف له الشيوعيون والديمقراطيون بإفريقيا الشمالية بالمرصاد.(39)

وصفوة القول يستنتج قارىء صحيفة النهضة أن أسباب حوادث 8 ماي 1945 سياسية وإقتصادية، إذ أن كل طرف يحلل الوضع من زاوية سياسية إيديولوجية تتفق في نهاية المطاف لتقف ضد طموح الشعب الجزائري في الحرية والإستقلال(40) .

4 - الخسائر:

من خلال مطالعتنا للصحيفة التونسية، فإن عدد الضحايا حسب البلاغ الأول الصادر عن وزارة الداخلية الفرنسية " يربوعن المائة " في قالمة وسطيف في الأيام الثلاثة الأولى أي 8-9-10 ماي بعدها عاد الأمن بفضل الشرطة ووحدات المشاة وتدخل الطيران .(41) دون تحديد لهوية الضحايا، هل من الجزائريين أم من الفرنسيين، ولكن على ما يبدو من هذا البيان المقتضب أنه يشمل ضحايا الجانبين.

غير أن اللبس يزول، حينما أعلن وزير الداخلية الفرنسي شخصيا عبر خطاب مذاع عن الحوادث بعد زيارته للجزائر واستقصاء الحقيقة في عين المكان حيث ذكر نسبة المشاركين في الحوادث من المسلمين الذي لم يتجاوز الخمسة في المائة بالمقاطعات الثلاث (42) التي يعمرها مليون نسمة وأعلن عن عدد الضحايا البالغ عددهم 88 قتيلاً وجرح

مائة وخمسون من الجانب الفرنسي. أما عن عدد الضحايا الجزائريين فقال بأن عددهم لا يتجاوز 1200 أو 1500، وفند أقاويل الأخبار الشائعة في الجزائر وفرنسا والبلاد الأجنبية التي تقدر عددهم بخمسة أو عشرة أو حتى ثلاثين ألف.(43)

كما أعلنت المحاكم الزجرية بإعدام 28 متهمًا تبينت مشاركتهم في الإغتيالات وهتك الحرمات من بين 2400 شخص تم توقيفهم، وعلق الوزير بقوله " بيد أنه لم ينفذ في أيهم ولهم الحق في إلتماس العفو، ذلك هو الثمن المؤسف للعمليات الزجرية التي لا يمكن تحاشيها.(44) "

وهو نفس عدد الضحايا الذي أقر به تكسي (Texier) في إجتماعه بالمجلس الإستشاري يوم 19 ماي 1945 ونقلته صحيفة النهضة على صفحاتها في اليوم الموالي .(45) فهذا العدد الذي صرح به وزير الداخلية الفرنسي، يعتبر بعيدا كل البعد عن العدد الحقيقي والفعلي من الضحايا الجزائريين، فتدخل القوات الفرنسية بجميع تشكيلاتها من أعوان الشرطة وقوات المشاة والطيران، وحتى البحرية، إضافة إلى الميليشيات المكونة من المعمرين، خلفت مجزرة رهيبة تعد بالألاف، إذ تقدرالمصادر الجزائرية عدد الضحايا بخمسة وأربعين ألفًا، عدا الجرحى والموقوفين.

5- النتائج:

إن النتائج المستخلصة من مطالعتنا لأعداد صحيفة النهضة التونسية للمادة الإعلامية متعلقة بنتائج حوادث 8 ماي 1945 في أواخرها، وبعد نهايتها بالجزائر تكمن في النقاط التالية:

1- إهتمام السلطات الفرنسية بالجوانب الإقتصادية في الجزائر وفي شمال إفريقيا، وذلك بمجيء السيد م. كولمان متفقد المالية الملحق بنيابة

الجزائر (46) وإجتماع مديرى الشؤون الإقتصادية في بلدان شمال إفريقيا بمدينة الجزائر في الأيام الأولى من شهر جويلية (47).

- 2 جدل سياسي كبير عن وقائع حوادث الجزائر، والمتسببين فيها والتجاوزات التي قامت بها الإدارة الفرنسية، ودور المعمرين والمسؤولين الإداريين الذين نعتوا بالفاشستيين، ويبدو هذا الجدل بين فرع مدينة قسنطينة للحزب الراديكالي الإشتراكي والحزب الشيوعي، وقد إنتقل هذا الجدل إلى باريس، وبعض كبريات المدن الفرنسية المؤثرة في السياسة الفرنسية (48)

3- إهتمام الدوائر السياسية الفرنسية في باريس بالوضع السائد في الجزائر، إذ خصص المجلس الإستشاري دورة خاصة بالجزائر (49) إنعقدت في شهر جوان 1945 حيث تدخل الوالي العام ووزير الداخلية (50) ووعد هذا الأخير بإصلاحات سياسية وإقتصادية وإجتماعية فور عودته من الجزائر بعد زيارته لها يوم 24 جوان (الأحد) وبسط مشروعاته للجان المجلس الإستشاري (51)، والتفكير في إجراء إنتخابات بالجزائر على جميع المستويات (52).

4- الإعتراف الفرنسي بتضحيات الجزائريين في الحرب، ومحاولة السلطات الرسمية الوفاق في نطاق الأمة الفرنسية بين المسلمين وغير المسلمين (53)

5 - وفي المجال التنظيمي إلغاء إدارة الشؤون الإسلامية التابعة للولاية العامة، وتعويضها بإدارة الإصلاحات (54)

6 - استمرار المحاكمات للإقتصاص من الجزائريين على مشاركتهم في الحوادث كمحاكمة العسكري (قدور) من الفيلق السابع والعشرين والملحق بمدرسة شرشال العسكرية وهذا يوم 18 سبتمبر 1945 بالمحكمة العسكرية بتهمة الثورة على فرنسا (55).

كما نظرت محكمة قسنطينة العسكرية يوم 09 أكتوبر 1945 في قضية 83 من الجزائريين معظمهم من منطقة جيجل (56) ، وبعد ثلاثة أيام من المداولات، أصدرت حكمها في حق 72 متهمًا بأحكام تتراوح بين 15 عاما بالأشغال الشاقة إلى 15 عاما نفيا، وانتزاع الحقوق المدنية وحجز الأوراق، إلى السجن لمدة شهر مع غرامة مالية قدرها ألف فرنك (57) كما أصدرت أحكاما بالإعدام في حق متهمين بقتل فرنسيين في سطيف وعموشة (58)

وفي مقابل هذا التشدد، وبمناسبة عيد الأضحى الذي على الأبواب، وغداة الإستشارات الإنتخابية، ألغيت قرارات في حق 43 معتقلاً إداريًا و65 عملية الاقامة الجبرية (59)

7- إلحاق الجزائر بلجنة الداخلية الفرنسية بقرار من المجلس الدستوري الفرنسي، عوض لجنة فرنسا لما وراء البحار.

6 – موقف النهضة من حوادث 8 ماي 1945:

رأينا في البداية أن المصادر التي إعتمدت عليها الصحيفة التونسية هي البلاغات الرسمية لوزارة الداخلية الفرنسية، والولاية العامة بالدرجة الأولى، وكذلك تعاليق الصحف الصادرة في تونس والجزائر، وبيانات الأحزاب اليسارية التونسية والجزائرية، ولانجد تعاليق ولا تحاليل هذه الصحيفة، تتعلق بحوادث 8 ماي، وهي ظاهرة نادرة في الصحافة خاصة وأن النهضة لايعرف لها إرتباط بالإقامة العامة، ولا بحزب سياسي. ويبدو أن الرقابة الفرنسية المضروبة على الصحف قاسية جدا، لذلك لانلاحظ أن الصحيفة تعبر عن رأيها صراحة، وبكل وضوح وجلاء، إذ إشتكت من القيود الإدارية بتاريخ 13 ماي 1945 أي بعد خمسة أيام من إبتداء المجازر في الجزائر، وأربعة أيام قبل نشر بيان وزارة الداخلية الفرنسية عن الأحداث في تعليق لها بعنوان " ليحي السلم ولتسقط الرقابة " جاء في نهايته " فلتحذف الرقابة حذفا ولتزل

إزالة ولتعد للصحافة حريتها ولتحتل الصحافة مكانها من جديد ولترجع إليها كرامتها وليحي السلم ولتحي الحرية ولتسقط الرقابة الصحفية (60) فالرقابة قد منعت الكتابة عن حوادث الجزائر، وبالتالي لم تسمح لجريدة النهضة بإعلام قرائها عما حدث من مجازر رهيبة في القطر الشقيق. فمن غير المعقول أن لاتعلم بها وهي ليست حدثا عاديا من ضمن زخم الأخبار الرائجة في تلك الفترة عالميا بعد الإنتصار على ألمانيا الهتليرية، والحركة الديبلوماسية لإرساء قواعد للنظام العالمي لما بعد الحرب الثانية.

والجزائر ليست بعيدة عن تونس حتى تصل أو ترد الأخبار إليها بعد مدة زمنية طويلة، مع العلم أن قارىء الصحيفة يلاحظ بأن القسم الأكبر من المادة الإعلامية المغطاة لحوادث العالم تصل من الجزائر عن طريق وكالة الصحافة أو المذياع (61). كما عرفنا أن الجريدة بإمكانها تغطية حوادث الجزائر بسرعة وفي حينها كتغطية وقائع المحاكمات في المحكمة العسكرية بقسنطينة ليوم 09 أكتوبر 1945 في اليوم الموالي أي يوم 10 أكتوبر .

إن الرقابة حالت دون إعلام جريدة النهضة قراءها بما يجري في الجزائر في حينه و على الرغم من ذلك ليس معنى هذا أن أهل تونس يجهلون المجازر ، بل كانوا على علم و دراية بها ، ففي شهر ماي كان المرحوم توفيق المدني بتونس (62) بعد مشاهدة هول عملية الإبادة في طريقه بالشرق الجزائري و قد وصف وضع الناس في تونس بقوله :" أما بتونس فكانت النفوس متهيجة و الأفكار مشوشة " (63). و قد كادت أن تحدث مجزرة مشابهة ، إذ راجت إشاعات مفادها قيام التونسيين بمظاهرات يوم 18 ماي 1945، غير أنها لم تحدث و مر اليوم بخير و سلام (64).

و لعل هذه الإشاعات هي التي أوحت للسلطات الفرنسية بتونس السماح لجريدة النهضة بإعلام قرائها عن حوادث الجزائر يوم 17 ماي أي يوم واحد قبل قيامها حتى يفكر كل مشارك فيها، و يعرف جيدا ما ينتظره، إذ أن القوات الفرنسية كانت على أهبة الإستعداد لقمع كل مظاهرة أو تجمع في القطر التونسي، خاصة بالعاصمة.

و من المؤكد أن النخبة التونسية المثقفة على الأقل ، كانت على علم و دراية بما جرى في الجزائر ، لأن جريدة النهضة في عددها الصادر يوم 12 ماي 1945 أخبرت قراءها بعودة الأستاذ نورالدين بن محمود – الكاتب العام للإذاعة العربية براديو تونس ، و مدير مجلة "الثريا" التي تجمع ألمع الأقلام الأدبية و الفكرية، في نفس اليوم إلى بلاده بعد زيارة للجزائر و المغرب الأقصى (65).

إذن الرقابة الفرنسية صارمة و مشددة خاصة فيما يتعلق بأحداث الجزائر خوفا من توسعها لتشمل القطر التونسي ، و لهذا نجد أن الصحف الصادرة بالجزائر في تلك الفترة ممنوعة ، على الرغم من هذا الموقف المضاد للديمقراطية كما جاء في اجتماع لجنة البلاد التونسية بالمقيم العام الجنرال " ماست" يوم 30 ماي 1945 و احتجاج لجنة الهيئة الإتحادية ضد السياسة التي تهدف التضييق على الديمقراطية بحجة أحداث الجزائر، فكانت إجابة المقيم العام قصيرة وواضحة بقوله:" حفظ الأمن ، الشغل الشاغل للجميع في الظروف الراهنة" (66)

ففي هذا الوضع المحفوف بالمخاطر، فإن السلطات الفرنسية ، شددت قبضة الرقابة على الصحافة في تونس و منها جريدة النهضة ، و بالتالي لم تستطع التعبير عن رأيها بكل حرية بما وقع في الجزائر من مجازر تجاوزت تصور الخيال البشري في يوم يدعى يوم انتصار الديمقراطية على الفاشية .

و خاتمة القول ان صحيفة النهضة التونسية، أعلمت جمهور قرائها كما تريد الإدارة الفرنسية، و ليس كما تريدها هي ، لذلك أن المادة الإعلامية حول حوادث 8 ماي 1945 بالجزائر زهيدة ، و لاتفيدالمؤرخ بمعلومات جديدة ، و لايمكن إعتمادها كوثيقة تاريخية يمكن أن تسلط أضواء جديدة عما حدث. و مهما يكن من أمر فلا يمكن إهمال البلاغات الحزبية التي نشرتها الصحيفة للتعرف على الأقل على مواقف بعض الأحزاب التونسية من مجازر 8 ماي 1945.

• القنبلة الذرية الفرنسية الاولى جريمة ضد الانسانية والشعب الجزائري

بقلم **عبد المجيد شيخي**

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية واشتدت اخذت كل الجيوش تحاول تطوير وسائل دفاعها العسكري . وكانت ألمانيا قد قطعت شوطا بعيدا وأخذت الهوة بينها وبين الدول العظمى فى ذلك الوقت ، تتسع وتكبر الى ان حظيت بموقع الريادة فى هذا الميدان ، فاخترعت سلاح الصواريخ ، وطورت سلاح الدبابات والمدرعات الى الحد الذي أكسبها مناعة فائقة . فكانت دباباتها " البنتزر **Panzer**" سيدة الميدان بدون منازع الى نهاية الحرب . وستبقى المعارك الضارية التى خاضتها الدبابات الالمانية فى كل من الجبهة الشمالية الفرنسية فى منطقة " أردين **Ardennes** "والصحراء الليبية ومعركة " العلمين " تحت قيادة الماريشال "رومل **Rommel**" من الاستراتيجيات التى درست فى الكليات الحربية العالمية لمدة طويلة . وفى نفس الوقت ، أي خلال سير الحرب بالوسائل التقليدية ودخول اسلحة جديدة ميدان المعارك (مثل صواريخ ف 1،V1 وف 2 ، V2 تواصل البحث لاختراخ وسائل أخرى تكون اكثر فتكا من سابقتها ويعول عليها فى حسم المواقف عند الحاجة. وكان لنظريات بعض الفزيائيين والكميائيين الاثر البالغ فى دفع عجلة البحث والانجاز ، وكان من نتائج ذلك ان كسبت الولايات المتحدة الامريكية السباق فانجزت أول قنبلة ذرية لم تتوان فى استعمالها ضد اليابان لإخضاعه نهائيا وكسر شوكته ، إذ ألقيت هذه القنبلة على مدينة " هيروشيما " في 1945/08/6 و بعدها

مباشرة ألقيت قنبلة ثانية على مدينة "ناغـازاكي" ، فـى 1945/08/9 . وانتهت الحرب العالمية وفى حلـق الانسـانية جمعـاء مـرارة شـديدة لأن الآفاق التى فتحتها لم تكن لتزرع الامل فى النفوس كمـا يظهـر ذلـك فى المواثيق الدولية الموقعة غداة انتصار الحلفاء ، والتى نصت كلها كما نص ميثاق الامم المتحدة على أن الانسانية لن تعود أبدا الى مغامرة مثل مغامرة الحرب العالمية الثانية.

لكن سرعان ما تبين للناس أن الفرق شاسع بين الاماني والمثل العليـا مـن جهـة والواقـع المـر مـن جهـة أخـرى . إذ مـا إن وضعـت الحـرب أوزارها حتى قام الصراع على أشـده فـى ميـدان التسـليح بدعـوى أن المحافظة على السلم تقتضي الاستعداد للحرب ، كمـا أن حفـظ السـلم يتطلب وسائل رادعة تفرض علـى الـدول الالـتزام بالسـلم . فشـرعت الدول الكبرى فى ذلك الوقت - الولايات المتحدة الامريكية ، الاتحـاد السوفياتي ، بريطانيا - فى انتاج اسـلحة نوويـة . وقـد نتـج عـن هـذا التوجه ظهور مبررات سياسية فرضتها الظروف الدوليـة الراهنـة عقـب الحرب التـى شـهدت انفسـام العـالم الى معسـكرين متنـافرين المعسـكر الشيوعي بزعامـة الاتحـاد السـوفياتي ، والمعسـكر " الحـر " كمـا كـان يسمى تحت زعامة الولايات المتحدة الامريكيـة لهـذه المبررات كـانت الحرب الباردة بين المعسكرين وضرورة احداث "توازن الرعب".

وتبـين فـى ذلـك الوقـت - بدايـة الخمسينات - ان عنـاصر القـوة تغيرت تماما إذ لم تعد هنـاك قيمـة تذكـر للمستعمرات ، او للمسـاحة الترابية للدول ، أو عدد السكان ، بل صار عنصـر القـوة واحـداً وهـو امتلاك أحدث الاسلحة ، وخاصة السـلاح النـووي ، والسيطرة علـى أكبر سوق فى العالم على اساس السيطرة والتفوق الاقتصادي . فكـان أن وجدت فرنسا نفسها مقصاة من " نادي الاقوياء " وذلك:

- لأنها لا تملك قوة اقتصادية كافية وقادرة على مواجهة المنافسة الشديدة حتى داخل " العالم الحر "، فقد كانت قوتها الاقتصادية والعسكرية قد تحطمت فى الحرب العالمية ، ولولا مساعدة الولايات المتحدة فى إطار مشروع مارشال لما تمكنت من النهوض ،

- اقبلت على حروب استعمارية ضد حركات التحرير فى مستعمراتها ، فى الوقت الذى اتجه فيه العالم الى العمل على إنهاء الاستعمار ، مما جعل النظرة الى فرنسا غيرمشرفة وبدأت تحتل مكان المتهم فى محاكمة الاستعمار ، هذه المحاكمة الرمزية التى فتحها المثقفون فى العالم والتى تبين الاستعمار عامة والاستعمار الفرنسي خاصة فى مظهر النظام البليد الذي لا يستوعب الدروس ، على حد تعبير الجنرال جياب ، قائد معركة " ديان بيا فو " الفيتنامية الشهيرة .

لم تخف هذه المعطيات والعناصر على أذهان الساسة الفرنسيين وكذلك المجتمع الفرنسي بكامل شرائحه . خاصة وان درسا جديدا يلقن للتلميذ البليد فى الجزائر حيث قرر الشعب الذود عن حرماته و العمل على افتكاك سيادته مهما كلفه ذلك من ثمن . وأدرك المستعمرون الفرنسيون انهم ، مرة أخرى يواجهون محنة لا قبل لهم بها ولا سبيل الى تجاوزها . فالثورة الجزائرية سائرة بخطى ثابتة نحو الاهداف التى رسمتها وخاصة القضاء على النظام الاستعماري نهائيا . فشرعت الترسانة الفرنسية فى مواجهة الامر على أكثر من صعيد من ذلك:

- **السياسي**: بالعمل على اقناع الاصدقاء وحتى الاعداء وفى جميع المحافل الدولية بأن القضية الجزائرية قضية داخلية لا حق لأحد بالتدخل فيها ، لذلك اسمت ما يجري فى الجزائر بـ " عمليات حفظ الامن " وليس بـ " الحرب ":

- **العسكري:** بشن عمليات إبادة ، لا تنم فقط عن حقد دفين تجاه الجزائريين ، بل كذلك للثأر للكرامة الفرنسية التى أهينت منذ أكثر من قرن (من طرف الالمان ثلاث مرات ، ومن طرف الفيتناميين والتونسيين والمغاربة الى غير ذلك من المستعمرات التى أخذت تطالب بالاستقلال او على الاقل بالتغيير فى النظام الاستعماري السائد فى ذلك الوقت) ، فكانت الجزائر ممثلة لكل ذلك ، يضاف الى هذا الجانب عنصر هام جدا وهو ان الجزائر لم تكن مستعمرة عادية أو حماية كما كانت تونس والمغرب ، فقد كانت جزءا لا يتجزأ من التراب الفرنسي ، لذلك فهي فى مقام مقاطعة " الزاس " أو " لوران "Alsace/Lorraine".

- **العلمي:** إذ عمل الساسة الفرنسيون على تجنيد ما يملكون من ملكات علمية معززة بعلماء أجانب لتطوير البحث العسكري عملا على اقتفاء اثر الدول العظمى فى هذا الميدان وسعيا الى تطوير صناعة عسكرية عصرية تمكن من الوصول الى السلاح النووى.

وقد ساعد على ذلك كله ان اكتشف البترول فى الصحراء الجزائرية، فزاغت الابصار ولاح بصيص أمل فى استرجاع مجد ضائع وقوة محطمة. ذلك ان امتلاك البترول يعني الدخول الى نادي منتجي هذه المادة الاستراتيجية التى بفضلها ستكتسب القوة الاقتصادية . وهكذا ستعود فرنسا الى مركزها كدولة عظمى ، هذا المركز الذي كانت دول " يالتا" لا تعترف لها به وانما غظت الطرف عنه لوجودها بين الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية .

وقد كانت لفرنسا فرصة لتبرهن لحلفائها بأنها ما زالت دولة عظمى بمشاركتها فى العدوان الثلاثي على مصر فى 1956/10/26 ، وكان لها ان تحقق ثلاثة أهداف هامة:

1- إقامة الدليل على انها عضو نشيط فى سياسة الدفاع عن "العالم الحر" ، وان مصالحها الحيوية هي أيضا من مصالح هذا العالم،

2- أنها قادرة على الوفاء بالتزاماتها الدولية ، فقد التزمت بحماية إسرائيل وتحقيق أمنها ولو كان ذلك بالحرب .

3- ان القضية الجزائرية قضية داخلية فرنسية ، وبما ان مصر سمحت للثورة الجزائرية باتخاذ ترابها قاعدة سياسية فان الدولة الفرنسية قادرة على التدخل فى مصر للقضاء على الثورة الجزائرية.

لكن هذه السياسة لم يكن ينظر اليها بعين العطف من طرف الدول الكبرى ، وذلك لاعتبارات مختلفة . فالانكليز - رغم ظرف الحرب العالمية الخاص - هم أعداء تقليديون للفرنسيين ولذلك فان موقعهم فى خارطة السياسة العالمية معروف وهو دائما بجانب الولايات المتحدة الامريكية للعلاقة العضوية الموجودة بينهما منذ القرن الثامن عشر، كما ان تحيز الحزب الشيوعي الفرنسي الى جانب الاتحاد السوفياتى فى الصراع الدائر بين المعسكرين الشرقي والغربي يجعل فرنسا كدولة فى موقف حرج جدا لتحتل المكانة التى تريدها بين حلفائها. كل هذا دخل فى حسابات الساسة الفرنسيين كلما وضعوا خطة دفاعية وارادوا ادماج هذه الخطة فى خطط الحلفاء. وعليه توجهت فرنسا الى رسم سياسة دفاعية منفردة فاخذت تعد العدة لتصبح فعلا قوة يحسب لها حساب.

هذه هي المعطيات الاساسية التى اعتمدت عليها فرنسا . فانشأت مفاعلا ذريا وبدأت التجارب. وكانت فى حاجة الى حقل فلم تجد سوى الجزائر - القطعة التى لا تتجزأ من التراب الفرنسي - فاحدثت فى منطقة بشار - وكان اسمها إذ ذاك "كولومب بشار " - اربع قواعد عسكرية متكاملة للطيران والصواريخ والغازات الكمياوية والقاعدة النووية فى رقان.

ولم تكترث بما سيكون عليه موقف الدول المجاورة والدول الاخرى نظرا لعدم تقدير من أي درجة كان ، للرأي العام العالمي . وفي الساعة السابعة واربع دقائق من صباح يوم 1959/02/13 ، أقدمت الحكومة الفرنسية على تفجير اول قنبلة ذرية لها ، مثبتة عدم التفاتها لحق الشعوب في تقرير مصيرها ولا في حقها في الامن والاستقرار. ومهما كان هول الحدث ، وآثاره المادية في عين المكان على الطبيعة وبالخصوص على السكان الذين ما زالت معاناتهم كبيرة ، فان الاثار السياسية بالغة الاهمية لأنها كانت ذات أبعاد رهيبة لولا الثورة الجزائرية لكان الموقف اليوم موقفا لا تحسد عليه الجزائر والدول الافريقية جمعاء.

أما من حيث الآثار المادية والنفسية فيكفي ذكر قصيدة شاعرنا الفذ "شاعر الثورة الجزائرية " مفدي زكرياء لأنها أبلغ ما يقال في هذا المقام.

ابن القنبلة الذرية

مادهاه ... ويل امه ... مادهاه ؟؟ ويلتاه من جيله و يلتاه !! ..
ماله في الحياة يولد اعمى لم تر الكون باسما قلتاه ؟؟
! وماذا جنى فشلت يداه ماله مقعدا يدحرج رجليه
ماله لم تزل تهدهده الا م ولم تستمع لها اذناه ؟؟
ماله اخرص تناجيه في المهد و لم تبتسم لها شفتاه . . . ؟؟
ولماذا لم يبك بين ذراعيها دلالا ولم يقل: اماه .. ؟؟
الهذا الوجود جاء وحيدا ... ؟؟ ام له في زمانه اشباه ؟؟
ويلتاه من جيله ويلتاه

****

قذفته الى الحياة يد الموت فلم يقض في الحياة ربيعا
وسقته السموم في عالم الغيب فرنسا ... فجاء شكل مريعا
ابن افريقيا الشهيد خر على مذبح الطغاة ذبيحا

تخذ ت منه " للتجارب قربا نا فرنسا فحطمته رضيعا
شوهت خلقه جريمتها الكبرى وجرته للخراب سريعا
ليته ظل في الفضاء بخارا ليته دام كالشعاع رفيعا
ليته ظل في السماء منيعا

****

شبح كالخيال لم يك كالحي فيرجى... ولم يمت فيوارى
عاش حيران في عذاب وبؤس بين قوم معذبين حيارى
ظل يسعى الى الفناء رويدا يائسا لا يغالب الأقدار
طحن الداء جسمه واحال السقم ذراته هباء فطارا
نبتت من حطامه لعنات كالصواريخ نقمة وانفجار
نازلات على طغاة فرنسا لم تزل كالجحيم تقذف نارا
لقنتها عواقب البغي سرا بث فيها عدل السماء قرار
حملتها العصور خزيا وعارا

****

شعب افريقيا احاط به المكر فامسى للمجرمين ضحية
ورمته عبر القرون فرنسا طعمه للقنابل الذرية
وسرى الموت فيه جيلا فجيلا يوم هزت شعوبه الحيوية
شعب افريقيا ستنصفك الدنيا وتصغى لك الشعوب الابية
وسيحكى هذا الزمان ويروى للبرايا فضائح المنية
فخذ الثار من فرنسا وخلد في الضحايا تلك النفوس الزكية
وانفجر صارخا ... وقل يافرنسا انت في الارض هفوة ازلية
يافرنسا ..... يالعنة البشرية

أما الآثار السياسية فيمكن تلخيصها فى النقط التالية:

1- ان الحكومة الفرنسية نفذت سياستها الدفاعية بتقوية ترسانتها بالسلاح النووي ظنا منها أنها ستصبح قوة لا تقهر مما سيجعل حركات التحرير الوطنية وخاصة الثورة الجزائرية تسلم بالامر الواقع و تقبل بعرض الجنرال **دي غول** المعروف " بسلم الابطال " ،

2- ان تطورات القضية الجزائرية مهما كانت فانها سوف تؤول فى أسوأ الاحتمالات بالنسبة لفرنسا الى التقسيم وبذلك تبقى الصحراء تحت النظام الاستعمارى ، وتحافظ فرنسا بذلك على التواصل بين مستعمراتها الافريقية.

3- بالنسبة للعالم الخارجي فان اكتساب السلاح النووي يفتح المجال لفرنسا :

- للتحرر من الوصاية الامريكية فى ما يسمى بالغطاء النووي على أوربا القارية ما دامت بريطانيا ذات وضع خاص يجعلها سياسيا و عاطفيا أقرب الى الولايات المتحدة الامريكية من أوربا ،

- امكانية لعب دور الريادة فى عزل اوربا عن الولايات المتحدة لأنها القوة النووية الوحيدة فى اوربا بعد تحطيم القوة الالمانية فى الحرب ، وبذلك تصبح فرنسا حامية حمى أوربا أمام الخطر الروسي.

وهذا ما برر المواقف الفرنسية تجاه منظمة الامم المتحدة التى تناولت القضية الجزائرية ، وكذلك موقفها من الحلف الاطلسي الذى تردد فى مساندة فرنسا عسكريا للقضاء على الثورة الجزائرية.

إنفجار القنبلة النووية برقان: شهادات من عايشوا الحدث

في يوم 13 فيفري من هذه السنة تكون قد مرت ست وثلاثون سنة على قيام السلطات الفرنسية بتفجير أول قنبلة نووية برقان. إن هذا التفجير الذي يدخل ضمن التجارب النووية الفرنسية، كانت فرنسا تحضر له منذ دخولها إلى رقان في 1957، ومنذ إنشائها لقاعدتها العسكرية بالمنطقة.

وبهذه المناسبة أجرت إذاعة أدرار المحلية تحقيقا في الموضوع، ضمنته شهادات بعض الأشخاص الذين عاشوا الإنفجار من مختلف المواقع. وإليكم بعض هاته الشهادات:

***الشيخ عبد الله:**" قبل أيام من الإنفجار، جاءت فرنسا إلى المكان المحدد لذلك، ومعها عتاد ضخم: طائرات، شاحنات،اسمنت، خيوط الكهرباء، حديد، خشب، كميات هائلة من المياه... إضافة إلى عمال عدة شركات متخصصة في الكهرباء، النجارة، الحدادة...إلخ. ولقد كان ضمن الجيش الفرنسي أناس يتكلمون العربية لسنا ندري من هم.. وعندما جاء اليوم المحدد، ذهب الفرنسيون إلى القصور وأماكن تواجد السكان، وراحوا يعلقون لهم أطوا قا كتبت عليها أسماؤهم ونفس الشيىء فعلوه مع الحيوانات، والهدف من هذا هو التعرف على جثث الضحايا وأماكن تواجدها قبل وبعد الإنفجار".

***باديغي:** - كان يعمل مع الجيش الفرنسي بالمنطقة-
"إنني الآن أتكلم عما شاهدته وليس عما سمعته أذناي. ففي تلك الفترة كنت أعمل مع المسؤولين و الضباط الفرنسيين الكبار، مثل الكلونيل

دسيسيشو والكمندان لابروس، الكمندان سليغي (مسؤول قوة الجيش برقان)،الكولونيل قيرنو(مسؤول القوة الجوية)، الكمندان طورنو (كان ينسق بين قاعدتي بشار ورقان). ولقد كنت أذهب مع هؤلاء المسؤولين كل يوم أحد من كل شهر إلى المكان الذي تحضر فيه القنبلة، وهذا خلال المدة التي بقيت فيها فرنسا برقان.

وأذكر أن فرنسا لما دخلت إلى رقان سنة 1957، جاء معها أناس أجانب لا يتكلمون الفرنسية بل انجليزية فقط، ولست أعلم جنسيتهم... ولما قرب موعد تفجير القنبلة النووية جاءت فرنسا بمدافع كبيرة الحجم على متن شاحنات، وأنواع أخرى من الأسلحة الثقيلة، كما جلبت عدة أنواع من الحيوانات: الفئران، العقارب، الخيول...إلخ

محمد الرقاني: (يحمل شهادة دولية في الصيدلة، صيدلي بالمصلحة الطبية برقان، وأثناء الإنفجار كان يعمل بنفس المصلحة.(

"لما دخلت فرنسا إلى رقان في سنة 1957 بقيادة جنرالات وضباط سامين، متخصصين في المجال النووي. أنشأت القاعدة العسكرية أو**Le plateau** كما كانت تسمى، وحفرت من تحتها أنفاقا واسعة تتنقل عبرها شاحنات ضخمة. فكانوا يقومون بإدخال عتاد القنبلة النووية فيها، وكان يمنع على أي شخص، وحتى بعض الجنود الفرنسيين دخول ذلك المكان. وفي سنة 1960، ولما إنتهت الأشغال والتحضيرات بالقاعدة العسكرية فجرت القنبلة النووية بمنطقة تسمى الحمودية، وهذا تحت إشراف الجنرال " إيري"، وبحضور الجنرال " دي غول ". ولمنع ظهور أو تفشي أي مرض بعد تفجير القنبلة، عملت فرنسا على إنشاء مصلحة علاجية بها مختلف المعدات الطبية، ثم طورتها بعد ذلك لتصبح مصلحة طبية علاجية بها طبيب رئيسي وأطباء ضباط متخصصين في الجراحة، أمراض

"atomique"كما يسمى. وانطلقت طائرات من نوع Reaction لتتبع إتجاهه".

*الشيخ عبد الله:" قبل أن يحدث هذا، كان كل شيء على ما يرام، والحياة تسير بشكل طبيعي، ليتغير الوضع بعد الإنفجار...إذ كنا مثلا نزرع الأرض بالقمح والشعير والفول، ونغرس النخيل، فكان يأتينا المنتوج بوفرة، أما اليوم فذهب كل هذا... والحليب كان وافرا " عند الحيوانات، حتى أن النساء كنا يرضعن أطفالهن وأبناء الجيران، أما اليوم فأصبحت الأمهات ترضعن أطفالهن بالزجاجات..إضافة إلى تدهور صحة السكان، وهزل الحيوانات."

*باديغي : " قبل القنبلة كنا في نعيم، ولم نكن نحتاج إلى مستشفى للعلاج، ولا إلى منصب عمل نقتات منه، لكن بعد ذلك تدهورت الفلاحة وأصبحت الغلة قليلة، وهذا بسبب القنبلة. بدليل أن قرية " زاوت الرقاني " القريبة جدا من مكان الإنفجار، هي أول منطقة بدأ بها ظهور الأمراض والمخلفات، وأصبحت لا تصلح لأي شيء.حتى أن مكان الإنفجار أصبحت تربته سوداء مثل الحديد"...

*مواطن جزائري كان يعمل بالمستشفى أنذاك: " إن مخلفات التفجير مست كل ميادين ونشاطات الحياة اليومية، خاصة منها الفلاحة. فقبل سنة 1960، كانت الأرض تنتج القمح، الشعير، الطماطم والتمور بكثرة. والنخلة أصبح تمرها صغيرا
وقل ما يصلح، حتى أنه أصبح لا يصل إلى 10 كلغ، بعدما كان أكثر. وحتى لو سقيت الأرض جيدا، فإن المنتوج قليل، وإذا ما وصل موسم الحصاد والجني، فإن المنتوج ييبس، بسبب إرتفاع درجة حرارة الأرض بعد الإنفجار. كما أن الناس تأثرت صحتهم مع الأسف...

وأذكر أنه قبل 1960 كان بمنطقتنا مركز علاجي تقدم فيه إسعافات أولية poste de secours ، لكن وبعد بداية التحضير لتفجير القنبلة، تحول ذلك المركز إلى مركز طبي إجتماعي تقدم فيه خدمات طبية متعددة، كما رفع عدد الأطباء والممرضين، ليجلبوا بعد حدوث الإنفجار أجهزة طبية حديثة يشرف على تسييرها مختصون. وبما أنني كنت أعمل بالمستشفى أنذاك، فقد رأيت أناسا ينزفون دما، ونساء خرج منهن الحيض، ومنهن من تعرضن للإجهاض...وابتداء من تلك الفترة، أصبح المواطنون الذين عايشوا الإنفجار، وحتى من ولدوا بعد ذلك بكثير، يعانون من أمراض عدة، منها : مرض الكلى، مرض القلب ومنهم من أصيب بالعمي بفعل قوة الضوء الذي صاحب الإنفجار"..

•**قلوم المكي**: - مجاهد، باحث إجتماعي عاش الإنفجار-

"كانت لهذه التجارب النووية إنعكاسات خطيرة على الإنسان والبيئة.وخلال السنوات الأولى والأخيرة ظهر إرتفاع الوفيات عند الصبيان وأمراض سرطانية مرتفعة كرستها الإحصائيات خصوصا عند الجيل الذي عايش فترة الإنفجارات النووية. وأثر الشعاع الذري تجلى أيضا في إنعكاسات صحية على النخيل وزراعة الحبوب. وبعد مدة من الإنفجار التجريبي النووي برقان وأثناء الملتقى الدولي حول آفاق الزراعة الصحراوية الذي نظمه الفرع المحلي لإتحاد الإقتصاديين والإجتماعيين لمدينة أدرار بالإشتراك مع الولاية ووحدة البحث الأنتروبولوجي بجامعة وهران سنة 1986، وأثناء هذا الملتقى، ألفت نظر المشاركين الوطنيين و الأجانب من خلال إحدى التدخلات التي أحرجت البعض أنذاك، لفت نظرهم فيما يخص الأثر الضار الذي ألحق

في مدة قصيرة وبعيدة المدى على بالزراعة من جراء الشعاع الذري الذي إنجر على سابقة التفجير بمناطق واحتنا الغربية، وأطلقت على هذا الوباء الدخيل إسم " **البيوض الذري** "، إن صح هذا التعبير، فعلينا أن نقيم الضرر الذي أصاب الإنسان والطبيعة والبيئة، ونطالب من المعتدي علينا تعويضا يستحقه المتضرر... ومباشرة بعد تفجير هذه القنبلة رفعنا إحتجاجاً مكتوباً حررته بيدي، ولدي نسخة منه، إلى الرأي العام العالمي وبعثت به بواسطة المناضل الحاج عبد الرحمان كبويا - رئيس اللجنة التنفيذية الولائية بأدرار- إلى الأخ المرحوم سي أحمد ضرارية وطلبت منه نشره في الصحف الغربية وتسليمه للأمم المتحدة. ولقد تجلت نتيجة هذا النداء الإحتجاجي، في قدوم لجنة تحقيق أممية، لكن لم يسمح لها بدخول المنطقة من قبل السلطات الإستعمارية، فأجبرت على العودة من حيث أتت. وهذا يدل على صرامة الحصار الإعلامي والعزلة الإتصالية التي فرضت على المنطقة أثناء فترة التجارب، حتى أن الإتصالات بين فرنسا والفرنسيين كانت تخضع لرقابة مشددة "

*بادیغي : " لقد إختارت فرنسا منطقة رقان بالذات لكي تفجر هذه القنابل النووية لأنها منطقة متسعة وتقع بين جمهورية مالي، الصحراء الغربية ومنطقة تمنراست. ويقول قدماؤنا أن فرنسا وقع إختيارها على منطقة رقان منذ القدم، أي قبل تفجير القنبلة."

*قلوم المكي : " لا يمكن فهم عملية تفجير القنبلة النووية الفرنسية لأغراض تجريبية في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات ... ولقد رتبت فرنسا نفسها كقوة عسكرية مهيمنة وعتيقة، يحسب لها حساب في أوربا وفي حوض البحر الأبيض المتوسط، وعلى عتبة القارة الإفريقية وخاصة منها القسمان الشمالي والغربي. وهذه التجربة النووية التي مارستها فرنسا في الصحراء الجزائرية بالذات، إندرجت، بغض النظر

عن عامل العلاقات الإيديولوجية الدولية بين الشرق والغرب التي سادت العالم عقب الحرب العالمية الثانية. وواكبت الحرب الباردة، بغض النظر عن هذه الدوافع كلها، فإن هذه التجارب النووية على أرضنا وترابنا الوطني جسدت سابقة متأخرة تندرج في المسلسل العسكري التجريبي على مختلف مراحله التقليدية والأوتوماتكية والتكنولوجية المتطورة. وهذا المسلسل، مسلسل الإمكانيات التكنولوجية العسكرية، إستهدف عبر تاريخ الإنتفاضات التحريرية المسلحة للشعب الجزائري. إستهدف أولا الإنسان الجزائري وأخيرا البيئة المناخية ."

وفي الأخير لابد أن نشير إلى أن الأهالي بالصحراء الجزائرية كانوا قد تعرضوا للإبادة الجماعية في أول الأمر في معركة إينغر في 19 مارس 1900، راح ضحيتها ما يزيد عن 3000 شخص بين متوفي وجريح وأسير. وتكررت نفس المجزرة في منطقة تيط أدت إلى تشريد السكان وهجرتهم إلى المناطق المجاورة، لتأتي بعد ذلك ملحمة العرق الكبير التي عرفت معارك دامية أشهرها معركة قامبو التي إستعمل فيها العدو الفرنسي أبشع طرق المقاومة بغية إبادة الشعب الجزائري. وكان القائد في هذه المعركة، الرائد بيجار الفرنسي الذي قال أنذاك أنه " لا يمكننا القضاء على شعب دون القضاء على مصدر عيشه. ومن ثم خططت فرنسا لهذا التفجير الذري الأول الذي أتى على الأخضر واليابس، وقضى على كل خيرات رقان، وعلى جمالها. وقد تلا هذا التفجير الذي عرف بالجربوع الأزرق، تفجيرات نووية أخرى لم يكن لها مفعول يذكر، حيث قامت فرنسا بتفجير ثاني في 1960/04/01، وأسمته بالجربوع الأبيض، ثم التفجير الثالث في 1960/12/27.

مقتطفات

مقدمة الباب

• يتجزأهذا الباب الى قسمين رئيسيين هما:

أ- الندوات العلمية التاريخية:

وهي تلك التيَ ينظمها المركز أو أطراف أخرى، سواء كانت على الساحة الوطنية أو الدولية.

-ب- التسجيلات:

سواء كانت هذه التسجيلات سمعية أو سمعية بصرية وتمثل شهادة حية من أفواه المجاهدين الذين شاركوا في صنع بعض الأحداث التاريخية الهامة المدونة وغير المدونة.

*وسنحاول من خلال هذين القسمين أن نشير باختصار الى هاته الندوات والتسجيلات مقتطفين منها أهم ماجاء فيها، ومستنبطين منها الجدير في المعرفة التاريخية.

*ويرحب هذا الركن بكل إسهامات الافراد والمؤسسات والجمعيات على اختلاف نشاطاتها خدمة لهذا الركن، وإفادة للطلبة والباحثين.

الملتقى الوطني لمعهد التاريخ حول المدرسة الغربية وقضايا التاريخ الجزائري

المنعقد أيام 10-11-12- مارس 1987

شارك في هذا الملتقى نخبة من أساتذة معهد التاريخ بجامعة الجزائر، وكل من معهد التاريخ بجامعة وهران، ودائرة التاريخ بقسنطينة، وتميز هذا الملتقى بتقديم أبحاث ودراسات قيمة تناولت بالبحث والدراسة القضايا التاريخية التي تتصل بالمدراسة الغربية في مجال التاريخ ونظرتها لماضي الجزائر والحكم عليه.

- استقطب هذا الملتقى جمهورا واسعا من الأساتذة والباحثين والصحافيين والطلبة والمهتمين نظرا للمستوى العلمي الرفيع وتلخصت أهداف هذا الملتقى في:

1- كشف ما أمكن من مواطن الزيف والتعامل في كتابات المدرسة الغربية التي تناولت مختلف جوانب التاريخ الجزائري ومراحله، وذلك بنقدها وتمحيصها، ودراستها دراسة موضوعية بروح علمية، وبطريقة منهجية غير متأثرة بالمدارس، والاتجاهات الاجنبية السائدة وفي ذلك أحسن تمهيد لإعادة صياغة التاريخ الجزائري.

2- الاهتمام بالارشيفات والوثائق التاريخية في اعادة النظر في كتابة التاريخ الجزائري، من وجهة نظر جزائرية بحتة، ومحاولة تكوين طريقة جزائرية في التعامل مع الوثيقة الارشيفية، ولا سيما ما وجد منها بالارشيفات الاوروبية.

3- التعريف بالوثائق الجزائرية المتوفرة بمختلف انواعها، التي طالما أغفلت المدرسة الغربية استعمالها، بل كثيرا ما حاولت التشكيك في فائدتها وقبول ماجاء فيها.

- هذا وانتهى الملتقى الى إقرار توصيات منها:

1- فتح مجال البحث أمام المؤرخين، واتاحة الفرصة أمامهم لنشرابحاثهم وحماية أفكارهم ونتائج أبحاثهم.

2- تسهيل عملية جلب الوثائق الجزائرية من الخارج عن طريق تسهيل السفر والتصوير.

3- تسهيل الاطلاع على ماينشر حول تاريخ الجزائر في الخارج

4- نشر واعادة نشر أمهات الكتب التاريخية المتعلقة بتاريخ الجزائر.

5- إعادة النظر في كتب التاريخ المخصصة للتعليم الاساسي والثانوي بحيث تصفى من المصطلحات والمحتويات الموروثة عن المدرسة الغربية.

6- توضيح وابراز الرؤى الوطنية والعربية - الاسلامية في التاريخ الجزائرى في جميع المجالات والمناسبات.

7- متابعة التفسير الغربي للتاريخ الجزائري فيما يكتب الان ايضا عن الجزائر في المحافل العالمية.

8- عند مناقشة النظرية الغربية في التاريخ الجزائرى، يجب عدم الاكتفاء بردود الفعل فقط بل يجب تجاوز ذلك الفعل نفسه، وذلك بتوجيه البحث وجهة علمية موضوعية.

9- ضرورة احترام المقاييس العلمية في كتابة التاريخ، وخصوصا مراعاة المنهجية التاريخية والاعتماد على المصادر.

10- تمكين الباحثين من الاطلاع على المحفوظات المحلية المتوفرة في المكتبات الخاصة والاستفادة منها.

الملتقى الوطنى حول ترقية تدريس تاريخ الثورة

انعقد الملتقى بثانوية حسيبة بن بوعلى يوم 30-31/10/ 1994 اهتم هذا الملتقى، ببحث واقع تدريس التاريخ في المنظومة التربوية، وأبرز معوقات ذلك، ثم ناقش الأهداف والغايات المنتظرة من تدريس تاريخ الحركة الوطنية، وركز على :

1- تقوية الانتماء الوطني في نفوس الأجيال الحالية.
2- تربية الأجيال على احترام وتقدير التضحيات الجسيمة التى قدمها اسلافنا من الشهداء والعلماء والمجاهدين في سبيل الحرية والاستقلال وازدهار الوطن.
3- ادراك الدور الأساسى الذى مثله الاسلام دينا ولغة وحضارة والانتماء الى الوطن العربي في بلورة الشخصية الوطنية المتميزة في تحقيق النصر على الاستعمار الفرنسي.
4- فهم طبائع الاستعمار، وشراسته، وهمجيته، وأطماعه وتصوير جرائمه
5- ضمان الرصيد المعرفى الكافى والضرورى في تاريخ الحركة الوطنية لكل مواطن.
6- الاطلاع على الأعمال البطولية التى حققها اسلافنا وتعريفهم والاعتزاز بهم
7- إدراك أهمية الوحدة الوطنية في المحافظة على كيان المجتمع الجزائري.
-كما ناقش الملتقى بعض الاجراءات المطلوبة لتدريس التاريخ منها:

1- إعطاء التاريخ عموما وتاريخ الحركة الوطنية خصوصا المعامل المناسب.

2- الاهتمام والصرامة في انتقاء الاساتذة وتكوينهم علميا ومنهجيا.

3- الاهتمام الجدي بتأليف الكتاب المدرسي المتعلق بتاريخ الحركة الوطنية شكلا ومضمونا لتحقيق الاهداف المقترحة وذلك بالتنسيق بين الجهات المختصة والمعنية.

4- توفير الوسائل السمعية والبصرية والوثائق الضرورية.

5- ضبط خطة منهجية للتكفل بتاريخ الحركة الوطنية في مضامين المواد التعليمية الاخرى كالأدب، واللغة، والفلسفة والنشاط الثقافي.

6- انشاء لجنة خاصة بوزارة المجاهدين للتوثيق والتصحيح وتدقيق الحقائق التاريخية، ووضع دائرة معارف للاعلام والشخصيات العلمية الوطنية والاماكن التاريخية، والمعاهدات والرسائل والقرارت.....الخ

7- اعتبار وزارة المجاهدين السند القوى والمساعد الامثل في توفير المادة التاريخية الصحيحة الخاصة بفترة الحركة الوطنية.

8- اعتبار الفترة التاريخية مابين 1830-1962 الحد الادنى لثقافة تاريخية أساسية لكل مواطن, مدرسة وطنية لتكوين جيل يكون فعلا خير خلف لخير سلف بالضرورة والواجب وطنيا وحضاريا.

9- متابعة تطبيق البرنامج بروحه ونصه تحسبا لكل انحراف محتمل أو لسوء فهم لمضامينه أبعادا وأهدافا.

ثم خرج الملتقى الخاص بتدريس تاريخ الثورة التحريرة بتوصيات أهمها:

1- ضرورة تهيئة الاطفال باعتماد التربية التاريخية في الطور الأول وبالضرورة في السنة الرابعة اساسي، باعتبار أن بقية المواد الدراسية تتضمن مواضيع حول الثورة والوطن.

2- إضافة وحدة خاصة بموضوع العلم الوطني، ووحدة خاصة بالنشيد الوطني.

3- توسيع الحجم الساعي في كل المستويات التعليمية لمادة التاريخ، والرفع من معاملها في التعليم المتوسط والثانوي.

4- انجاز دليل توضيحي خاص بالمعلم.

5- اعداد وتكوين المعلم المختص في مادة التاريخ بإقامة دورات تكوينية لتجديد المعلومات علميا وتربويا.

6- تدعيم المؤسسات التعليمية بالوسائل التربوية الضرورية من كتب ووثائق ووسائل سمعية بصرية.

7- ضرورة تأليف كتاب مدرسي جديد يجسد البرامج المعمول بها معريفيًا وتربويا.

8- ادراج فهرس عن المصطلحات بمفاهيمها الدقيقة، واضافة تراجم زعماء وأعلام الحركة الوطنية، وإبراز المرأة الجزائرية والطفل الجزائري إبان الثورة.

9- ضرورة استغلال المحيط والتركيز على الاستفادة بما يزخر به من مواقع تاريخية وكنوز ومعالم، وشواهد عن الوقائع والاحداث.

10- أهمية تحديد الجهات المسؤولة التي تساهم فعليا في ترسيخ مبادئ ثورة نوفمبر ومطالبتها بتثبيت هذه المبادئ وتشخيصها عمليا.

11- انشاء هيئة مشتركة للنشاط والتعاون بين وزارات التعليم العالي والبحث العلمي، المجاهدين، والتربية.

مقتطفات من الحوار المسجل الذي أجري يوم: 1995/11/21مع المجاهد محمد بوزيد، المدعو بن صابر، بالمركز حول معركة سيدي ثامر (بوسعادة) التي جرت صبيحة يوم1959/03/29 ، واستشهاد العقيدين عميروش وسي الحواس

بطاقة شخصية للمجاهد:

السيد محمد بوزيد أو بن صابر، كما كان يدعى أثناء الثورة التحريرية، من مواليد 25 جانفي 1939 بمدينة الجلفة، إلتحق بصفوف الثورة التحريرية في شهر نوفمبر 1956 بالحدود الجزائرية الليبية (بنواحي ولاية إليزي اليوم) وقبل أن يلتحق بالثورة كان منخرطا في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية، كما درس في مدرسة تابعة لجمعية العلماء المسلمين بالجلفة ثم بتقرت.

ولقد إشتغل كسائق شاحنة بشركة فرنسية تدعى الشركة

المجاهد محمد بوزيد

الوطنية للنقل بالجنوب، وهذا بالخط الرابط بين تقرت وجانت.

ولعل ملازمة هذا المجاهد للشهيد العقيد سي الحواس، جعل منه شهادة حية لا يمكن الإستغناء عنها، خاصةو أنه أحد الشخصين الوحيدين

الذين حضرا معركة سيدي ثامر، ولم يقعا اسيران بيد القوات الفرنسية، وهي المعركة التي إستشهد فيها كل من العقيدين عميروش وسي الحواس.

" في أواخر شهر نوفمبر من سنة 1958، وفي الولاية الثانية، وإنعقد إجتماع لقادة الولايات التاريخية، ولقد حضر هذا الإجتماع قادة أربع ولايات، إضافة إلى الولاية الثانية التي كان على رأسها أنذاك السيد علي كافي، ولم يحضر ممثلو الولاية الخامسة (الغرب الجزائري) نظرا لبعد المسافة من جهة، وللأخطار الموجودة على الطريق من جهة ثانية. وأثناء هذا الإجتماع تقرر إيفاد العقيدين عميروش (قائد الولاية الثالثة) وسي الحواس (قائد الولاية السادسة) إلى تونس للإتصال بقيادة أركان الجيش والحكومة المؤقتة، فتفرق الجمع بعد نهاية الإجتماع وذهب كل إلى ولايته، فرجعنا نحن إلى الصحراء(الولاية السادسة) رفقة سي الحواس، ورجع عميروش إلى الولاية الثالثة(القبائل)، وعند وصولنا إلى ولايتنا إجتمع سي الحواس بإطارات الولاية.

أما عميروش، فعندما ذهب إلى ولايته، كلف محمد ولحاج بأن ينوب عنه، وجاء مباشرة إلينا في الولاية السادسة مارا على طريق المعاضيد، الحضنة ومسيف، ولم يكن أحد منا يعلم بخبر سفر العقيدين إلى تونس، ولا بمجيء العقيد عميروش إلينا، ما عدا العقيد سي الحواس.

وعندما وصل إلينا عميروش رفقة مرافقين إثنين هما: المرافق الشخصي والكاتب الخاص يوم 18 مارس 1959، ألقى علينا خطابا. وبعد مكوثنا يومين أو ثلاثة، تحولنا إلى جبل ميمونة الواقع بناحية بن سرور، على بعد 30 أو 40 كلم،وأثناء الليل كنا نمشي وفي النهار نقيم الإجتماعات التي كانت لا تنقطع، خاصة وأنه كان علينا أن نذهب من ميمونة الى جبل ثامر ونقطع 80 كلم كاملة فانطلقنا من

جبل ميمونة بعد صلاة العصر، بعد توزعنا إلى مجموعتين واتفقنا على الإلتقاء في المكان المذكور. ولم يكن يعلم وجهتنا أحد ما عدا سي الحواس وعميروش. ولقد كان عدد المجموعة الأولى التي كنت من ضمنها رفقة العقيدين عميروش وسي الحواس، 48 مجاهدا، ولسوء حظنا لم نلتق بالمجموعة الثانية في الوقت والمكان المحدودين، إذ وصلنا على الساعة الثامنة ليلا (وهذا ليلة 28 مارس 1959)، أما المجموعة الثانية فتأخرت عن الموعد، فانتظرناها لكنها لم تصل بسبب الخلل الذي وقع، وهنا فقط علمنا أن سي الحواس وحده كان يعلم أن كتيبتين من جيش التحرير تنتظرنا بالجبل، وعلينا أن نلتقي بهما هناك.

وفي نفس الوقت وجدنا مجموعة من البغال والجمال تنتظرنا، فاستعملناها كوسائل نقل، ومشينا حوالي 80 كلم في طرق وعرة وملتوية. وفي حوالي الساعة الحادية عشر أو منتصف الليل، لاحظنا تحركات العدو من كل جهة، من ناحية وادي شعير، بوسعادة، بسكرة، مسعد، أولاد جلال. ولقد تمكنا من رؤية العدو على الرغم من أن المسافة كانت بيننا بعيدة، لأننا موجودون في الصحراء، أي في منطقة عارية، وباستطاعتنا رؤية الضوء من حوالي 50 أو 100 كلم. غير أننا لم نعط العدو أية أهمية تذكر. لكننا وفي حوالي الساعة الثانية أو الثالثة صباحا، غيرنا نظرتنا، وفهمناأن العدو يقصد المكان الذي نقصده نحن، ولم يبق لنا خيار إلاالرجوع من حيث أتينا. وهنا تدخل العقيد سي الحواس وأمر المسبلين أن يعودوا إلى المكان الذي إنطلقنا منه، حتى ما إذا إلتقى بهم العدو، لا يستطيع أن يمسك بهم أو يقتلهم، لأنهم مدنيون.

أما نحن فواصلنا السير على الأقدام في إتجاه الجبل، وهذا في صبيحة 29 مارس، وليس 28 مارس كما يدعي بعض المؤرخين. فتكلم سي

الحواس وقال : " لعلمكم أننا سنذهب إلى جبل ثامر الموجود على بعد كيلومترين أو أربعة، حيث تنتظرنا كتيبتان، والعدو قادم نحونا، وسندخل معه في معركة، وسوف ننتصر عليه إن شاء الله."

فوصلنا إلى الجبل على الساعة السادسة صباحا، وما إن صعدنا حتى لمحنا عدة طائرات ا تحوم فوقنا، من بينها الطائرات الكشافة، وسميت هكذا لأنها تستطيع النزول والإقتراب من الأرض بمسافة 100 متر، فتكشف كل شيىء أمامها. وفي جبل ثامر، وعلى غرار جبال الولاية السادسة، كانت هناك عدة خنادق، فكان بإمكاننا الإختباء فيها، لأن المنطقة عارية ولا توجد بها أشجار، على عكس الولايات الأخرى. وبعدما تمكن العدو من كشف مكان تواجدنا راح يحاول محاصرة الجبل وسرعان ما إكتشفنا أن الكتيبتين غير موجودتين بالجبل. وللتذكير فإن إسم قائد الكتيبة الأولى هو : رابح تينة، والثانية : علي مهيري. وهنا وجدنا أنفسنا وحدنا، ولعل ما أثر علينا كثيرا هو أن أغلبية أعضاء المجموعة كتاب وأعوان اللاسلكي Transmission ، وبعض الضيوف (عميروش ومرافقيه)، وعدد الأفراد المسلحين الذين يمكن أن نتكل عليهم هو 30 جنديا فقط. أما قوات العدو فكانت هائلة، حوالي 30 ألف جندي بقيادة جنرال من الجيش الفرنسي. فأحاطوا كلهم بالجبل، وكانت معهم المدفعية والمصفحات. وأصلا، فإن الجبل صغير ومباشرة بعدما توقفت المدفعية عن الضرب، بدأت الطائرات في قصف الجبل بالنابلم، فأحرقته من أقصاه إلى أقصاه. وقبل أن تبدأ المعركة قال لنا سي الحواس : " إن الكتيبتين اللتين كانتا من المفروض أن نجدهما هنا بالجبل غير موجودتين، وعلينا أن نكون رجالا ونستشهد."

وبالفعل هذا ما حدث، إذ بدأت المعركة في السابعة والنصف، وعلى الساعة الثامنة والنصف كانت حوالي 70 طائرة تحلق في

السماء، على إختلاف أنواعها، حتى أن كل أنواع الطائرات التي كانت موجودة لدى الجيش الفرنسي في تلك الفترة شاركت في المعركة، ومنها: الطائرة الصفراء أو (B.28,T.6 Spic fire, B.29 إنجليزية الصنع (وعلى الساعة العاشرة والنصف تقريبا، أو الحادية عشر إلا ربع، هجمت علينا قوات المشاة من كل الجهات، فاشتبكنا معها، وكان عددنا قليلاً (48 فرد، و30 فقط باستطاعتهم المشاركة في المعركة)، مقارنة بجيش العدو الذي كان يضم 30 ألف جندي ...وأثناء المعركة أسروا منا جنديا وأخذوه إلى مركز قيادتهم، وراح الجنرال يعذبه ويسأله عن رابح تينة وعلي مهيري، والعدد الإجمالي للمجاهدين المحاصرين في الجبل.

فوجد ذلك المجاهد نفسه، يسأل عن أسماء لا يعرفها أصلا، فقال لهم : " أنتم مخطئون، أنا لا أعرف عمن تتحدثون " ولما أكثروا عليه العذاب قال لهم : " توقفوا، فإنكم مخطئون في حساباتكم، إن الذين تحاصرونهم الأن، هم قادة الثورة الجزائرية، العقيدان عميروش وسي الحواس "...فاندهش العدو لذلك.

وفي ظرف نصف ساعة إنسحب الجيش الفرنسي من ميدان المعركة، وتركونا وحدنا. فتفاجأنا نحن، لكن سرعان ما فهمنا أن هذا الإنسحاب سيتبع بخطة هجوم جديدة.

وفيما بعد علمنا أن الجنرال الذي يقود العملية إتصل بالقيادة العامة الفرنسية بالجزائر العاصمة، وأخبرهم أن العقيدين عميروش وسي الحواس تحت قبضته.

أي أن العدو حاصرنا بكل تلك القوة العسكرية، لأنه كان يظن أن هناك كتيبتين، فإذا به يجد نفسه يتقاتل مع أناس آخرين..

وبهذا تلقى هذا الجنرال أوامر بعدم التسرع والإنسحاب.

فدعموه بقرت من اللفيف الأجنبي* La Légion Etrangère وصلت كذلك حوالي 50 طائرة عمودية، وكان الجنود ينزلون منها، وقد تلقوا أوامر بإمساك العقيدين حيين وبعدما توقف القتال في حوالي الثانية عشر إلا ربع أو الثانية عشر والنصف كانت الطائرات العمودية قد حطت، ونزل أفراد اللفيف الأجنبي، وهم يمسكون بأيدي بعضهم، مقبلين نحونا، منشدين النشيد الوطني الفرنسي بحماس كبير، غير مبالين بضرباتنا، على الرغم من سقوط وموت البعض منهم أثناء السير، وكنا نعلم مسبقا أنه ليس بإمكاننا الصمود أمامهم لساعات كثيرة، لأن عددنا، كما قلت سابقا، كان قليلا جدا. المهم، إنتهت العملية في حوالي الساعة الثانية زوالا، باستشهاد 36 جندياً، وأسر 8 مجاهدين هم: 1 الرائد عمر إدريس (قائد المنطقة الثانية- الجلفة- ولقد أعدم فيما بعد، 2 انبق بن حرز الله (موجود حاليا بقصر الحيران بالأغواط)، 3 بوعزة قويدر (الكاتب الخاص للرائد عمر إدريس، ولقد أعدمته فرنسا فيما بعد كذلك)، ٤ الأخ مزياني (لانعلم حتى اليوم ماذا حدث له فيما بعد بالضبط)،5 بكورة لمبارك (مازال على قيد الحياة)،6 دريويلة(من عين الصفراء)، 7 بن خليل إسماعيل(مازال على قيد الحياة، وهو الأن بباتنة)،8 سلطاني ميلود (كان مسبلا،ألقي عليه القبض خارج المعركة وألحق بالأسرى.

*اللفيف الأجنبي أو La Légion Etrangère ، هو عبارة عن جيش فرنسي له قيادته الخاصة، ويتكون من خليط من جميع دول العالم، وأفراده ليسوا مرتزقة بل مجرمين كذلك. ومراكزهم كانت موجودة في الصحراء الجزائرية (الجنوب) حيث الظروف القاسية والحرارة الشديدة. وقبل دخولهم أي معركة يتم تخديرهم، لكي لا يبالون بالموت.

ولقد كنا ثلاثة الذين خرجوا من المعركةأحياء. الأول هو إبراهيم سارتا، وهو الأن شيخ طاعن في السن،يسكن بنواحي طولقة ببسكرة،والثاني هو أحمد بن عكشة بن عمار توفي في حادث بعد الإستقلال، وهو من ناحية منعة الواقعة بقرية ورقة بمنطقة وادي عبدي بولاية باتنة. ولقد خرج كل منا لوحده من المعركة، ولم نخرج مع بعضنا البعض. فأنا مثلا إختبأت في قلب شجرة، ومن ذلك المكان كنت أشاهد الجنود الفرنسيين وهم يمرون أمامي، وكنت أرى الطريق الذي سأسلكه عند حلول الظلام، وهذا ما فعلته فعلا بعد ذلك، ونفس الشيىء تقريبا حدث مع الأخوين الأخرين.

وهكذا إنتهت معركة سيدي ثامر، ولقد رويتها لكم كما عشتها، دون زيادة أو نقصان. ولكنني أريد بعد هذا أن أفتح بعض الأقواس،لأرد على بعض الأقاويل والشبهات التي أراد البعض أن يلصقها بالمعركة .

ففيما يخص الكتيبتين اللتين كان من المفروض أن نجدهما بجبل ثامر، فإنهما كانتا موجودتين به فعلا، وكان عدد أفرادهما 180 جندياً . وبما أن مكوثهما دام طويلا بالجبل. فإن الخبر إنتشر، ووصل أذن العدو عن طريق وشاية،لسنا ندري مصدرها. وعندما علم قادة الكتيبتين بقدوم الجيش الفرنسي نحوهما، عزموا على مغادرة المكان، خاصة وأنهم لم يكونوا على علم بأننا في إتجاههم. وإلا لما رحلوا وانتظرونا هناك، وللعلم فإن سي الحواس وحده الذي كان يعلم بأننا ذاهبون إليهم في الجبل.

أما عن إستشهاد العقيدين عميروش وسي الحواس أثناء المعركة، وبعد التحليل الذي قمنا به مع بعض المجاهدين بعد إنتهاء المعركة، فلقد توصلنا- وهذا بنسبة 90 ٪ إلى أنهما كانا في خندق واحد، وكان بحوزتهما مسدسان فقط، فقتل كل منهما الأخر، أي أنهما ماتا

معا، وهذا بعدما علمنا أنه ليس باستطاعتهما مواجهة اللفيف الأجنبي بمسدسين، وفي نفس الوقت لا يريدا الوقوع في قبضة العدو حيين. ومن هنا نستنتج أنه إما تعاهدا على الموت معا- وهذا وارد جدا- أو قتلتهما قنبلة. ولعل ما يزيد في تأكيد الإفتراض الأول هو أننا عندما إكتشفنا جثتي العقيدين بعد الإستقلال (في أواخر سنة 1962) وجدنا أنهما كانتا مضروبتين بالرصاص في الصدر.

ولقد توصلنا إلى معرفة المكان الذي دفنت فيه الجثتان بفضل شخص لم أكن أعرفه من قبل، إتصل بي في أواخر سنة 1962 عندما كنت أعمل ببوسعادة، وأخبرني بأنه كان جنديا في الجيش الفرنسي، وأنه شارك في معركة سيدي ثامر حيث إستشهد عميروش وسي الحواس، ثم قال لي أنه يعرف المكان الذي دفن فيه العقيدان، وسيخبرني عنه،لكن بشرط أن لا أذكر إسمه وأن لا يتابع بعد ذلك، فأعطيته، وعدا وكان له ما أراد..ولست أدري إن كان هذا الشخص على قيد الحياة أم لا...

وهذا المكان يقع اليوم ببلدية سيدي محمد قرب وادي الشعير،ولا يبعد عن مكان وقوع المعركة إلا بحوالي 6 أو 10 كلم. ولقد تم دفن الجثتان أمام ثكنة عسكرية فرنسية، وبالضبط عند باب الحراسة، إذ كان الجنود الفرنسيون يمرون فوقهما صباح مساء والعلم الفرنسي يرفرف في السماء، وكل هذا كان عن قصد.

ولقد تم الدفن في سرية تامة أثناء الليل. فاتصلت بالقيادة، وشرحت لهم القضية، فجاءت مجموعة من المختصين، وقصدنا المكان رفقة الحركي، واستخرجنا الجثتين وبعثنا بهما إلى العاصمة...

وأعود بعد هذا كله لقضية وجود العقيدين -رحمهما الله- معا في جبل سيدي ثامر، والتقائنا بالعدو الفرنسي هناك، لأقول أن هذا كان صدفة، لا أكثر ولا أقل...

ولقد تحدثت الصحافة عن هذا، وسامح الله بعض الصحفيين الذين ذكروا أن الحكومة الجزائرية المؤقتة هي التي أوشت للعدو الفرنسي بتواجد العقيدين هناك، على إعتبار أنهما تلقوا أوامر باتصال بها في تونس وهذا كله لا أساس له من الصحة لأن الحكومة المؤقتة لم تكن تعلم بتحركاتنا، ولم تكن لها أعين لمراقبتنا ثم أن فرنسا لم تكن تعلم أبدا أن العقيد عميروش خرج من الولاية الثالثة (القبائل) والتحق بنا في الولاية السادسة (الصحراء)، إلى غاية يوم إستشهاده. كما أن العقيدين كانا قد كلفا بالإتصال بالقيادة العامة للحكومة المؤقتة بتونس بإسم ولايات الداخل كلها، وليس بإسمهما الخاص، أو بإسم ولاية كل منها. والعاملون في ميدان اللاسلكي يعلمون جيدا أن الشفرة تغير كل أسبوع أو أسبوعين، وتستبدل بشفرة أخرى، وفعلا فهذا المرحوم العربي بعرير الذي كان مسؤولا عن اللاسلكي أنذاك، يقول : " أن الحكومة المؤقتة كانت تستعمل في إتصالاتها شفرة، كانت تعلم بها المصالح الفرنسية المختصة، وبعدما إستعملناها لمدة معينة، عاودت الحكومة المؤقتة الإتصال بنا باستعمال نفس الشفرة بعد ثلاثة أو أربعة أشهر ". لكن المصالح الفرنسية المختصة لم تتمكن من تحديد مكان تواجدنا، حتى أخر لحظة، أي عند إشتباكنا. إضافة إلى هذا،فإنه وبعد إنتهاء المعركة، رجعت رفقة بن عكشة أحمد بن عمار وإبراهيم سارتا إلى الجيش، وهناك وجدنا أن ورقة تعييننا ممضية من طرف شعباني – رحمه الله– مساء يوم 28 مارس 1959، أي عشية ذهابنا من جبل ميمونة ووصولنا إلى جبل سيدي ثامر حيث جرت المعركة، وعلمنا كذلك أن العقيدين كانا سيدخلان التراب التونسي عن طريق وادي سوف رفقة أربعة مرافقين، ولم أكن أنا ضمنهم، على الرغم من أنني كنت ساعد سي الحواس الأيمن ! فكل هذه الحجج والبراهين المنطقية تنفي وجود الوشاية.

وهذا ما قلته شخصيا لكل من إتصل بي واستفسرني بعد الإستقلال عن قضية إستشهاد العقيدين.

مقتطفات من الحوار المسجل الذي أجري مع المجاهد حامة لعذاوري المدعو محمد بن أحمد يوم 1995/11/26 ، حول التموين بالولاية السادسة – الصحراء– أثناء الثورة التحريرية.

المجاهد حامة لعذاوري

بطاقة شخصية للمجاهد:

المجاهد حامة لعذاوري المدعو محمد بن احمد، من عائلة فلاحية، ولد سنة 1935 بناحية الحاجب، عرش القمرة بولاية بسكرة وعلى عكس العديد من إخوانه في الجهاد، لم ينخرط في أي حزب قبل التحاقه بالثورة في شهر ديسمبر من سنة 1955 حيث تجند رفقة زميله الشهيد خباش ابراهيم بن يوسف ضمن احد الأفواج بجبل العوصين الواقع بدائرة طولقة والتابع أنذاك للولاية التاريخية الأولى ثم السادسة. ولقد كان عريف أول Sergent chef - مكلف بالتموين على مستوى المنطقة الثالثة الناحية الثانية بالولاية السادسة. ...."إن الولاية السادسة التى كنت بها

كانت مقسمة الى أربع قسمات، وكل قسمة يشرف على تموينها عسكري برتبة عريف أول، أما الناحية فيشرف على تموينها عسكري برتبة مساعد. ولكل عريف أول فوج من الجنود والمسبلين مهامهم تزويد القسمة بالمؤن من المكاتب التجارية. وتتم عملية التموين عبر المكتب التجارى الذي يشترى بالمال الذى يتلقاه من المكتب السياسى. ويقوم الجنود والمسبلون باستلام المؤمن من المكتب التجارى، وتخزينها في اماكن تحت الأرض بعد حفرها. وكل مخزن (كازمة) يتسع لحوالي 200 أو 400 قنطار، وكل مخزن يحمل رقما، ويوضع فيه نوع معين من المؤمن. وكل قسمة كان يوجد بها مابين 60 الى 100 مخزن. وللمحافظة على السرية التامة لشؤون التخزين فإن المكلفين بالتموين هم وحدهم الذين يكونون على علم بأماكن تواجد المخازن. كما أنه لا يحق لأي أحد أن يعرف الشخص المكلف بالتموين. ولقد بلغت الصرامة بالثورة أنها كانت تقوم بفرض الالتحاق الاجباري بالجيش على أي شخص يكتشف مكان المخزن إذا كان شابا، وتعدمه إذا كان شيخا هرما، حتى يبقى السر في طي الكتمان. ومن قانون التموين الذي كان سائدا أثناء الثورة أنه لا يحق أبدا للمجاهد المكلف بالتموين المشاركة في المعارك وأن يكون إحتياط التموين يغطي إحتياجات ستة (06) أشهر على الأقل وهذا تجنبا لأي ضائقة أو أزمة.

أما عن توزيع المؤن على الجيش فتتم وفق عملية حسابية دقيقة جدا، فمثلا :

يتصل قائد الكتيبة بالعريف الأول الملكف بالتموين ويخبره بأن عدد أفراد جيشه يتكون من 100 جندى ، وأنه بحاجة الى مؤونة أسبوع كامل، هنا يقوم العريف الأول بحساب حاجيات الجيش من الأكل (السميد، الطماطم، الخضروات، القهوة، الحليب، السكر....) لمائة جندي وتكفيه لمدة أسبوع ويرسلها اليه دون زيادة أو نقصان. ويتم

تدوين هذا في وثائق رسمية، يحاسب عليها العريف الأول فيما بعد أمام مسؤوليه.

كما أن العريف الأول المكلف بالتموين، ليس من مهامه فقط تموين جيش المنطقة وانما السهر كذلك على تلبية حاجيات الدوريات المتنقلة، من الأكل والملبس والسلاح وغيرها، وهذا دائما وفقا لقوانين الثورة التى كانت سارية أنذاك.

وأثناء تكليفي بمهمة التموين لعدة سنوات، حدث وأن وقعنا في أزمة خاصة بالمؤونة، فمرة ذهبنا الى جهة بوكحيل ولم نكن نحمل معنا المؤونة الكافية، إذ كان من المفروض ان تمولنا الناحية التى كنا متواجدين بها، لكن ومع الاسف هذا لم يحدث. فكان علينا أن نتصرف باي شكل، فكان أن وجدنا كمية من القمح اللين مطحونة، وغير مغربلة، فقمت باخفائها، وكنت أحمل معي حوالي ثلاثة أو أربعة كلغ من الزاد وكمية من الحلوى المتنوعة فأخفيتها هي الاخرى، لألعب بعد ذلك دور العجوز التى تخبئ الأكل لتوزعه على أولادها بالتساوي.

- وعلى الرغم من السرية التامة التى كانت تحيط بمجال التموين، وخاصة مكان تواجد المخازن (الكازمات) إلا أن السلطات الفرنسية تمكنت من الوصول اليها، وهذا بعد أن ألقت القبض على أحد الجنود الذي كشف لها عن اماكن تواجدها، فاندهشت فرنسا للكميات الهائلة من المؤونة التى تمكنا من إخفائها في هذه المخازن، وهذا بمنطقة عين غراب ببوسعادة مما جعلني أفكر في ايجاد طريقة أخرى لا تجعل العدو الفرنسي يكتشف مرة أخرى المخازن فقلت لمن كانوا معي: لقد تمكن العدو من إكتشاف عن أسرار عملنا، ولا بد لنا إذن من تغيير طريقة انشاء المخازن، ولهذا فاننا سنجعل المخازن في البيوت المهجورة. فاستفسرني أحدهم عن الكيفية التى سنتخلص بها من التراب،

فقلت له: سيأتي لنا المكتب التجارى بحمار وقفف وسنحمل التراب فيها ونرميه بعيدا. وعندما طلبت الحمار والقفف من المكتب التجاري سألونى عن الهدف من ذلك، فأجبتهم بأن لا دخل لكم في هذا الأمر.

ولقد نجحت طريقتنا هاته، إذ كنا نقوم أثناء النهار بوضع المؤونة في المخازن وفي الليل نخرجها لنقوم بعملية الحفر، وبهذا لم يتمكن العدو من التعرف على مكان تواجد المخازن. بعد ذلك حتى أن هذه المخازن ماتزال موجودة تحت المنازل الى يومنا هذا بمنطقة عين غراب.

وعلى الرغم من أن عدد المخازن كان يصل أو يفوق أحيانا المائة (100)، إلا أننا لم نكن نحرسها، بل يحرسها الله وحده، وما علينا نحن إلا تغطيتها بالتراب فقط.

وحتى لاتفسد المؤونة عندما نغطيها بالتراب، فاننا نحدث ثقبا في جذع الشجرة حتى نسمح للهواء بالوصول إلى عمق المخزن. ثم نقوم بنثر مادة الفلفل الأسود على هذه الثقب، حتى نمنع الكلاب من اكتشاف المخازن، ولابد أن أشير بعد هذا الى أن المؤن لاتصلنا عن طريق الهبة أو الغنيمة وانما عن طريق الشراء، طبعا دون أن ننسى الزكاة أو " العشور". وكانت تكاليف شراء المؤن لمدة شهر واحد تصل الى 70 مليون فرنك قديم، وكنت أحاسب المكلفين بالتموين، وأحاسب أنا من طرف مسؤول المنطقة شفهيا. كما أن المحاسبة كانت صارمة جدا، فكان يمنع علينا مثلا، إذا أخطأنا في كتابة الأرقام أو الاسماء، أن نصحح أو أن نكتب بالقلم فوق ذلك الخطأ. أذكر مرة أن المرحوم سي الحواس وجد أربعة " دورو" (20 سنتيم) زيادة عند المسؤول السياسي، فأمره بارجاعها الى المكتب الذي أخذها منه ، فقال له: لقد نسيت أي المكاتب أخذتها منه، فأجابه سي الحواس: إفعل ماقلت لك وتصرف وذات يوم وجد سي الحواس أن أحدا منا ينقصه " دورو" (5 سنتيم) في حساباته، فأمره بإعادته فقال له : وأين

أجده؟ فأجابه سي الحواس بقولـه: إذهـب الى الجنـود وانظر مـا إذا كان عند أحدهم " دورو" وآتي بـه ففعـل ذلـك الشـخص مـا أمربـه. فسألت الشيخ (يقصد سي الحواس) عن مثل هذا التصـرف فقـال لي: إن "الـدورو" مـع الأربعـة " دورو تصبـح المئـات والآلاف، وإذا مـا ضاعت، ضاعت المئـات والآلاف وهكـذا ..... ولعلـه بفضـل هـذه الصرامة والجدية والمحاسبة الدقيقة، لم تحصل أية عملية اختلاس في مجال التموين اثناء تكليفي بهذه المهمة.

وأعود هنا لأ تحدث عن الكازمات (المخازن) لأقول أن مدة حفـر المخزن تتحدد بحجم المخزن، والجندي هو الـذي يقـوم بـالحفر، وهـذا برئاسـة العريـف رفقـه 10 او 15 جنديـا، كمـا أن أمـاكن المخـازن في الصيف هي نفسها في الشتاء، ولا تتعرض أبدا للتلف.

وسأروي لكم هذه الحادثة، كمثال على قوة تنظيمنا وتحدينا الصارخ للعدو الفرنسي من جهة، والصعوبات الكبيرة التى كانت تواجهنـا مـن جهة ثانية....

ففي منطقة مسعد بولاية الجلفة، وقعت مؤونة كبـيرة في يـد فرنسـا، ولقد جاءتنا بها شاحنتان من ورقلة وكانت متجهتين نحو ليبيا، وألقـي عليهما القبض في ناحية بوكحيل، وقبل ذلك أفرغت الشـاحنتان ونقل مابهما من مؤونة بواسطة الجمال ووضعت في مكان معين أثنـاء الليـل، ولكن عندما طلـع النهـار جـاءت قـوات العـدو بالطـائرات فكشـفتهم واطلقت عليهم النار، وأخذت المؤونة كغنيمـة،ولقـد روى علينـا هـذه الحادثة السيد عيسـاني موسـى الـذى كـان جنديـا في صفـوف الجيـش الفرنسي أنذاك، وهو مايزال على قيد الحياة.

كما أن العاملين في مجال التموين كانو يتميزون بشجاعة كبيرة، ففي معركة من المعارك، حدث وأن ألقـى الفرنسـيون القبـض علـى ضـابط عسكرى بمنطقتنا وهو المرحوم مخلوف بن قسيـم، فسألـــه الضابـط

Comandant الفرنسي عن المؤونة واماكن تواجدها فامتنع عن الاجابة، وقال لهم: " اسألوني عن المعارك التي شاركت فيها، وعدد الطائرات التي اسقطتها، وعدد الجنود الذين قتلتهم، أما المخازن أو المؤونة فلن أخبركم عنها ". وبالفعل فإنه لم يبح لهم باي سر عن المؤونة، على الرغم من العذاب الشديد والضرب المبرح اللذان تعرضا لهما. أما فيما يخص الغنائم، فان مسؤول الناحية هو الذي كان يقوم بتوزيعها على القسمات، وهذا حسب حاجة كل قسمة، ويقوم مسؤول التموين بتخزين الحاجة الزائدة من السلاح.

- وفي الاخير أقول أنه يجب على جيل الاستقلال ان يعلم أنه أثناء الثورة التحريرية، كان كل من يسعى للمسؤولية أو يرفضها فإنه يعدم.... وأنا مثلا عندما كلفني سي الحواس بهذه المسؤولية رفضتها في البداية لثقلها من جهة، ولأنني شعرت أنني لست في مستواها من جهة ثانية، خاصة وأنها كانت مسؤولية على مستوى ناحية باكملها، وقلت حينها للعقيد سي الحواس: أنا لا استطيع أن أقود 4 جنود، فكيف باقتصاد ناحية كاملة ولكن بعد الحاح واصرار منه وافقت عليها خاصة وأنه قال لي: " لو رفضتها لقتلتك بيدي".

تحقیقات و بطاقات

مقدمة الباب

يتضمن هذا الباب مجموعة من البطاقات والتحقيقات لشهداء ولشخصيات وطنية وكذا لمعالم تاريخية مختلفة ذات صلة بفترة الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية المباركة.

وقد فضلنا أن يكون هذا العمل مبسطا قدر الإمكان لتعميم الفائدة وتكوين الحس التاريخي لدى أكبر عدد ممكن من القراء.

1 حمدان بن عثمان خوجة
(1845 / 1840 - 1773)

حمدان بن عثمان خوجة

مولده ونشأته :

ولد حمدان بن عثمان خوجة بمدينة الجزائر سنة 1774 وهو من الكراغلة (أم جزائرية وأب تركي)، وترعرع في كنف أسرة عريقة المنبت. كان والده فقيها وأمينا عاما للإيالة " مكتابجي"، أما حاله فقد تقلد منصب أمين السكة - وزير المالية آنذاك - .

ظروفه هذه ساعدته على أن يحظى برعاية فائقة وتعليم رفيع، فنهل من مختلف العلوم كعلم الأصول والفقه والفلسفة. بالرغم من ذلك لم تكتمل ثقافته إلا من خلال رحلاته عبر بلدان إسلامية ومسيحية. فاستوعب أهم الأحداث التي عرفها العالم لاسيما الحركات الفكرية التي أحدثت صراعا قويا بين النظم المحافظة والنظم الليبرالية ، كان لها أثرها القوي على شخصيته.

ولقد ألم ببعض اللغات الأجنبية فكان يحسن إلى جانب العربية والتركية اللغتين الفرنسية و الإنجليزية، لكنه لم يكن يجيد كتابتهما.

مواقفه نضاله وكفاحه :

قضى حمدان خوجة أغلب حياته في خدمة الصالح العام خاصة بعد احتلال مدينة الجزائر، إذ أنه تبنى سلوك الحذر والتوفيق بين الطرفين الفرنسي والجزائري، وبذل كل ما في وسعه لإقناع الداي بضرورة التفاهم مع الفرنسيين لإبرام صلح قد يجنب الجزائر بعض الكوارث، كما أنه أرسل إبنه للتفاوض مع الجنرال " دوبورمون" هذا ولقد كلفه الداي حسين باشا-بعد نكبتي سيدي فرج وسطاوالي- بالبحث عن قائد الجيش وإلزامه بإعادة تنظيم قواته وإرغامه على جمع ما أمكن من الجنود كمحاولة أخيرة لفك الحصار عن مدينة الجزائر.

في عهد الإحتلال عينه الجنرال" كلوزيل" عضوا في بلدية الجزائر وفي اللجنة المكلفة بتعويض الأشخاص الذين فقدوا ممتلكاتهم، لكنه عزل من مناصبه هذه لأنه كان شوكة في حلق الحكومة الفرنسية في الجزائر نظرا لمواقفه الجريئة، مثل رفض السماح " لكلوزيل" بالإستيلاء على المساجد والمؤسسات الخيرية.

ولقد كان تجريده من جميع أملاكه عاملا آخر زاد من سخطه على الإستعمار الفرنسي فرفع قضيته هذه إلى المحاكم العدلية العليا بباريس، طمعا في أن تنصفه من ظلم الحكام الفرنسيين بالجزائر، وبعد إنتظار ثلاث سنوات، اعتبرت قضيته ملغاة.

هذه القضية لم تنقص من عزيمة حمدان خوجة بل شجعته أكثر على الإستمرار في مواجهة المعمرين الفرنسيين إذ دافع عن احترام ما جاء في وثيقة الإستسلام التي تم التوقيع عليها يوم 5 جويلية 1830، وحارب سياسة الإبادة والإستئصال.

إستمرت مساعي حمدان خوجة في الخارج فقام بدور الوسيط بين" الأمير عبد القادر" و" الحاج أحمد باي" "الباب العالي" في صالح القضية الجزائرية. و لم يقف عند هذا الحد بل رفع الاعتراضات والشكاوي إلى ملك فرنسا " لويس فليب"، كما أرسل يوم 3 جوان 1833 مذكرة إلى الماريشال " سولت " وزير الحربية الفرنسي، ضمنها جميع المخالفات التي ارتكبتها الجيوش الفرنسية في الجزائر. وأعلن في شهر جويلية 1833 عن تشكيل اللجنة الإفريقية للتحقيق في الوضع الذي آل إليه الجزائريون.

مؤلفاته :

ترك حمدان خوجة آثارا قيمة وهي كالتالي:

1- المرآة: صدر في أكتوبر 1833 باللغة العربية، ثم ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان"لمحة تاريخية وإحصائية حول إيالة الجزائر". ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التي تطرقت إلى تاريخ الجزائر في أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي، كما فضح فيه مساوئ الإدارة الاستعمارية والواقع المزري للشعب الجزائري.

2 - إتحاف المنصفين والأدباء في الأحتراس من الوباء: صدر عام 1836، كتبه باللغة العربية والتركية، وحث فيه على الوقاية من الأمراض وكيفية علاجها.

3 - رسالة أسماها " حكمة المعارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الإمكان أبدع" ألفها سنة 1837، يظهر فيها تأثره بأفكار الإمام الغزالي.

4 - ترجمة لكتاب " نور الإيضاح ونجاة الأرواح " للشيخ " حسين الشرنبلالي الحنفي " (1585-1659) من اللغة العربية إلى التركية وسماها " إمداد الفتاح" وموضوعه الفقه الحنفي.

5 - مخطوط ضخم به 228 ورقة وهو عبارة عن ملخصات ونسخ وفتاوي لشيوخ وعلماء مغاربة ومشارقة.

6 - مذكرة قدمها للجنة الافريقية في جويلية 1833 والتي تحتوى على قضايا هامة حلل و وصف من خلالها أوضاع الجزائريين واضطهاد السلطة الفرنسية.

7 - رسائل تبادلها مع شخصيات متعددة.

8 - قصائد وصف فيها حالته وحالة أهل بلاده.

وفاته :

لايعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد على الرغم من أن " جورج إيفار" حدده ما بين سنة 1840 و 1845. في حين قال " محمد بن عبد الكريم" في كتابه" حمدان خوجة الجزائري و مذكراته ثبتت وفاته أواخر " 1840" .

2 رمضان بن عبـــدالمـــالك 1928-1954

رمضان بن عبد المالك

مـــولده و نـــشأته :

ولـد رمضـان بـن عبـد المـالك في شـــهر مارس سنة 1928 بمدينة قسنطينة في أسرة هـو ثـالث أطفالهـا ، دخـــل المدرســة الإبتدائيــة الفرنسية (أرقـو سـابقا) في العـام الدراســي 1934- 1935، وفي نفــس الوقـــت إلتحـــق بالمدرسة بجمعية السلام لتعليم اللغة العربية، و أنهـى المرحلـة الإبتدائيـة بنجـــاح ، حيـــث تحصل على الشهادة الإبتدائية باللغة الفرنسية في بداية الأربعينات، ثم إنقطع عـن التمـدرس بسبب ظروف الإستعمار، عندئذ طـرق بـاب العمل واشتغل فترة في التجارة.

نـــضاله و كـــفاحه:

إنخرط رمضان بن عبد المالك بحركة أحباب البيـان و الحريـة عـام 1944، و في عام 1945 إهتز كيانه بعد المجزرة الرهيبة التي إرتكبها الإستعمار، و هنا تحـددت قناعته بحتمية الكفـاح المسلح، فـإنضم عـام 1946 لصفـوف حركـة الإنتصـار للحريات الديمقراطية "MTLD " بعد أن تأكد أن ماتدعو إليه يستجيب لآمالـه . و لما تأسست المنظمة الخاصة"OS" في شهر فيفري 1947 كـان مـن الشـباب الأوائل الذين شملتهم صفوفها، و من بين الكوكبة الأولى الـتي نشـطت التنظيـم السري في قسنطينة، وبالتدريج أصبح من الأقطاب البارزة بشرق البـلاد. و في عام 1948 عاد إلى التجارة ،لكنه لم يخصص لها جل إمكانياته، نظرا لسـيطرة العمل السياسي عليه و تعلقه به إذ اتخذ من ذلك ستارا فقط يخفـي وراءه عملـه الحقيقي. وفي بداية 1949 سافر إلى فرنسا و قضى فترة تفتحت فيها عيناه أكثر و بصـــورة شاملـــة على الأوضـــاع المأسويـــة التي يعيشهـــا

العمال الجزائريون، فإزدادت قناعته بالكفاح المسلح لتحرير البلاد. و قد إستغل الشهيد هذه الفرصة ودخل ميدان الرياضة البدنية و تخصص في رياضة الكاراتيه، و تحصل على الحزام الأسود في فترة قياسية، ثم عاد إلى الجزائر في بداية سنة 1950، ليواصل عمله السري، و قد نجا من الإعتقال إثر حادثة تبسة، و نظرا لنشاطاته العديدة، فقد إعتقل مرتين عام 1952 و تمكن من الفرار في المرتين أيضا، إحداهما من سجن سوق أهراس، و الثانية من عيون بوزيان الواقعة بين زيغود يوسف والحروش (بقسنطينة). بعد المداهمة التي وقعت في 29 أكتوبر 1952 نقل من شرق البلاد إلى غربها، نتيجة لإكتشاف العدو أماكن التدريب و مخازن الأسلحة. و استقر أمره بنواحي مستغانم و بالخصوص بسيدي علي حيث عرف فيهما بإسم سي عبد الله. لقد ظهر بالناحية بشكل تدريجي، ثم تطور إلى أن أصبح شبه دائم بحلول صيف عام 1954. وكان الشهيد من بين جماعة الإثنين والعشرين . و بعد تحديد الأهداف و توزيع المهام، قام الشهيد بجمع السلاح قصد الإستعداد للثورة. و هكذا تم تسجيل وقوع 7 عمليات في ليلة أول نوفمبر بمنطقة ويليس (بلدية رمضان بن عبد المالك حاليا .

إستشهاده:

في مطلع نهار اليوم الرابع من شهر نوفمبر 1954 وصلت مجموعة رمضان بن عبد المالك إلى مشارف دوار أولاد سي العربي، و في الغابة الموجودة عند أطرافه تمركزت لأخذ قسط من الراحة، و بعد فترة شوهد العدو يتقدم نحو مواقع المجاهدين، فقام هؤلاء بترك مواقعهم و التنقل غربا لتجنب الإصطدام معه لقلة عددهم ، بيد أنهم لما شرعوا في تنفيذ خطة الإنسحاب تبين لهم أن العدو قد أحكم حصاره على المنطقة، فوقع الإرتباك في صفوفهم ، و تفرقوا في الغابة وإنفصل عنهم القائد بسبب عدم معرفته المكان. و إستعدادا لمجابهة الوضع، تحصن الشهيد مع المجاهد دوار الميلود بموقعهما، و في حدود الساعة الرابعة بدأ القتال مع العدو، و بعد أن كثف هذا الأخير من قوته أصيب "الميلود" بجروح بليغة، في حين واصل الشهيد وحده القتال إلى أن أصيب بعدة طلقات ، فسقط شهيد الوطن على رجلي رفيقه في الجهاد و رحم الله شهداءنا الأبرار.

3 الشـــهيد بـــاجي مختـــار 1919-1954

مولده و نشأته:

باجي مختار

ولد الشهيد باجي مختار في 17 أفريل عام 1919 بمدينة عنابة، تربى في أحضان العائلة على الإستقامة و الصلاح و الأخلاق الحسنة ، فنشأ متدينا وفطنا. ذوطباع هادئة وعن طفولته تقول أخته " برنية" التي كانت تكبره ب 7 سنوات: بأنه كان شديد التمسك بالأخلاق ذكيا وكان يميل إلى الهدوء ولما بلغ سن الخامسة خصص له أبوه معلما دينيا علمه بعض مبادئ اللغة العربية وحفظ بعض السور من القرآن الكريم. بعدها إستقرت عائلته بسوق أهراس في مزرعة صغيرة تحولت بعد ذلك إلى أول مركز لقيادة فوج مسلح للثورة. لقد وجد باجي مختار في وسط عائلته المناخ المناسب لإبراز شخصيته الثورية الفذة حيث كان جده يتقن اللغة العربية، أما أبوه فقد كان يحسن اللغتين العربية والفرنسية وكان يشغل مهام " باش عدل" بمحكمة سوق أهراس. في سنة 1934 تحصل باجي مختارعلى الشهادة الإبتدائية الخاصة بالجزائريين ثم تحصل في السنة الموالية على نفس الشهادة الخاصة بالفرنسيين و التي سمحت له بالإلتحاق في سنة 1936 بالمدرسة الثانوية؛ و لكنه سرعان ماترك مقاعد الدراسة بسبب التفرقة و العنصرية و التزييف للحقائق التاريخية من طرف الإستعمار . و لكرهه الخدمة العسكرية الفرنسية فرض الشهيد على نفسه حمية قاسية بالتزام الصيام ، و عندما تقدم للخدمة كان في حالة صحية متدهورة فأعفي بصفة نهائية من الخدمة. لم يتأثر باجي مختار بما قدمه في سبيل ذلك بل إعتبره هينا في سبيل عدم الإلتحاق بالجيش الفرنسي.

نضاله و كفاحه:

في أوائل الأربعينات دخل الشهيد الكشافة الإسلامية، حيث أسندت إليه مهمة الإشراف على فرع كشفي بالمدينة، كان هذا الفرع يضم فوجا واحدا يدعى "فوج الفلاح" ويضم حوالي 100 شاب من الأشبال والكبار، كانت مهمة الكشافة الإسلامية تتمثل في تربية الشباب تربية وطنية و إعدادهم كرجال الغد يعتمد عليهم في الدفاع عن وطنهم، بالإضافة إلى التعليم. إستمرت مهمة باجي مختار أكثر من 7 سنوات.

وعن المرحلة التي قطعها باجي مختار في الكشافة الإسلامية يقول الأخ علاوة حزام زميله في الكشافة أنه سعى في هذه المرحلة إلى تربية الشبان، كما كان يخصص جانبا هاما من ماله لشراء مختلف اللوازم التي يتطلبها العمل الكشفي أما المرحلة الثانية من التكوين التي إتبعها باجي مختار مع الشباب فكان يأخـــــذ

مجموعة منهم إلى الجبال ومعهم عدد من الشواقير بالإضافة إلى الخناجر و الحبال وبعض الأدوات الأخرى ويدربهم على القتال والتلاحم مع العدو وبالتدريج أخذ هذا التدريب يتوسع ليشمل جميع الشباب. إنضم باجي مختارإلى الحركة الوطنية في عمر مبكروير جع البعض تاريخ إنضمامه الى سنة1940 بحيث كان من أنشط عناصر حزب الشعب الجزائري بمنطقة سوق أهراس. كان لأحداث 8 ماي 1945 أثرها على نفسه حيث عززت رفضه للإستعمار و دفعته إلى الإلتزام بخدمة قضية مقدسة ، بعد سنتين ترشح للإنتخابات البلدية ضمن قائمة الحركة من أجل إنتصار الحريات الديمقراطية و تم إنتخابه ، وقد رفض رحل المبادئ الوقوف دقيقة صمت على روح الجنرال لوكلير التي دعت إليها السلطات الفرنسية.

عين مسؤولا على فرع سوق أهراس الشرق الجزائري للمنظمة السرية فقد ساهم باجي مختار في تكوين هذه المنظمة وتقوية عضدها ، كما كلف على مستوى سوق أهراس بتأسيس الأفواج الأولى شبه العسكرية للمنظمة حيث إستمر نشاطه إلى غاية 1950.

و في هذه السنة ألقي عليه القبض و عذب عذابا شديدا أحيل بعدها إلى محكمة عنابة وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات. بعد الإفراج عنه إستمر في نشاطه النضالي في صفوف الحركة الوطنية ، و لم يؤثر إنقسام حركة إنتصار الحريات الديمقراطية على إرادته الفولاذية وروحه الثورية. كان باجي مختار من تلك العناصر الثورية الحقيقية التي خطت أول سطر من مجد الجزائر الجديدة ووضعت أساس الثورة حيث إتبع الطريق الوحيد الذي يفهمه الإستعمار و يخشاه ألا وهو الكفاح المسلح، و هكذا كان الشهيد من أوائل أعضاء اللجنة الثورية للوحدة و العمل وكان من بين 22 الحاضرين في إجتماع شهر جويلية 1954 بالجزائر .وقد إتفق الجميع على الاسراع في إعلان الثورة المسلحة ضد العدوالفرنسي.

عندما عاد باجي مختارإلى سوق أهراس إنكب على مواصلة التدريب العسكري في هذه الفترة كان هذا التدريب قد قطع شوطا هاما، وإنتقل بعض المناضلين من التدريب على البنادق إلى صنع المتفجرات والصواعق وذلك في مزرعة باجي مختار الذي ألقي عليه القبض فيها مرة أخرى في 30 أكتوبر 1954 و لكن رغم هذا إستطاع أن يضلل العدو فأطلق سراحه.

بعد ذلك إستمر في نشاطه السري ينظم أفواج المناضلين الثوريين و قد قاد عدة عمليات عسكرية إستهدفت عدة منشآت من بينها عملية تخريب جسر"عين سنور" ونصب كمين لقطار.

إستشهـــاده:

في يوم 18 نوفمبر 1954 إستشهد باجي مختار إثرالهجوم الذي شن على مزرعة دالي بن شواف إستمرت المعركة على أشدها بين الطرفين منذ أن إندلعت حوالي الساعة السادسة صباحا إلى غاية سقوط الظلام وإنتهاء الذخيرة عند المجاهدين وإصابتهم بالعديد من الجروح، إلى أن بلغت الساعة الرابعة مساء حيث أصابته عدة رصاصات من رشاش العدو و إستشهد و هو يردد "رنا جيناك ضياف يا محمد(صلى الله عليه وسلم) باك متنا في الجهاد. "

4 مفدي زكريا 1909 -1977

مفدي زكريا

مولده و نشأته :

هو مفدي زكريا بن سليمان الشيخ صالح، من مواليد سنة 1909 بقرية بني يزقن جنوب الجزائر. ينحدر من أسرة متواضعة في العلم و الجاه، أصلها من مدينة تيهرت التي تأسست في القرن الثاني من الهجرة، و المعروفة الآن بمدينة "تيارت" غرب الجزائر. تلقى مفدي زكريا تعليمه الأول بمسقط رأسه، أين حفظ القرآن الكريم، و تعلم قليلا من العلوم الإسلامية و بحكم أن أباه كان تاجرا بمدينة غنابة .أحد الفتى يتنقل بينها وبين مسقط رأسه حتى أذن الله أن يقصد تونس كطالب تحت إشراف مجموعة من الأساتذة أمثال الشيخ إبراهيم بن الحاج عيسى و أبو اليقظان و غيرهم، و بذلك إلتحق بمدرسة السلام القرآنية ليتلقى مبادئ اللغة العربية و الفرنسية على يد أساتذة أكفاء، و منها نال الشهادة الإبتدائية في العربية. و بعدها واصل دراسته بالمدرسة الخلدونية ، أين درس الحساب و الجبر و الهندسة و الجغرافية، و منها إنتقل إلى جامع الزيتونة للإطلاع، أكثر على علوم النحو و البلاغة و الأصول، و من هذه المدرسة نال الشهادة الثانوية. إن نشأة مفدي زكريا على يد عمه الشيخ صالح بن يحي، و تربيته على يد أساتذة إنعكستا على شخصيته و تكوينه، فكان ذلك الشاب الوطني و الرجل الثوري و الشاعر الحقيقي بكلماته الثائرة في وجه الأعداء و في سبيل الوطن.

و كان لظهوره على الساحة الأدبية عوامل كثيرة ساعدته على ذلك رغم صغر سنه، أهمها: كون البعثة التي ينتمي إليها مفدي محظوظة بعلماء مكونين في جميع المجالات، ثم دور البيئة التونسية التي عاش فيها ، فهي بيئة علم و ثقافة لمن كان له إستعداد و طموح في ذلك، و يضاف إلى ذلك إستعداده الفطري لتقبل العلم و إطلاعه الواسع على أمهات الكتب؛ ثم نبوغه المبكر لما أوتي من ذكاء خارق و إحساس رهيف و شعور متدفق، فقد كان يلقى تشجيعا من طرف أساتذته في مجال قرض الشعر ونظمه في المناسبات والأحداث الهامة.

نضاله:

إن التربية التي تلقاها مفدي جعلته يتعلق بسير الأبطال و العظماء من الرجال، و في هذا يقول:" شغفت بالآداب طفلا و بتاريخ الأبطال من عظماء الأوطان ."

بدأ نشاطه السياسي عندما كان طالبا في تونس،فكان أول عمل له هو إنضمامه إلى سلك الشبيبة الدستورية سنة 1922، ثم في حزب نجم شمال إفريقيا سنة 1926 عند عودته من تونس. و بعد تأسيس حزب الشعب عمل كأمين عام له سنة 1937، و في نفس السنة زج به في السجن بتهمة التآمر ضد الدولة الفرنسية، و داخل السجن أصدر مفدي مع بعض زملائه جريدة (البرلمان الجزائري) الأسبوعية و كان هو رئيس تحريرها. و لما أطلق سراحه واصل نشاطه في حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية "M T L D".و في أفريل 1955 أي بأشهر قليلة بعد إندلاع الثورة أنشأ النشيد الرسمي الوطني (قسما)، و منه قوله:

قسما بالنازلات الماحقات ... والدماء الزاكيات الطاهرات
والبنود اللامعات الخافقات ... في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا ... فحياة أو ممات
وعقدنا العزم أن ... تحيا الجزائر

فاشهدوا

وفي الثاني عشر من نفس الشهر اعتقل مفدي زكريا لتهم عديدة، و لقي ألوانا من العذاب في مختلف السجون والتي نذكر منها: سجن (بربروس)، سجن (البرواقية) و سجن (الحراش)،و ظل يتنقل بينها لكن ذلك كله لم يمنعه من مواصلة نشاطه و نضاله السياسي.

و أما عن نشاطه الفكري، فهو كغيره من رجال الفكر و الأدب، ساهم بلسانه و قلمه من أجل القضية الوطنية، فكان ينظم الأشعار و يكتب المقالات في المجلات و الصحف، و كان يؤمن بأن هذه الأخيرة تعد من الوسائل الهامة في تكوين الوعي السياسي لدى الجماهير. و لم يكتف مفدي بأداء رسالته داخل الوطن، بل ظل جامدا يتنقل بين مختلف الأقطار العربية لكي تنال القضية الجزائرية إهتمام الأشقاء. ففي سنة 1961 إثر وفاة الملك محمد الخامس لم يتأخر مفدي في مواساة إخوانه المغاربة بقصيدة، وفي نفس الوقت شاركهم في حفل تتويج إمارة العرش للملك الحسن الثاني خلفا لأبيه، و لم ينس أن يذكر في تلك المناسبة الثورة الجزائرية لإثارة الهمم و شحذ العزائم. و في نفس السنة تنقل إلى دمشق إثر إنعقاد مهرجان الشعر العربي كممثل يسمع هناك صوت الجزائر الثائرة.

هكذا عاش مفدي زكريا لوطنه الذي أحبه فخدمه بكل ما أوتي من قوة فكرية وطاقة إبداعية، فقدم بذلك ما يعود على الثورة الجزائرية بما يفيدها في الهيئات العربية و يزيد من أهميتها في المحافل الدولية. و بعد أن نالت الجزائر إستقلالها راح يشتغل بالتجارة ، وفتح مكتبا للترجمة في ساحة الأمير عبد القادر بالعاصمة، ولما أحاطت به الظروف ضاق ذرعا فطار به طائره إلى تونس و منها إلى المغرب. و بالرغم من بعده عن وطنه كان دائما يغتنم الفرص و المناسبات في الجزائر للمشاركة فيها بمحاضراته و أشعاره.

وفـــاته و مـــــآثره :

كانت وفاة مفدي زكريا على إثر سكتة قلبية يوم 17أوت 1977 بعد أدائه لفريضة الحج مع زوجته، و دفن بمسقط رأسه (بني يزقن) بمدينة غرداية تاركا ثلاثة أبناء، هم: سليمان، صالح و عائشة. توفي الرجل و هو حامل لوسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى من ملك المغرب، ووسام الإستقلال من الدرجة الثانية من الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة"، ووسام الإستحقاق الثقافي من الرئيس نفسه أيضا.

لقد خلف مفدي زكريا وراءه إنتاجا متناثرا في الجرائد و المجلات الجزائرية و التونسية نثرا و شعرا، و تظهر أهم مؤلفاته المطبوعة فيمايلي:

-اللهب المقدس : و هو ديوان شعري خاص بالثورة الجزائرية.
-من وحي الأطلس : وخصه الشاعر للثورة في المغرب الأقصى.
-إلياذة الجزائر : نظمت في ملتقى الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة 1972 بلغ عدد أبياتها ألف بيت وبيت -1001-.
-تحت ظلال الزيتون : و نظمه الشاعر لتونس الخضراء، طبع مرة واحدة سنة 1965.
-دليل المغرب العربي الكبير، و كان يهدف من ورائه إلى تسهيل الإتصال بين دول المغرب العربي.

أ إضراب الثمانية أيام
28جانفي - 4 فيفري1957

المقدمة:

- عندما قررت لجنة التنسيق والتنفيذ الإضراب العام، كانت ثورة التحريرقد دخلت عامها الثالث مسجلة إنتصارات باهرة، ملحقة خسائر فادحة بصفوف العدو في الأرياف والمدن هذا على الصعيد الداخلي. أما على الصعيد الخارجي فإن القضية الجزائرية قد وجدت طريقها إلى المحافل الدولية إذ إحتضنتها جامعة الدول العربية، والمجموعة الأفروآسياوية وسجلت في جدول أعمال الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة. فقرار الإضراب العام إذن، إستهدف التدليل على أن جبهة التحرير الوطني هي المعبر الشرعي عن إرادة الشعب الجزائري بأكمله و السيادة هي إرادة الشعب بأكمله .

الإعلان عن الإضراب:

- أصدرت جبهة التحرير الوطني نداء إلى الشعب الجزائري تدعوه فيه إلى الإضراب لمدة أسبوع أي من يوم الإثنين 28 جانفي إلى 04 فيفري 1957. وفيمايلي نص البيان الذي وزع في شكل منشورات:

"أيها الشعب المجاهد، أيها المواطنون من تجار وعمال، وموظفين وفلاحين، ومحترفين، إنكم ستستعدون لأسبوع الإضراب العظيم،أسبوع الكفاح السلمي للأمة والتي فاتها شرف الكفاح المسلح، فأمضوا مصممين، واصبروا للمحنة والبطش، وأنواع العذاب التي يسلطها عليكم العدو، فالله معكم، وجبهة التحرير بجيشها العتيد من ورائكم، نشد أزركم ونأخذ بأيديكم إلى النصر، إلى الحرية، إلى الإستقلال"

- و فعلا إستجابت كل الشرائح الإجتماعية الجزائرية لتعليمات جبهة التحرير الوطني، وشمل الإضراب كل التراب الوطني فكان دليلا على تضامن الشعب الجزائري في الداخل والخارج أيضا أين تتواجد الجالية الجزائرية المهاجرة في فرنسا.

- كما إمتد هذا الإضراب إلى تونس و المغرب إذ استجاب له الجزائريون، و أعلن الشعب في كل من المغرب و تونس إضرابا رمزيا تضامنا مع الشعب الجزائري المناضل من أجل قضيته العادلة.

مظاهره:

- لقد استمر الإضراب العام طوال المدة التي حددتها جبهة التحرير الوطني، وبلغت نسبة الإضراب 90 في المائة، وتذكربعض المصادر نسبة 100 في المائة، سواء في الإدارة والمصالح العمومية الرسمية مثل البريد، والسكك الحديدية ومختلف أنواع المواصلات، أو في الأسواق العامة...وتجلت مظاهر الإضراب في غلق الدكاكين، ومقاطعة الشراء، ذلك أن التنظيم التابع للإتحاد العام للعمال الجزائريين كان قد نبه المواطنين شهرا مسبقا لإقتناء

حاجاتهم لأن الإضراب سيمنع بموجبه شراء أي شيء من المحلات. وهذه شهادة أحد المراسلين الصحافيين لجريدة لوموند: "كانت المدينة في صباح يوم الإثنين 28 جانفي 1957، كأنها لاتزال نائمة وظل الصمت يسودها حتى في أحيائها الأوربية على الرغم من أن متاجرالأوربيين كانت مفتوحة، ومع ذلك فالصمت كان ثقيلا لاتمزقه من حين للآخر إلا سيارات الجنود المتأهبين لحملة فتح الدكاكين و المتاجرالمغلقة التي يملكها الجزائريون ..:لقد كانت الأحياء الأهلية كلها موصدة بإستثناء محلات اليهود التي كان أصحابها يقفون خارجها.....

موقف السلطات الإستعمارية من الإضراب:

- واجهت السلطات الإستعمارية هذا الإضراب السلمي بالتنكيل والتقتيل، ولنشر البلبلة والإضطراب في الرأي العام، قام الجنرال "ماسي" بمناورة جهنمية لإفشال الإضراب، فوزع مناشير باسم جبهة التحريرالوطني حررتها المصالح الفرنسية تندد فيها بنداء الإضراب الذي يدعو إلى العصيان والتمرد، وتدعو الجزائريين للمضي إلى شؤونهم. لكن الشعب الجزائري الذي أحسنت جبهة التحرير توعيته وتجنيده إمتثل لأوامر الإضراب، ولم يلتحق بمناصب العمل، وأغلق التجار دكاكينهم، وتغيب التلاميذ عن الدراسة. ولقد صور أحد الصحافيين بشاعة الموقف الفرنسي من هذا الإضراب :" و ما إن جاءت الساعة الثامنة حتى بدأت القوات الفرنسية تحطيم الأبواب لفتح الدكاكين، وسمعت ضربات المعاول تمزق الصمت الحزين، و من المؤثر حقا أن تشاهد دكاكين قد فتحت أبوابها بالقوة، وظلت مفتوحة بدون أصحابها أمام المارة الذين كانوا أحرارا في دخولهم وانصرافهم"...

- و بعد تهديدات" ماسي" الأولى وزع مناشير مفادها أن القوات الفرنسية تتولى فتح الدكاكين بالقوة، ولكنها ستحرسها من السرقة، وأن كل شخص يقبض عليه متلبسا بجريمة النهب فإنه سيساق إلى السجن. " ونظرا لشمولية الإضراب عبأ الجيش الفرنسي كل الوسائل الجهنمية، إذ كثف جنود "ماسي" عمليات القمع الشاملة وتمثلت في إلقاء القبض على آلاف المواطنين واستنطاقهم بأبشع وسائل التعذيب. وفي الأيام الموالية لهذا الإضراب حمل العمال قهرا إلى مقر أعمالهم. وفي " بوفاريك " لم يتردد الكولونيل "أرقو" في قنبلة واجهات المتاجر بالدبابات، كما أباح الجنود الفرنسيون لأنفسهم نهب أرزاق الجزائريين ، وحوصرت الأحياء العربية في المدن الكبرى بالأسلاك الشائكة لتسهيل عمليات التمشيط.

النتا ئج:

من النتائج الأساسية التي إستخلصت من الإضراب إلتفاف الشعب الجزائري حول جبهة التحرير الوطني، وإسقاط مقولة الجزائر فرنسية، بالإضافة إلى تعزيز مكانة الجبهة داخليا وخارجيا، وتزايد الشعور بالخوف لدى الكولون رغم وجود الجيش الفرنسي.

أما عن سلبيات الإضراب فتتجلى في تدمير جانب كبير من هياكل الجبهة في العاصمة، وإلقاء القبض على المواطنين والمناضلين بصفة جماعية ، وتعذيب وإعدام نخبة من العناصر القيادية مثل "العربي بن مهيدي" والمحامي "علي بومنجل " و"عبد القادر قدوش" وغيرهم. ومهما يكن فإن الإضراب يعتبر حدثا هاما في مسيرة الثورة الجزائرية.

ب معلم سيدي فرج

برج سيدي فرج

موقع سيدي فرج :

يقع سيدي فرج ، على بعد 26كلم غرب مدينة الجزائر العاصمة. وهو عبارة عن شبه جزيرة يطل على ساحل البحر الأبيض المتوسط أختير من طرف الغزو الفرنسي للنزول إلى البر في سنة 1830.

إختيار المكان من طرف الفرنسيين :

إستعمل المكان قديما كميناء لمدينة الجزائر مثل تامنفوست، لكن بعد ما بنى خيرالدين رصيف ميناء الجزائر إستغنى عنه بنى يحيا آغا برجا به وأقام حوله 12 مدفعا و شدد الحراسة عليه. و شيد هذا البرج على أنقاض برج صغير و كان إرتفاعه عن الماء يقدر بين 16 و 20 متر و إستعملت في بناء البرج الجديد حجارة بيضاء، و كان يحتوي على 11 فتحة للمدفعية .

قبل 1808 حل بالجزائرالمهندس و الخبير العسكري كولونيل بوتان "Boutin " و قد بعث من طرف نابليون الأول لإستكشاف أحوالها ووضع تصميما لها و كان مما خطه في تقريره هو أن يكون نزول الفرنسيين بساحل سيدي فرج وأن هذه المنطقة غير بعيدة عن الجزائر العاصمة فالنزول يكون برا من ناحية الجنوب و ذلك لعلمه بإهمال الأتراك للتحصينات البرية إكتفاء منهم بالحصون و المنشآت البحرية ولسهولة النزول بها.

النزول البحري الفرنسي بسيدي فرج :

إن حادثة المروحة مجرد مبررات تذرعت بها فرنسا لتنفيذ مشروعها الإستعماري القديم، أما الأسباب الحقيقية للإحتلال فنستخلصها من الوضع الدولي العام، الذي كان سائدا أنذاك. لاسيما بعد إنكسار الأسطول الجزائري في معركة نافارين. في 1827 و في هذا السياق يندرج الحصارالبحري الذي فرضته فرنسا على الجزائر منذ ذلك التاريخ و أخذت في نفس الوقت تعد حملة عسكرية لإحتلال الجزائر بعد حوالي عامين و نصف من الحصار البحري على الإيالة، إذ قرر مجلس وزراء فرنسا في 30 ماي 1830 إرسال حملة عسكرية تضع حدا للنزاع القائم بين الدولتين و قد إطلع الداي على هذا القرار الخطير قبل دخوله حيز التنفيذ و ذلك بفضل عيونه المبثوثة في الكثير من مناطق أروبا . و لما شرعت وزارة الحربية في إعداد الأسطول نقل العيون هذا الخبر أيضا في حينه إلى رئيس الديوان الذي كلف على الفور سفينتين جزائريتين إستطاعتا أن تتسللا ليلا بين السفن المحاصرة و تأتيا بأخبار عن العدد و العدة للجيش الفرنسي يذكر سيمون بفايفر: " أن أخبار جواسيس الداي حول الترسانة العسكرية الفرنسية تشمل على أكثر من مائتي سفينة حربية و حوالي خمسمائة سفينة تجارية حولت للضرورة إلى بوارج، أما عدد الجنود المشاركين فيقدربأربعين ألفا " في حين تذكر بعض المصادر الأخرى بأن هذا العدد لم يتجاوز خمسة و ثلاثين ألفا.

وبعد الندوة التي عقدت بناحية سيدي فرج لمواجهة الحملة قرر إبراهيم آغا بناء المتاريس على شاطئ البحر و لكنها لم تسلح إلا بالمدافع الخفيفة لعدم وجود العربات التي يمكن أن تحمل المدافع ذات العيار الكبير. في 14 جوان 1830 نزلت القوات الفرنسية في سيدي فرج بقيادة دوبورمون "DEBOURMONT"و كان ذلك في الصباح الباكر عند شروق الشمس، إذ كان الأسطول الفرنسي يمتد على مسافة كبيرة ، و قد ساعدته الرياح على السير بسرعة بالغة. وفي حدود الساعة الحادية عشر من نفس اليوم كانت القوات الفرنسية قد أخذت مواقعها على طول الشاطئ. و بدأ قصف القوات الفرنسية المتاريس و تحطيمها و توالت المناوشات بين الطرفين ،بعد أن تمت عملية النزول قام الفرنسيون بتنظيم هجوم محدود ضد بطاريات المدافع الحقيقية و تمكنوا بفضل هذا الهجوم من تأمين عملية إنزال باقي المعدات، ثم إلتحم الجمعان ودارت معارك بالسلاح الأبيض و إنهزمت القوات الجزائرية و تحطمت حامية سيدي فرج فتقرر التراجع و إنتصرت القوات الفرنسية في سهل سطاوالي و لقد تولى الآغا أفندي إبراهيم قيادة الجيش الجزائري الذي كان يضم إليه في كل يوم بضعة آلاف من المتطوعين بقيادة باياتهم و شيوخهم .و هكذا أصبح الجيش الجزائري بإضافة حرس الآغا أفندي و سكان الجزائر يقدر بخمسين ألف رجل على الأقل، و لكن رغم هذا إنهزمت القوات الجزائرية. و إستطاع الفرنسيون أن يتحكموا في المرتفعات المشرفة على المدينة بعد تحطيم برج مولاي الحسن أو حصن الإمبراطور كما أطلق عليه الفرنسيون، و هكذا سقطت مدينة الجزائر في أيدي الفرنسيين نتيجة لأخطاء فنية أهمها :

1 - إهمال الجهة الجنوبية للمدينة و الإكتفاء بحصن الإمبراطور

2 - إهمال الجانب الحربي و التكتيكي و ذلك بإعطاء قيادة الجيش لإبراهيم آغا الذي كان يجهل أمور الحرب بالإضافة إلى تعرية المدينة و كشف نقاط الضعف فيها، من طرف الجواسيس الفرنسيين إلى جانب ضخامة الترسانة العسكرية الإستعمارية و أسلحتها المتطورة .

قراءات قانونية

مقدمة الباب

إن الهدف من وجود ركن " القراءات القانونية " هو محاولة جمع وحصر أهم النصوص القانونية الصادرة منذ الإحتلال الفرنسي للجزائر، خلال الفترة التاريخية الممتدة مابين 1830 - 1962 إذ هي ليست بدراسة نقدية للنصوص القانونية وإنما تحليلية، القصد منها توسيع الإطلاع والمعرفة للقارئ، معتمدة في ذلك منهجية الشرح المبسط لهذه النصوص بمختلف أنواعها (أمريات، لوائح، مواثيق، قرارات، بيانات، نصوص مقننة) في شكل قراءة قانونية حتى يتسنى للدارس أو القارئ لها إستيعاب البعد القانوني للحدث التاريخي لفترة ما من تاريخ الجزائر.

وتعتبر أمرية شارل العاشر- 10 - الأرضية الأولى في إرساء النظام القانوني الفرنسي في الجزائر، فور الإحتلال الفرنسي عام 1830، والتي كان لها تأثير كبير على مسار الحياة الجزائرية.

وإلى جانب التعريف بهذه النصوص القانونية الخاصة بالفترة التاريخية نسعى في هذا الركن إلى دراسة مدى تأثير هذه النصوص على البنية السياسية والإجتماعية وردود فعل الجزائريين فور سريان مفعولها.

وقد إعتمدنا في هذا الباب إلى تقسيم دراسة النصوص القانونية من الناحية التاريخية إلى فترتين : الأولى: 1830 - 1954

الثانية : 1954 - 1962

مع إلقاء الضوء على أهم القرارات واللوائح التي صدرت في الفترة الممتدة ما بين 1954 - 1962 بشأن القضية الجزائرية.

كما سنتناول التعريف بالنصوص القانونية المحدثة لمراكز البحث عامة والمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول

نوفمبر 1954 خاصة وعلاقته القانونية بالمؤسسات والإدارات الأخرى منها بروتوكول (إتفاق بين وزارتي المجاهدين(الوزارة الوصية) والتعليم العالي والبحث العلمي في إطار التعاون وتنسيق العمل في مجال البحث العلمي.

قراءة قانونية لأهم النصوص المنشئة لمراكز البحث العلمي والتقني عامة والمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 خاصة

مقدمة :

شهدت المجموعة البشرية عبر المسيرة التاريخية تنظيما إجتماعيا يدخل في إطاره تنظيما قانونيا يعنى بصقل سلوكات الأفراد وتنظيم العلاقات والمعاملات داخل المجتمع.

والجزائر كدولة تطمح إلى تطوير نظامها القانوني لم تكن بعيدة عن الساحة في صنع الحدث حيث أمسكت صفحات التاريخ لتشغل حيزًا منها، وانطلقت في إحداث مؤسسات ومراكز تهتم بالجانب العلمي والتكنولوجي كبقية دول العالم. وبما أن التاريخ يمثل حياة المجتمع وكيانه فكان من الضروري وضع نصوص قانونية تنظم تلك العلاقات. ولذلك سنتطرق في موضوعنا هذا إلى أهم النصوص القانونية التي تحكم وتنظم مراكز البحث لاسيما المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر .1954

فتطبيقا للمرسوم الرئاسي رقم 521/83 المؤرخ في 3 ذي الحجة عام 1403 الموافق لـ 10 سبتمبر 1983 والذي يحدد القانون الأساسي لمراكز البحث المحدثة لدى الإدارات المركزية .

جاء المرسوم التنفيذي رقم 94 - 42 مؤرخ في 17 شعبان عام 1414 الموافق لـ 29 يناير 1994. المتضمن إنشاء مركز وطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 . حيث بين مهام هذا المركز والتكوين الهيكلي بالإضافة إلى المهام العامة التي أشارت إليها المادة 04 من المرسوم الرئاسي 521/84 .

إنشاء المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

أنشئ المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بموجب المرسوم التنفيذي رقم 94- 42 المؤرخ في 17 شعبان عام 1414 الموافق لـ 29 يناير 1994، إذ يستند في مادته الأولى المتضمنة إنشاء مركز وطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، على المرسوم الرئاسي رقم 83 - 521 المؤرخ في 3 ذي الحجة عام 1403 الموافق لـ 10 سبتمبر 1983 المحدد للقانون الأساسي لمراكز البحث المحدثة لدى الإدارات المركزية. وقد أسند المرسوم التنفيذي في مادته الثانية سلطة الوصاية إلى وزارة المجاهدين. وهذا تطبيقا لنص المادة السابعة من المرسوم الرئاسي.

مفهوم الوصاية:

إن الوصاية الإدارية تمارس لحماية مصلحة الوصي أي الدولة أكثر مما تمارس لمصلحة المجموعات، وتمارس الرقابة الوصائية أساسا ضمن إدارة لامركزية بين السلطة الوصية، والسلطة اللامركزية. وتحدد سلطة الوصاية بقانون يدرج شروط عملها إذ أنها لا تمارس إلا في الحالات ووفقا للأشكال المنصوص عليها في القانون ولايمكن للسلطة الوصية إعطاء أوامر إلزامية لأن الهيئات الخاضعة للوصاية تتمتع بإستقلال عضوي ووظيفي تلزم سلطة الرقابة على إحترامه .

إذن ماهي الطبيعة القانونية لهذا المركز وماهو التنظيم الهيكلي و الإداري في حدود ما قرره المرسومان الرئاسي والتنفيذي لمراكز البحث بصفة عامة والمركز الوطني للدراسات والبحث بصفة خاصة ؟

الطبيعة القانونية للمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

إن نص المادة 02 من المرسوم 83- 521 الفقرة الثانية أعطى لمراكز البحث المحدثة بمرسوم الصفة القانونية واعتبرها مؤسسات عمومية وطنية، يتمتع بالشخصية المعنوية والإستقلال المالي، والمقصود بالشخصية المعنوية هو أن الشخص الإعتباري يمثل مجموعة الأشخاص أو الأموال التي تهدف إلى تحقيق غرض معين ويعترف له القانون بالشخصية القانونية.

إن مصطلح الشخص الإعتباري يظهر أنه يكتسب الشخصية القانونية ضمنا وحكما ويمنحه المشرع هذه الصفة لكي يتمكن من أن يمارس حقوقا ويلتزم بواجبات في سبيل تحقيق أغراض إجتماعية معتبرة.

تعتبر الذمة المالية للشخص الإعتباري من أبرز مميزاته القانونية ويتجلى ذلك في إنفصال ذمته المالية عن ذمة الأفراد المكونة له، و الذمة المالية المتمثلة في الإستقلال المالي مفادها أن الشخص الإعتباري المتمتع بالشخصية القانونية يكتسب بالمقابل جميع الحقوق التي تقرها القوانين له.

ولقد حددت المادة الرابعة من المرسوم رقم 83 - 521 المهام العامة لمراكز البحث والتي تتمثل أساسا في تطبيق برامج التنمية العلمية والتكنولوجية في الميادين التي يحددها المرسوم وتتمثل في:

- جمع العناصر اللازمة لتعريف مشاريع البحث المطلوب القيام بها والمعطيات التي تسمح بتخطيطها.

- تنشيط العلوم والتقنيات وتسهيل إستعمالها والتحكم فيها، وتطويرها، وتطبيقها، كما تسعى في سبيل الإبداع التكنولوجي في ميدان إختصاصه إلى:

- القيام بجميع أشغال البحث التي لها علاقة بهدفها.
- القيام دوريا بأشغال بحوثها لتقدم في العالم.
- جمع ومعالجة الإعلام العلمي والتقني والمحافظة عليه وتوزيعه.
- القيام بنتائج البحث والسعي خصوصا إلى نشرها وإستغلالها وإستخدامها.
- المشاركة في تكوين الإطارات والتقنيين في مجال البحث.

وعن المهام الموكلة للمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. فقد نصت المادة الثالثة من المرسوم رقم 94 - 42 على مايلي:

- إجراء الدراسات والبحث المتعلقة بالحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر .1954
- جمع المعطيات والوثائق والمواد المتعلقة بموضوعه ومعالجتها.
- المشاركة في نشر المعارف المتعلقة بميدان إختصاصه.

وإشارة لما سبق ذكره، فإن المركز الوطني يعمد في إنجاز بحوثه التاريخية على جمع المعطيات والوثائق والطرق العلمية والمنهجية لإنجاز الدراسات العلمية . فهو إذن يحتاج إلى أحدث التقنيات وأكبر عدد ممكن من الطاقات البشرية، وتوفير الوسائل التقنية لتسهيل العمل والإنجاز السريع لتدارك التأخر.

وتتجلى المساهمة الفعالة للمركز الوطني للدراسات والبحث في التنسيق والتعاون بين وزارة التربية الوطنية لإثراء برامج التدريس في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، كما يقوم بإقتراح

تدابير من شأنها إغناء برامج التعليم، وتزويدها بالحقيقة العلمية والمعلوماتية. وهومن أجل ذلك يقوم بتنظيم الندوات الوطنية والدولية والمشاركة فيها قصد التعرف والحصول على أكبر كم ممكن من المادة التاريخية والتعريف بالحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر .1954

لأن هذه الثورة وبإجماع معظم المؤرخين ليست مكسبا قانونيا وعادلا للشعب الجزائري فقط بل أنها مكسب لشعوب كانت منذ وقت قريب تطمح إلى العيش بعيدا عن الإستدمار وكل أشكال الهيمنة و الإستغلال .

* التنظيم الهيكلي و الإداري لمراكز البحث :

إن المرسوم الرئاسي رقم 83 - 521 المؤرخ في 03 ذي الحجة عام 1403 الموافق لـ 1983/09/10 يعتبر القانون الأساسي لمراكز البحث المحدثة لدى الإدارات المركزية حيث حدد ضمن نصوصه القانونية الهياكل الرئيسية التي تقوم عليها مراكز البحث.

* إدارة مراكز البحث:

إن مراكز البحث العلمية والتقنية كغيرها من المؤسسات العمومية يتولى إدارتها مدير يتم تعينه بمرسوم بناءا على إقتراح السلطة الوصية . وتنهى مهامه بالكيفية نفسها وهو يعتبر أعلى هيئة على مستوى المركز إذ يضطلع بمهام ومسؤوليات إدارية هامة من بينها:

- إدارة المركز العلمية والإدارية إذ يدير ويتابع عملية البحث العلمي من جهة ويقوم بالتسيير الإداري على كافة أقسام ومصالح المركز من جهة أخرى . فهو بذلك يمارس السلطة السلمية على كافة مستخدمي المركز كما يلتزم المدير بالنفقات والأمر بصرفها وذلك في الحدود المرخصة بالإضافة إلى إعداد سندات الإيرادات وهذا ما جاء في المواد 8- 9 من المرسوم الرئاسي رقم 83 - 521 . وللمدير الحق في إقتراح

الكاتب العام ومديرى الوحدات ورؤساء الأقسام والمصالح ويتم إنهاء مهامهم بالكيفية نفسها وللسلطة الوصية وحدها الحق في إتخاذ القرار ووضع التنظيم الداخلي للمركز وذلك بقرار وزاري مشترك يتم بين الوزير الوصي ووزير المالية - راجع المواد 22- 23 - 24 من المرسوم الرئاسي رقم 83 /521-.

وهذا ماتم تجسيده أيضا في المرسوم التنفيذي رقم 94- 42 المؤرخ في 17 شعبان 1414 الموافق لـ 29 يناير 1994 المتضمن إنشاء مركز وطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، حيث أسند في مادته الثانية سلطة الوصاية للوزير المكلف بالمجاهدين الذي حدد التنظيم الداخلي للمركز بقرار وزاري مشترك بينه وبين وزير المالية على النحو الآتي:

1- قسم البحث والدراسات ويشمل:

أ - مصلحة التنشيط وترقية البحث.

ب - مصلحة الدراسات.

ج - مصلحة البرمجة.

2- قسم التوثيق والنشر ويشمل:

أ - مصلحة التوثيق والأرشيف

ب - مصلحة النشر والتوزيع.

ج - مصلحة العلاقات الخارجية والتنسيق.

3- قسم إدارة الوسائل ويشمل:

أ - مصلحة الموارد البشرية.

ب - مصلحة المالية والمحاسبة.

ج - مصلحة الهياكل القاعدية والعتاد.

إضافة إلى هذه الأقسام والمصالح المحدثة عل مستوى المركز الوطني للدراسات والبحث نص المرسوم الرئاسي رقم 83 - 521 والذي

يحدد القانون الأساسي لمراكز البحث المحدثة لدى الإدارات المركزية على جهازين هامين:

-مجلس التوجيه

-المجلس العلمي

*مجلس التوجيه: يتكون من 7 إلى 11 عضوا تعينهم السلطة الوصية بقرار. و من ممثلي القطاعات الرئيسية الذين يرتبطون بمهمة المركز وهم:

-ممثل الوزارة الوصية الذي يكون رئيسا للمجلس، مدير المركز، ممثلوا القطاعات الرئيسية المنتخبة أوالمستخدمة للبحث.

-ممثلي الوزيرين المكلفين تباعا بالتخطيط والمالية.

-ممثل المستخدمين الإداريين والتقنيين في المركز.

-ممثل وزير الدفاع الوطني.

-ممثل الوزير المكلف بالبحث العلمي.

-ممثل وزير التربية الوطنية.

-ممثل السلطة المكلفة بالثقافة.

وهذا ماجاء في المرسوم الرئاسي لاسيما المادة 11 وكذا المرسوم التنفيذي رقم 94-42 متضمن إنشاء مركز وطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

*مداولات مجلس التوجيه:

يتداول مجلس التوجيه برامج البحث ومشاريعه وهذا بعد إستشارة المجلس العلمي والتسيير المالي والجداول التقديرية للإيرادات والنفقات بالإضافة إلى عمليات الإستثمارات كما يقوم بدراسة وإقتراح جميع التدابير الكفيلة بتحسين نشاط المركز وتحقيقا لغاياته السامية يجتمع مجلس التوجيه باستدعاء من رئيسه مرتين في السنة في دورة عادية. كما

يمكن عقد إجتماع في دورة إستثنائية في حالة الضرورة وذلك بناءا على إستدعاء رئيس المجلس أو بطلب من مدير المركز أو ثلثي أعضاء المجلس.

وتجدر الإشارة إلى أن مداولات المجلس لاتصح إلا بأغلبية أعضائه وفي حالة ما لم يبلغ النصاب حده يمكن إستدعاء الأعضاء من جديد وذلك عن طريق رسالة موصى عليها حينئذ يمكن للمجلس أن يتداول في جدول الأعمال مهما كان عدد الأعضاء الحاضرين فيقوم بإعداد جدول أعمال كل إجتماع الذي يبلغ إلى أعضاء المجلس قبل عشرة أيام على الأقل من تاريخ الإجتماع.

وتتم المصادقة على جدول الأعمال النهائي لكل دورة في أول جلسة بعد مناقشته بأغلبية أصوات الأعضاء الحاضرين، وتتخذ قرارات المجلس بأغلبية أصوات الأعضاء ولكن في حالة تعادل الأصوات فإن صوت الرئيس هو الذي يرجح، ويتم تسجيل مداولات المجلس في محضر يرسل إلى السلطة الوصية وذلك خلال 15 يوما الموالية للإجتماع وتكون قرارات المجلس نافذة بعد شهر من تبليغها إلى السلطة الوصية إلا في حالة إعتراضها عليها.

وإلى جانب مجلس التوجيه هناك مجلس علمي تتمثل مهمته الأساسية في مراقبة المادة التاريخية حتى تبقى علمية بالمفهوم الصحيح.

إن هذا المجلس يتم إستشارته في تنظيم وتسيير كل أعمال المركز العلمية والتكنولوجية يترأسه باحث يتم إختياره من بين الباحثين في المركز، ويتكون هذا المجلس من 12 إلى 15 عضو يتم إخيارهم من بين ثلثي الباحثين المتعاقدين مع المركز والثلث الآخر من بين رجال العلم غير المرتبطين بالمركز لكن تخصصاتهم لها علاقة بأعمال المركز ويتم تعيين هؤلاء الأعضاء بقرار من الوزير الوصي لمدة أربع سنوات، أما عن المهام المخولة لهذا المجلس فتتمثل في دراسة برامج البحث العلمي

والتقني التي تعرض على مجلس التوجيه والإدلاء برأيه في تنظيم أشغال وأعمال البحث وتظهر مهمة المجلس العلمي خاصة في تقويم أشغال البحث دوريا إذ يجتمع في دورة عادية مرتين في السنة بطلب من رئيسه بعد إستشارة مدير المركز وله أن يجتمع في دورة إستثنائية إذا دعت الضرورة وذلك بطلب من رئيس المجلس أو المدير أو ثلثي أعضاءه.

فالعمل داخل هذه المجالس هو عمل جماعي مشترك يتم بين عدة قطاعات تشرف عليها هيئات من أعلى المستويات لتحمل مسؤولياتها وتفادي الإنزلاقات والسلبيات فهي لاتقوم بوظيفة الرقابة فقط وإنما تعتبر مسؤولة، بمعنى عليها واجبات تلتزم بتطبيقها، فممثلو هذه القطاعات لايقتصر دورهم على مهمة الرقابة وإنما يمتد إلى تلبية الحاجة وتقديم يد المساعدة داخل الهيئة.

الخاتمة :

من أجل تدعيم المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 تم إبرام بروتوكولات إتفاق بين وزارة المجاهدين (الوزارة الوصية ووزارتي التعليم العالي والبحث العلمي والتربية بغرض التنسيق والتعاون في ميادين البحث والدراسات لبعث هذا النوع من المراكز التي تخدم تاريخ الأمة الجزائرية.

هذه مناداة من "سارعسكر" امير الجيوش الفرانساوية الى سكان الجزائر واهالي القبائل (*)

بسم الله المبدى المعيد و به نستعين

ياايها ساداتى القضاة والاشراف والعلماء وأكابر المشايخ والاختيارية اقبلوا مني اكمل السلام واشمل اشواق قلبي بمزيد العز والاكرام اما بعد اعلموا هداكم الله الى الرشد والصواب ان سعادة سلطان فرانسه مخدومي وعزة جنانه الأعلى عز نصره قد انعم على بتوليته اياى منصب "سارعسكر "ويا أعزا اصدقائنا ومحبينا سكان الجزائر ومن ينتمي اليكم من شعب المغاربة ان الباشا حاكمكم من حيث ان تجرأ على بهدلة بيرق فرانسه المستحق كل الاعتبار واقدم على اهانته فقد سبب بجهله هذا كل ماهو عتيد ان يحل بكم من الكوارث والمضرات لكونه دعا عليكم الحرب من قبلنا فان عزة اقتدار سلطان فرانسه دام ملكه نزع الله من قلبه رحمته المعهودة ورأفته المعروفة المشهورة فلا بد ان هذا الباشا حاكمكم من قلة بصيرته وعماوة قلبه قد جذب على نفسه الانتقام المهول وقد دنا منه القدر المقدر عليه وعن قريب يحل به مااستحقه من العذاب المهين اما انتم ياشعب المغاربة اعلموا وتأكدوا يقينا أني لست آتيا لاجل محاربتكم فعليكم ان لا تزالوا آمنين ومطمئنين في اماكنكم وتعملوا اشغالكم

(*) Berbrugger et Bresnier " Première proclamation française aux Algeriens" dans Revue Africaine, N°6, Alger 1862, pp (150 - 156)

وكل ما لكم من الصنائع والحرف براحة سر ثم اني احقق لكم انه ليس فينا من يريد يضركم لا في مالكم ولا في عيالكم ومما اضمن لكم ان بلادكم واراضيكم.

وبساتينكم وحوانيتكم وكل ماهو لكم صغيرا كان او كبيرا فيبقى على ما هو عليه ولا يتعرض لشيء من ذلك جميعه احد من قومنا بل يكون في ايديكم دائما فآمنوا بصدق كلامي ثم اننا نضمن لكم ايضا ونعدكم وعدا حقيقا مؤكدًا غير متغير ولا متأول ان جوامعكم ومساجدكم لا تزال معهودة معمورة على ما هي الآن عليه واكثر وانه لا يتعرض لكم احد في امور دينكم وعبادتكم فأن حضورنا عندكم ليس هو لأجل محاربتكم وانما قصدنا محاربة باشتكم الذي بدأ واظهر علينا العداوة والبغضاء ومما لا يخفى عليكم غاية تحكمه وقبح طبعه المشوم ولا ينبغي لنا ان نطلعكم على اخلاقه الذميمة واعماله الرذيلة فإنه واضح لديكم انه لا يسعى الا على خراب بلادكم ودثارها وتضيع اموالكم واعماركم ومن المعلوم انه انما يريد ان يجعلكم من الفقراء المنحوسين المبهدلين الخاسرين اكثر من المسخط عليهم بمن اعجب ا الأمور كيف يخفى عنكم ان باشتكم لا يقصد الخير الا لذاته والدليل كون احسن العمارات والا راضي والخيل والسلاح واللبس والحلي وما أشبه ذلك كله من شأنه وحده فيا ايها احبابنا سكان المغرب انه عز وجل ما سمح بأن يصدر من باشتكم الظالم ما فعله من اعمال الخبث والردى الا انعاما منه سبحانه وتعالى عليكم حتى تحصلوا بهلاكه وبزوال سلطنته على كل خير ويفرج عنكم ما أنتم فيه من الغم والشدة واذ والحل هذا اسرعوا واغتنموا الفرصة ولا تعمى ابصاركم عما اشرقه الله عليكم من نور اليسر والخلاص ولا تغفلوا عما فيه مصلحتكم بل استيقظوا لكي تتركوا باشتكم هذا وتتبعوا شورنا الذى

يؤول الى خيركم وصلاحكم وتحققوا انه تعالى لا يبغي قط ضرر خليفته بل يريد ا ن كل واحد من براياه يحوز ما يخصه من وافر نعمه التي اسبغها على سكان ارضه يا ايها اهل الإسلام ان كلامنا هذا صادر عن الحب الكامل وانه مشتمل على الصلح والمودة وانتم اذا شيعتم مراسيلكم الى اوردينا حينئذ نتكلم واياهم والمرجو من الله تعالى ان محادثتنا مع بعضنا بعض تؤول الى ما فيه منافعكم وصلاحكم وعشمنا بالله انكم بعد ما تحققتم ان مقاصدنا وغايتنا الفريدة ليست هي سوى خيركم ومنفعتكم تشيعوا لنا صحبة مراسيلكم كل ما يحتاج اليه عسكرنا المنصور من الدخائر ما بين طحين وسمن وزيت وعجول وغنم وخيل وشعير وما يشبهه وحين وصلت مرسلاتكم هذه الينا فحالا ندفع الثمن فلوسا نقدية على ما تريدون واكثر هذا واما ان كان منكم معاذ الله خلاف ذلك حتى تختاروا محاربتنا ومقاومتنا اعلموا ان كل ما يصيبكم من المكروه والشر انما يكون سببه من جهتكم فلا تلوموا الا انفسكم فأيقنوا انه ضد ارادتنا فليكن عندكم محققا ان عساكرنا المنصورة تحيط بكم بايسر مرام ودون تعب وان الله يسلطها عليكم فانه تعالى كما انه يأمر من يجعل لهم النصر والظفر بالرحمة والمسامحة على الضعفاء المظلومين فكذلك يحكم بأشد العذاب على المفسدين في الأرض العائثين على البلاد والعباد فلا بد انكم ان تعرضتم لنا بالعداوة والشر هلكتم عن آخركم هذا ايها السادة ما بدا لي ان اكلمكم به فهو نصيحة مني اليكم فلا تغفلوا عنه واعلموا بان صلاحكم انما في قبوله والعمل عليه وان هلاككم لا يرده منكم احد ان عرضتم عما نصحتكم وانذرتكم به وايقنوا يقينا مؤكدا ان كلام سلطاننا المنصور المحفوظ من الله تعالى غير ممكن تغييره لانه مقدر والمقدر لا بد ان يكون السلام على من سمع واطاع.

إصدارات

مقدمة الباب

إصدارات باب يعمل على رصد الكتب والاطروحات والمجلات المتخصصة في تاريخ الحركة الوطنية وثورة التحرير ويحاول التعريف بها بحسب أهميتها، والباب مفتوح لمختلف الدراسات في الفترة المذكورة آنفا:سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية ثقافية، وهذا العمل يتنوع بحسب نوعية الكتب والدراسات، فمنها ما يتطلب تعريفات موجزة، تعطى للقارئ لمحة عن محتوى الكتاب ومنها ما يتطلب توسعة، ونقلا لبعض محتويات الكتاب، والهدف من ذلك هو محاولة منا تعميم الفائدة التثقيفية والعلمية لهذه الاصدارات، والتنبيه الدائم للقارئ باحثا كان أو غير باحث عن محتويات هذه الاصدارات، وبالتالي فهذا الرصد لا يقتصر على ماهو منشور ومتداول في الجزائر بل كذلك في الخارج .

ديوان الشهيد الربيع بوشامة

عرض: مسعود كواتي

ظهر في الآونة الأخيرة ديوان الشهيد الربيع بوشامة، من جمع وتقديم الدكتور جمال قنان من بين منشورات المتحف الوطني للمجاهد الذي ضم كل ما أمكن جامع الآثر الحصول عليه. وهذا الديوان يعرفنا بشخصية الشهيد في بعض ملامحها، وكذلك جانب من جوانب الشعر السائد في عصره، وبعض الأحداث التي سجلها الشاعر الشهيد بقلمه، إذ صور العديد من المواقف التاريخية في قصائده. وكما يقول الدكتور جمال قنان: " من بين الإنطباعات التي يخرج بها كل من يتصدى لتصفح الآثار الشعرية للربيع بوشامة هو هيمنة موضوع الوطنية والحرية على ما عداها من الموضوعات، وتكاد لاتخلو قصيدة من قصائده التنديد بالإستعمار وبأساليبه وسياسته، ومن الدعوة إلى إستنهاض الهمم وشد العزائم لتوفير الأسباب و إعداد الوسائل الكفيلة لتجاوز هذه الوضعية."

ففي التقديم تعرض الأستاذ قنان إلى سيرة الرجل الذي ولد ببلدية قنزات ببني يعلى دائرة بوقاعة ولاية سطيف في شهر ديسمبر 1916، بدأ التعلم بحفظ القرآن الذي أتمه في سن الثانية عشرة على يد الشيخ الصديق بن عبد السلام. ومنذ السابعة من عمره دخل المدرسة الفرنسية، وبعد إنهاء المرحلة الإبتدائية، تفرغ لتحصيل العلم على يد الشيخ سعيد صالحي، والشيخ العياشي مزغيش، والشيخ الهاشمي بلمولود، والشيخ علي الزموري، والشيخ سعيد بن عمر، فأخذ عنهم النحو والتجويد والقراءات، ودرس خليل. وقد إعتمد على التكوين

الذاتي لحبه وشغفه بالعلم، فكـون مـن أجـل ذلـك مكتبـة غنيـة تراثيـة ومتنوعة.

شب الشاعر في منطقة بني يعلى، الـتي كـانت إحـدى القواعـد ذات الإتصال بالعمل الوطني والإصلاحي. فمنـذ سـنة 1937 أصبـح عضـوا عـاملا في جمعيـة العلمـاء وبمعيـة نخبـة مـن شـباب قـنزات أسـس ناديـا للشباب وفي نفس الوقت كان يعاون الشيخ سعيد صـالحي في حلقـات التدريس بالمسـجد. أوفـد إلى بـاريس العاصمـة الفرنسـية رفقـة شـيخه لمساعدة الشيخ الورتلاني في نشـاطه الإصلاحـي في ربيـع سـنة 1938، غير أن مقامه لم يدم طويلا، إذ عاد إلى الجزائر لأداء الخدمة العسكرية، وربما لمضايقة فرنسا للعمل الإصلاحي الذي تقوم به جمعية العلماء على أرضها، وقد أعفي من الخدمة العسكرية بسبب ضعف بصره.

قرر الإنتقال إلى قسنطينة، للأخذ عن الشيخ عبد الحميد بن باديس، فنال التشجيع والحضوة لدى الشـيخ، بفضـل مسـتواه العـالي وجديتـه، وقد أثرت شخصية إبن باديس في الشاعر تأثيرا بعيد الأثر حيث أصبـح " الأب الروحي " لديه. وبعـد وفـاة زعيـم النهضـة الروحيـة، عـاد إلى مسقط رأسه، ليقوم بالنشاط التعليمـي والإصلاحـي، ممـا أثـار حفيظـة وشكوك الإدارة الإستعمارية حيث إستدعاه خليفة القائد مرتين ليهدده ويتوعده، بنفيه إلى الصحراء.

إنتقل سنة 1942 إلى مدينة خراطة، وإلتحـق كمعلـم بمدرسـتها وفي هذه المدينة شهد حـوادث 8 مـاي 1945 الرهيبـة، وعلـى إثرهـا ألقـي القبض عليه وأودع بالسجن وحوكم، ولم يطلق سـراحه إلا في أواخـر شـهر فـبراير 1946، إلتحـق كمعلـم في مدرسـة الهدايـة بحـي العنـاصر بالجزائر العاصمة. فأصلح شأن المدرسة، وأخرجها من حـالتي الضعـف والتدهور، فزاد عـدد المسـجلين بهـا، ممـا أوجـب علـى جمعيـة العلمـاء مكافأته على جهوده بتعيينه مديرا ممتازا من الدرجة الأولى.

ثم عين الشاعر بمدرسة الثبات بالحراش في بداية العام الدراسي 1949/1948 معلما ومديرا من طرف جمعية العلماء، وبنفس العزيمة، عمل على توسيع نشاط المدرسة والنهوض بها، فأصبحت ترسل بطلبتها إلى معهد إبن باديس بقسنطينة أو إلى جامع الزيتونة بتونس لإستكمال دروسهم، كما بقي يتابع نشاطه الثقافي والوعظي.

وفي شهر أغسطس من سنة 1952، إنتدبته جمعية العلماء كمعتمد لها بفرنسا ورئيس لشعبتها المركزية بباريس وذلك بتوصية من الشيخ البشير الإبراهيمي قبل إلتحاقه بالمشرق. وبمجرد الإلتحاق بالمنصب، شرع في وضع خطة لإنجاز مهمته، ولكن مهمته أنهيت قبل إنقضاء سنة. فعاد إلى أرض الوطن، وإستعاد مكانه في مدرسة الثبات بالحراش.

أما علاقته بالثورة، فمن خلال مقدمة الأستاذ قنان لديوان الشهيد الربيع بوشامة كانت منذ الشهور الأولى من إندلاعها حيث إتصل به الشهيد عميروش الذي كان يكن له الإعجاب والتقدير لإخلاصه وتفانيه في خدمة القضية الوطنية. كما إتصل به مرة ثانية خلال ربيع 1955 عن طريق رسالة في الوقت الذي كان يعاني من مرض في عينيه، مما أجبره على إجراء عملية جراحية.

وتم لقاء أخر في شهر سبتمبر 1956 بينه وبين الشهيد عميروش في قلعة بني عباس، وكما أورد الدكتور قنان " يبدو أن موضوع هذا اللقاء كان يتصل بالأحوال العامة للمنطقة."

وفي يوم 16 جانفي من سنة 1959 ألقت مجموعة من الدرك الفرنسي القبض على بوشامة في مدرسة الثبات بالحراش، وبعد إستجوابه، أودع ي بضع ساعات في زنزانة قيادة الدرك الجهوية بحي بلفور بالحراش، والتهمة الموجهة له تتمثل في تمزيق العلم الفرنسي. ثم أطلق سراحه في نفس اليوم، عاودت الشرطة الفرنسية في الليلة نفسها وألقت القبض عليه، وبعد ستة أيام عادوا به إلى منزله في حالة صحية

مزرية، وآثار العنف بادية على ملامحه. وبعد عملية تفتيش دقيقة خرجوا به، وهي آخر مرة تراه عائلته. وأعلن عن إستشهاده يوم 14 جويلية 1959 (1).

وبعد الحديث عن حياة الشهيد ونضالاته في الحركة الإصلاحية والوطنية، والعمل الثوري الذي شارك فيه منذ الوهلة الأولى لإندلاع الثورة في حوالي ثلاثين صفحة. أثبت جامع الأثر تراث الشهيد الذي إستطاع العثور عليه في القسم الثاني من الكتاب. وقد قسم الدكتور جمال قنان الديوان إلى إحد عشر قسما هي : مختارات الشاعر، الشعر الوطني والقومي، الإصلاح والتربية والتعليم، إعتراف وتقدير، من وحي العاطفة، الطبيعة بين الجمال والقسوة، معاناة ذاتية إجتماعيات، الأناشيد، شعر الثورة، متفرقات. ومما يلاحظ على القطع الباقية من شعر الشهيد تغلب النبرة الوطنية والثورية في مضمونها ومحتواها. فالجزائر دوما حاضرة في ذهنه ووجدانه ففي قصيدة " وحي الذكرى " يقول:

وارفع لنا صيحة كبرى مدوية تحيا الجزائر في جنات علياك (2)

والجزائر مذكورة في العديد من القصائد بصورة صريحة أو بصورة ضمنية. فقد حز في نفسه أن يرى وطنه تحت القيد والأغلال ترصف، لذلك نراه يرفض الوضعية اللاطبيعية أي وضعية العبودية.

كلا، ورب السماء،لايرتضي أبدا شعب العروبة عيشاتحت أعداكا
ولن نكون عبيدا خضعا لهوى حكم عثا بذرى الأوطان سفاكا
سنفتدي رغم كل من سلاسله ونغتدي أمة بالعز تلقا كا (3)

والشهيد الربيع بوشامة ثوري أصيل، فهو يؤمن بالكفاح كوسيلة ضد الإستعمار، ويبدي ذلك في مجمل شعره، ولكن هذا البيت يعبر أحسن تعبير عن أمنيته المتمثلة في مقارعة العدو:

إدخر هذه الشجاعة والعزم ليوم الفدا وأسمى كفاح (4)

وبما أن الشاعر كان شاهد عيان لمجازر 8 ماي 1945 فقد سجلها، وصور أهوالها أروع تصوير، فألتحم القلم السيال بالكلمة الصادقة، والعاطفة الوطنية الملتهبة لضخامة المأساة، وهول الجريمة المرتكبة في حق العزل:

وتباروا في القمع والعسف والإذ لال والمنكرات جهد النكال
دون ذنب إلاجهارك في تحريرهم من ظلم العدو المغالي
واستباحوا الأعراض جهد إنتقام من نساء وصبية ورجال
لن تميت الأقدار يومكمو بين عويل النساء و الأطفال
تتعالى صيحاتهم نبرات فاجعات تذيب صم الجبال (5)

لقد كرس الربيع بوشامة حياته لخدمة وطنه بجهوده في المجال الإصلاحي، والعمل الوطني والثوري غير مبال بالموت من أجل قضية يؤمن بها كالإيمان بالله إذ جاء على لسانه :

لاتهابوا الموت في سبل العلا إنما الموت حياة العظماء (6)

إن الشهيد بوشامة عاش عظيما، وتكمن عظمته في الجهود التي قدمها لوطنه في مجالات شتى: الإصلاح، التعليم، العمل السياسي والثوري، وإيمانه العميق بنصرة الحق، وللحق ثمن، وقد دفع حياته من أجل الجزائر.

وخيرما نختم به هذا العرض لديوان الشاعر الشهيد قبسات من قصيدة يروي فيها مآثر بطل من أبطال الثورة صديقه الشهيد عميروش:

حي في الأبطال فتيان الفداء وأخصص "أعميروش" منهم بالثناء
بطل الثورة يبلي أبدا في جهاد المعتدي خير البلاء
و يرد الصاع صاعين له بقتال مستميت و دهاء
و يعاطيه دروسا حية في الكفاح المر من أجل الفداء
ويشيع الرعب في أعماقه وبدنياه ، و أنواع الشقاء
قائد شهم همام و أخ طيب الأخلاق ميمون الأخاء
يجمع الطيبة و الحب إلى همة الأبطال بنائي العلاء
وهدى التحرير للشعب الذي ظل أزمانا أسير الدخلاء
ذلك أعميروش نداء الحمى ومذل الغاصبين الأشقياء
ورفعت الرأس للشعب إلى حرم النور و أقداس السماء

مسعود كواتي

1- العودة إلى مقدمة الأستاذ جمال قنان عن حياة الشهيد ضرورية فهي إلى حد اليوم أكمل وأشمل وأوفى ترجمة، وهي مستقاة من محيطه العائلي.
2- راجع الديوان ، ص 39.
3- نفسه ، ص 39.
4- نفسه، ص 39.
5- نفسه ، ص 51.
6- نفسه ، ص 75.
7- نفسه ، ص 187 ، 188.

شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف

عرض : **مسعود كواتي**

صدر هذا الكتاب عن مطبعة النخلة ببوزريعة لمؤلفيه سعد العمامرة والجيلالي العوامر، ويعرف السيد عبد المجيد الشريف الكاتب في التقديم بقوله " أمامنا الأن سجل يروي تاريخ بعض شهداء الملاحم والنضال بوادي سوف وهي قطعة من أرض جزائرنا الشاسعة."

يحتوي الكتاب على مقدمة موجزة أهم ما جاء فيها" منذ أن وطئت أقدام الغزاة الفرنسيين أرض وادي سوف سنة 1880 ظلت هذه المنطقة من الوطن الجزائري ترزح طيلة عهد الإحتلال تحت وطأة حكم عسكري جائر ظلوم هدفه تفقير السكان وقهرهم وغرس الذل والخوف في نفوسهم بالإضافة إلى سد أبواب الوعي والمعرفة في وجوههم لاسيما ماله صلة بالحركة الوطنية والتيارات التحررية" إن هذه الفقرة في الحقيقة، لاتعبر عن موقع معين، وإنما تعكس وجه الإستعمار الفرنسي في كل أرجاء القطر الجزائري .

وتطرق المؤلفان إلى التعريف بوادي سوف من الجانب الجغرافي ، الواقع في الجنوب الشرقي وسط العرق الشرقي والذي يشكل اليوم ولاية الوادي ومنطقة وادي ريغ.

أما عن حدود المنطقة، فيحدها شمالا كل من ولاية تبسة وخنشلة وبسكرة ودائرة المغير، وغربا كل، من دائرتي تقرت وجامعة، وجنوبا ولاية ورقلة، وشرقا الجمهورية التونسية. يتميز مناخها بالطابع الصحراوي الجاف والحار، تجتاح المنطقة في الغالب رياح في فصل

الربيع، وقد تجتاحها رياح جنوبية حارة في فصل الصيف والمسماة بريح السموم. ثم تصدى المؤلفان إلى تاريخ المنطقة بصورة مقتضبة يحتوي على أصل تسمية وادي سوف، وأول من سكن بها، والعناصر السكانية الوافدة وفي الأخير مجئ الإستعمار الفرنسي وحلوله بالمنطقة حوالي سنة 1880، والمقاومة العنيدة التي لاقاها إلى أن وصلا إلى الحرب الثانية.

أما عن الحركات الوطنية بوادي سوف، فقد تواجدت الحركة الإصلاحية المتمثلة في جمعية العلماء التي كان من بين ممثليها: الهاشمي الدراجي وحميداتو الهاشمي وحمزة بوكوشة، وعبد الكامل النجعي وعمار بن لزعروومحمد الأمين العمودي كما إنضم سنة 1936 إلى صفوف الجمعية الشيخ عبد العزيز الشريف الذي أدى دورا هاما في المجال الإصلاحي، وقد زار الشيخ عبد الحميد بن باديس المنطقة خلال سنة 1938 رفقة وفد هام من العلماء منهم نخص بالذكر مبارك الميلي ومحمد خيرالدين والعربي التبسي والفضيل الورتلاني، مما أدى إلى نمو الحركة الإصلاحية.

وتطرق الكتاب فيما بعد إلى الحركة السياسية فيشرح كيفية إنتشار الوعي السياسي في إطار الحركة الوطنية خاصة حزب الشعب الجزائري الذي إشتملت صفوفه على مجموعة من الشبان والمناضلين الذين عملوا على توحيد الإتجاهات السياسية المختلفة حول هدف واحد وغاية واحدة. إن هذه الغاية تتمثل في" جمع جهود المناضلين في قيادة موحدة لتعزيز القوات الحية ومجابهة الإستعمار بشكل موحد". وقد عزز هذا الوعي كذلك إنتشار الصحافة التي ترد إلى المنطقة بطرق سرية كالمنشورات الوطنية التونسية والجزائرية .

وتصدى المؤلفان إلى عملية شراء الأسلحة وتخزينها والتحضير للثورة من أجل ذلك " سار محمد بلحاج مرفوقا بالصادق انتونة إلى ليبيا عبر

تونس في أوائل جانفي 1948 وبقيا مدة ثلاثة أشهر يجمعان من السكان الليبين السلاح الذي كان متواجدا حينذاك عقب الحرب العالمية الثانية ورجعا مصحوبين بعدد 103 بندقية وكميات هائلة من الذخيرة محملة على ظهور الجمال عبر العرق الشرقي وتم تخزينها بكل من مدينة الوادي وقرية الرقيبة" وقد تم بعد ذلك شحن هذا السلاح إلى منطقة الأوراس.

ويتضمن الكتاب ترجمة لعدد كبير من شهداء المنطقة ، إستهل المؤلفان الحديث عن القادة الشهداء كالجيلالي بن عمر، ومحمد الأخضر بن عمارة، والطالب العربي، وعبد الكريم قمودي، وعبد الكريم هالي، وسعيد عبد الحي ومن ترجمة الشهيد الطالب العربي قمودي،نقتبس بعض الفقرات التي تبين مدى أهمية العمل الثوري الذي أداه " وعندما إندلعت الثورة الجزائرية في فاتح نوفمبر سنة 1954 كان من أوائلها وباتصال مع الإخوة مصطفى بن بولعيد وشيحاني بشير وابن عمر الجيلالي فكلفوه بتمويل الثورة وتسليحها وتوعية الجماهير وتجنيدها. ومن ضمن نشاطه الحيوي الهام الحملة التنظيمية التي قام بها بعد عودته من التراب التونسي إلى مدينة الوادي ونواحيها وهو تنظيم الخلايا الحزبية التابعة للمنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني التي جعلت تعمل بكل جد لأجل مد الثورة بكل الإمكانيات المادية والبشرية"...

أما المنهجية المعتمدة للتأليف فهي عبارة عن المنهج الحولي أي ذكر الشهداء حسب سنوات إستشهادهم.

تحتوي كل ترجمة على صورة للشهداء، ماعدا الذين تعذر على المؤلفين الحصول على صور شمسية لهم، وقد تصل الترجمة إلى ثلاث صفحات أو صفحة واحدة، مما يدل على صعوبة البحث في حياة هؤلاء الشهداء، والمجهود المبذول وأورد المؤلفان في ثنايا الكتاب بعض

القصص المستمدة من الثورة الجزائرية، والتي يتداولها الناس في منطقة وادي سوف، وهي قصص واقعية مثل قصة" الميت الحي" مفادها أنه بعد معركة هود شيكة عمدت السلطات الإستعمارية إلى حمل جثث الشهداء في شاحنة لدفنهم بناحية قرية هبة التي تبعد عن مكان المعركة بنحو عشرين كيلومترا وكان ممن حملوا بالشاحنة مع الشهداء زوجة شهيد منهم نظرا لكونها متواجدة أنذاك تتابع سيرالمعركة عن كثب.

ففي الطريق إلى القرية المذكورة تعطبت الشاحنة وتوقفت عن السير فذهب حينئذ أصحابها للبحث عن تقني وجلبه لإصلاح عطبها فنزلت المرأة من على الشاحنة ووقفت غير بعيد عنها، ومع شدة الحرارة في ذلك اليوم تحركت جثة زوجها أحد الشهداء، وسمعته يئن فدنت منه وقالت له :(أنت إنس أم جان) ثم سمعته مرة ثانية ويجيبها قائلا:(إنس لا جان) وهنا تحققت من أن زوجها الشهيد لم يزل بقيد الحياة فجذبته من بين الجثث حتى حافة الشاحنة فتمايل وسقط على الأرض، ثم نطق وقال لها (ماء، ماء) يعني إسقيني ماء، فحاولت إسعافه بقطرات من الماء، وجدتها هناك وبعدها فرت المرأة وهي تكاد تفقد وعيها.

أما زوجها الشهيد فبقي عاجزا عن الحركة لأن بعض الرصاصات إستقرت بجسمه وعندما جاء أفراد الشاحنة ووجدوه على الحالة حملوه إلى المستشفى بعد دفن بقية الجثث، وفي المستشفى أسعف بالعلاج تحت الحراسة المشددة، ولما شفي أخذ إلى السجن ومنه إستطاع أن يفر تحت ستار الظلام.

ويضم الكتاب بين السنة والأخرى إضافة إلى بعض القصص المتعلقة بأحداث الثورة، مجموعة من أهم الأحداث التي تقع في كل سنة، رصد فيهاالمؤلفان يوميات تاريخية، ففي سنة 1957 تحتوي على ذكر تولي الجنرال ماسي قيادة القوات الإستعمارية في العاصمة يوم 7 جانفي. وفي نفس الشهر إضراب الثمانية أيام الذي كان إستفتاءًا شعبيًا أجرته

الثورة للتعبير عن مساندته لها، وإعتقال العربي بن مهيدي عضو لجنة التنسيق والتنفيذ وتقديمه للتعذيب على يد المظليين بإشراف الكولونيل بيجار. وهذا السرد التاريخي يساعد القارئ على التعرف على أهم الحوادث التي جرت في كل سنة من سنوات الثورة.

إن أغلب الشهداء المترجم لهم لايوجدون في الكتب المنشورة والمعروفة لشهداء الثورة، إلا ما ندروشذ.

وكتاب " شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف" من الوثائق الهامة التي تعرفنا بمجموعة من الوطنيين الذين ضحوا من أجل الجزائر، حيث يهدف إلى التعريف بهم، وبنضالاتهم ومآثرهم، في مواجهة العدو الفرنسي الدخيل، حتى تبقى الذاكرة حية، عن طريق التعريف بمآثر السلف للخلف، وما مدى التضحيات الجسام التي قدمها الشعب الجزائري، في كل ربوع الوطن، من أجل إستعادة حريته وإستقلاله.

مسعود كواتي

مجلة " التراث"
في عددها الثامن (1)

عرض:مسعود كواتي

ظهر العدد الثامن من مجلة " التراث " التي تصدرها " جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس" يحتوي على مجموعة من المقالات والدراسات التاريخية التي تغطي حقبًا من تاريخ الجزائر والمغرب العربي منذ العصور القديمة حتى التاريخ الحاضر.

ومن أهم الدراسات المتعلقة بالثورة، بحث الدكتور رابح بلعيد (التنظيم الخاص O.S من 1947 إلى مؤامرة 1950 المشهورة) يذكر في بدايته صعوبة البحث في التنظيم الخاص، وهذا لقلة الوثائق المكتوبة المتعلقة به، ويرجع ذلك إلى الظروف التي أحاطت بهذا التنظيم وسريته، وتعامله مع الواقع السياسي في الجزائر. ثم يتعرض إلى أهمية الموضوع بقوله " ... كان موضوع التنظيم الخاص، ولم يزل إلى وقتنا الحاضر من المحرمات، وموضوعا يتحدى الكثير من الكتاب الذين حاولوا التوغل في تاريخه المثير، ومع ذلك فلم يزل في مقدور قادة هذا التنظيم الذين لم يزالوا على قيد الحياة، أن يمدوا بالطبع يد المساعدة للتاريخ وذلك بكتابة مذكراتهم بدلا من بيعها، باعتبارها مادة تاريخية أولية إلى بعض الكتاب الفرنسيين الذين لا يستطيعون، بسبب عدم قدرتهم على التغلب على بعض الصعوبات الإنسانية، أن يحكموا بالعدل والإنصاف على تاريخ الشعب الجزائري، مهما حاولوا أن يكونوا مجردين من الأهواء. " ...

وبعدها تحدث المؤلف عن تكوين التنظيم الخاص من قبل محمد بلوزداد المعروف " بسي مسعود " وصلته بالقادة الرئيسيين لحركة

الإنتصار للحريات الديمقراطية ثم إلى ظروف وملابسات إكتشاف التنظيم من طرف الشرطة الفرنسية في شهر مارس 1950 والنتائج التي ترتبت عن ذلك. وينتهي الموضوع بملحق يتضمن اللائحة الداخلية للتنظيم الخاص والتي تشتمل على الإلتزامات والضوابط والنواهي، والمكافآت والجزاءات.

أما الدراسة الثانية " جيش التحرير الوطني الجزائري تشكيله وتنظيمه ". بقلم الدكتور محمد قنطاري تعرض فيه إلى التنظيم الهرمي لجيش التحرير الوطني الجزائري خلال الثورة الجزائرية وإلى أهم تفرعاته التنظيمية والهيكلية. فأورد في بداية المقال تنظيم القوات العاملة إنطلاقا من أدنى تشكيلة إلى أرقاها كالفوج، والفرقة أو الفصيلة، الكتيبة وتنظيمها، الفيلق القيادة العامة للثورة : قيادة الأركان ثم إنتقل إلى الحديث عن القوات المساعدة كالفدائي، المسبل، المركز، المتصل، ودورهم في الثورة الجزائرية. وبعدها شرح الدكتور قنطاري التنظيمات المتواجدة بالمعتقلات والمحتشدات والسجون، وأوضح مدى وأبعاد التنظيم الثوري بها خلال ثورة نوفمبر.

ويتضمن محتوى المجلة دراسات خاصة بالتاريخ من بينها " التاريخ في نظر الأمم والشعوب قديما وحديثا " للأستاذ : فيلالي السايح. تعرض في المقدمة إلى أهمية التاريخ ثم إلى ماهية التاريخ والمدارس المختلفة في التاريخ، ثم لمحة عن البدايات الأولى لتدوين التاريخ والإهتمام به عند اليونان والرومان، وفي العهد الإسلامي، ثم تطرق إلى بداية إعتماد التاريخ في المناهج الدراسية. وفي النهاية تعرض إلى التاريخ والإيديولوجيا.

كما بحث الأستاذ يوسف مناصرية أستاذ التاريخ بجامعة باتنة في " المدرسة التاريخية الجزائرية " بدأ دراسته بالدراسات التاريخية الفرنسية المتعلقة بتاريخ الجزائر والهدف من ورائها، ورد فعل الجزائري على تلك

الدراسات المشوهة للتاريخ الوطني. ثم تصدى إلى المدرسة الجزائرية في التاريخ التي تعتمد على المنهج العلمي الحديث بعد الإستقلال، وقد أوضح أبعاد بعض الكتابات التي تحمل في طياتها المنهج الفرنسي من حيث التأثير الفكري والإيديولوجي. كما رصد لنا أهم المراكز والجمعيات التي تهتم بالتاريخ الوطني في الجزائر وأحاط بكل الخلفيات التي تمتاز بها .ويضم العدد دراسة هامة للدكتور محمد العربي الزبيري " من ثورة التحرير إلى الثورة الديمقراطية الشعبية " تشتمل على العناصر التالية الفعل ورد الفعل قبل التفاوض، الثورة الجزائرية في مرحلتها الثالثة، المفاوضات ووقف إطلاق النار، المجلس الوطني للثورة الجزائرية، تقييم إتفاقيات إيفيان، قراءة متأنية لبرنامج طرابلس.

فهذه الدراسة الواسعة -65 ص- (2) تعتبر من أبرز محتويات مجلة " التراث " في عددها الثامن، إذ تتطرق إلى المرحلة الأخيرة من الثورة الجزائرية.

ولا يقتصر هذا العدد على الدراسات التاريخية، وإنما حمل في طياته قصيدتين الأولى للشاعر صادق سلامية بعنوان "عذراء من قمم الأوراس"

مطلعها:

قفا صاحبي الحب هيج عبرتي فحامت على أعتاب أعظم ثورة!!

وخاتما إياها بالبيت التالي:

سأبقى وفيا للجزائر دائما وإن مت كانت، في القيامة رايتي!!

والثانية للشاعر محمد الحسن أكيلال تحت عنوان " ذكراك " مهداة إلى شهداء الجزائر.

مسعود كواتي

1- بتاريخ نوفمبر 1995م، جمادي الثانية 1416 هـ

2- من ص 128 إلى ص 196

الثورة والقيادة السياسية الجزائرية
1968-1954

الكاتب: وليم.ب. كواندت

الناشر:
مركز الدراسات و الأبحاث العسكرية دمشق
سنة النشر ط(1)-.1981

عرض: طرشون نادية

هذا الكتاب هو دراسة أكاديمية لأحد المهتمين بالتاريخ الجزائري من جامعة سانتا مونيكا بأمريكا، وهو (وليم.ب.، كواندت)، و الكتاب من خلال عنوانه، يهتم بفترة تاريخية في تاريخ الجزائر المعاصر, قلما كتب عنها بأقلام غير فرنسية، فهو يحمل وجهة نظر أمريكية،متحررة من تلك الترسبات و التراكمات و الخلفيات التي ميزت الكتابات و الدراسات الفرنسية أثناء تطرقها لتاريخ مستعمراتها السابقة. و الكتاب من الحجم الكبير (حوالي (383) صفحة)، قام بترجمته و أصدره من اللغة الإنقليزية إلى العربية ثم أصدره مركز الدراسات و الأبحاث العسكرية بدمشق سنة(1981).

يركز المؤلف من خلال كتابه هذا على مكانة وأهمية القيادة الثورية, وتطور الوعي الوطني و التفكير السياسي لدى قيادات و رموز الحركة الوطنية الجزائرية، ودور المؤثرات الإجتماعية و السياسية التي تحكمت في توجهات هذه القيادات سياسيا و إيديولوجيا التي يتولد عنها فيما بعد مجموعة من القيادات الوطنية (التيار الراديكالي, التيار الليبرالي التيارالثوري...إلخ).

يتوقف المؤلف بتوسعة أكثر عند خلفيات، الظهور المؤثر للعسكريين و الثوريين أثناء الثورة التحريرية,وملابسات بروز التنافس و الصراع و تبادل التهم و التصفية بين مختلف أجنحة هذين التيارين، وكيف أدى تجاذب الجزائريين بين هذين الفئتين وراء السلطة، إلى أزمة بين بن بلة "الثوري " و بومدين "العسكري"، و التي إنتهت بفوز العسكريين.

تظهر أهمية هذا الكتاب في إعتماد صاحبه على شهادات حية إستقاها من أفواه اللذين عايشوا و ساهموا في صنع جزء كبير من أحداث الثورة التحريرية ، و تقلد البعض منهم لمناصب حكومية بعد الإستقلال: كفرحات عباس,سعددحلب,يوسف بن خدة ، مولود قايد,عمر اوعمران ، إبراهيم مزهودي,محمد مزهودي.....إلخ.

زيادة على إعتماده على وثائق و منشورات جبهة التحرير و الحكومة المؤقتة,إضافة إلى ذلك إعتماده على الدراسات و الأبحاث الفرنسية و الإنجليزية و الأمريكية التي أثرى بها دراسته. وقد قسم المؤلف دراسته إلى مقدمة و (14) فصلا بما فيه الخاتمة. و أرفق الكتاب بمجموعة من الملاحق ذات العلاقة بمضمون الدراسة.

النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954 - 1962

عرض: مسعود كواتي

صدر كتاب " النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية (1954 - 1962) للأستاذ عبد المجيد عمراني من جامعة باتنة عن دار الشهاب يهدف إلى الإهتمام " بالجرائم الفرنسية المرتكبة في حق الشعب الجزائري من القتل الجماعي وتطبيق أساليب التعذيب والتشريد والنفي... وموقف النخبة الفرنسية المثقفة من هذه الجرائم المتوحشة في حق شعب يطالب بالحرية والإستقلال، التي إرتكبها الجيش الفرنسي بإسم الحضارة " وتجيب عن سؤال كبير يتمثل فيما " إذا كان موقف النخبة الفرنسية تجاه الثورة الجزائرية نابعا من مبادئهم وأفكارهم الفلسفية أم من موقف المسؤولية الإجتماعية التاريخية تجاه الشعب الجزائري."

وقد قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وينهيه بقائمة طويلة من المصادر والمراجع التي إعتمدها في المتن. ويحمل الفصل الأول عنوان : فلسفة جان بول سارتر ونشاطاته السياسية في الحركة الفرنسية، ويحتوي على محورين، الأنطولوجيا عند سارتر، وتأثير إيديولوجية اليسار في فكر سارتر. والفصل الثاني عنونه المؤلف: إندلاع الثورة الجزائرية والنخبة الفرنسية المثقفة تحدث فيه عن ميلاد جبهة التحرير الوطني والنخبة المثقفة والثورة التحريرية. أما الفصل الثالث المكرس لأعمال السلطات الفرنسية العسكرية في الجزائر وموقف النخبة المثقفة من التعذيب ، تطرق فيه إلى مسألتين : جرائم القوات الفرنسية المسلحة في الجزائر، وموقف النخبة المثقفة الفرنسية

من أساليب التعذيب في الجزائر. وفيما يتعلق بالفصل الرابع : ديغول والمنظمة العسكرية السرية وتقرير المصير للشعب الجزائري

والثانية : موقف جان بول سارتر من الثورة الجزائرية. أما عن الخاتمة فقد لخص فيها أهم الدواعي التي جعلته يختار الفيلسوف سارتر دون غيره لتحليل فكره ومواقفه الإيجابية من الثورة الجزائرية إنطلاقا من موقف إنساني يرتبط مع نظريته في الحرية.

إن الكتاب يشتمل على 272 صفحة من الحجم المتوسط، ويضم بين دفتيه مجموعة من الحقائق عن اليسار الفرنسي المساند للثورة الجزائرية إنطلاقا من رؤية مبدئية فلسفية سياسية تاريخية تستند في أغلبها على الفكر السارتري وتراثه المكتوب والمنشور الموزع في عدة صحف ومجلات يصعب على القارىء العادي الوصول إليه بكل يسر وسهولة.

الثورة الجزائرية، سنوات المخاض

محمد حربي

عرض: منصور حكيمة

مقدمة:

إن أهمية كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، بأقلام وطنية مهمة ومسؤولية تاريخية نبيلة الأهداف، والحديث عنها يعني التطرق إلى تاريخ الثورة بكل معطياتها (الإيجابية والسلبية). وتوجد مؤلفات جزائرية ذات قيمة علمية وتاريخية، إلا أنها تبقى ضئيلة العدد إذا ما قورنت بعظمة وقوة الحدث.

ضمن هذا الإطار نقدم إحدى مؤلفات الكاتب الجزائري محمد حربي وهو من مواليد 16 جوان 1944 بالحروش شمال قسنطينة يقول أنه إنضم إلى حزب الشعب الجزائري في سن الخامس عشرة. ويعتبر من خريجي جامعة السوربون، تقلد عدة مناصب من بينها أمين عام لجمعية طلبة شمال إفريقيا (1954)، مسؤول في فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا (1958) وسفير بغينيا (1961). وبعد إسترجاع الإستقلال أصبح مستشارا في رئاسة الجمهورية (أفريل 1963-1965) سجن مدة قصيرة ثم لجأ إلى فرنسا عام 1973، حيث أصبح يدرس علم الإجتماع وله عدة مؤلفات باللغة الفرنسية من بينها :

" Les Archives de la Révolution Algérienne" post - face de Charle Robert Ageron: PARIS ,Jeune Afrique, 1981

-Le F.L.N Mirage et Réalités. Des origines à la prise de pouvoir 1945 - 1962 Paris, les editions J.A 1980

-Les archives de la Révolution Algérienne , post - face de la Charle Robert Ageron , Paris, Jeune Afrique 1981.

L'Algérie et son Destin " Croyants ou Citoyens" : Les Medias Associes, Alger 1994

إن الكتاب الذي نقدمه " الثورة الجزائرية سنوات المخاض" مترجم عن الفرنسية ويحاول من خلاله صاحبه الوقوف عند أبرز المحطات التي عرفتها الثورة التحريرية. ولقد إحتوت هذه الدراسة على مقدمة و تسعة فصول هي على التوالي: 1- الحدث ، 2- الأصول المباشرة لغرة نوفمبر، 3- أصول الصراع الفرنسي الجزائري، 4- نهضة الجزائر، 5 - إنتصار دعاة الإستقلال، 6-غرة نوفمبر كتصور، 7- تراجم، 8- ملاحق، 9- تواريخ. الكتاب من الحجم المتوسط، يقع في 199 صفحة، صدر بالجزائر سنة 1994 (وحدة الرغاية) عن دار موفم للنشر ضمن سلسلة صاد.

نشر لأول مرة في عام 1984 في بلجيكا باللغة الفرنسية تحت عنوان :

La Guerre Commence en Algérie : Bruxelles ,Edition Complexe, 1984.

وأعيد نشره في 1986. ولقد تمت ترجمته إلى اللغة العربية بفضل مجهودات الأستاذين: نجيب عياد وصالح المثلوثي، بتمويل من دار النشر السويسرية التي كان يديرها بشير بومعزة. وأعدت نشره دار الخطابي بالمغرب الأقصى.

حاول الكاتب في المقدمة الإحاطة بأسس النزاع الفرنسي الجزائري، بالتطرق إلى دراسة الفكر السياسي والإجتماعي لهذه المرحلة، ومن خلالها يؤكد على ضرورة توفير الشهادات والوثائق الضرورية لفسح المجال أمام المختصين من أجل تمحيص، تحليل وتصحيح معلوماتهم ، نظرا لما يطرحه التاريخ من تساؤلات وما يطرح عنه من إستفسارات. في الفصل الأول، وضمن عنوان: " الحدث" تعرض الكاتب إلى

الظروف العامة التي شهدها العالم في الفترة الممتدة ما بين 1945م-1954م مشيرا إلى أبرز أزمات هذه المرحلة. فذكر أزمة براغ (1948)، حرب كوريا (1950)، الحرب الباردة، كما تعرض إلى أوضاع فرنسا بعد تحريرها من الألمان، وإلى أولويات إهتماماتها السياسية (قضية إعادة تسليح ألمانيا، الأزمتين التونسية والمغربية). مبرزا أهدافها المتمثلة في إقامة حزام أمني وقائي حول الجزائر التي سوف تعرف تطورا كبيرا .فيقول أن الحياة السياسية بعد أحدث 8ماي 1945تطورت بظهور التشكيلات السياسية الأربعة : الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري(UDMA (1946-1956 ، الحزب الشيوعي الجزائري (PCA (1936-1955 ، جمعية العلماء الإصلاحيين (1931-1956)، وأخيرا حركة الإنتصارللحريات الديمقراطية MTLD كما تعرض الكاتب إلى إنفجار الثورة واتساع نطاق العمليات العسكرية على مستوى التراب الوطني ومن خلالها قيم الكاتب مدى نجاح أو فشل هذه الخطوة (إندلاع الثورة)، بالتطرق إلى الأسباب المؤدية إلى ذلك، كما لمح إلى ردود فعل الصحافة الفرنسية والأجنبية

Le Monde - Le Figaro - L'Aurore

وكذا موقف المعسكر المعادي للإستعمار والحزب الشيوعي الفرنسي ... أما موقف السلطات الفرنسية فقد تحدث عنه في المحور الثاني.

كما أشار إلى موقف كل من المعتدلين، الراديكاليين الجمهوريين و الديغوليين ... إلى جانب ذكره لموقف الشعب وبعض القوى السياسية الجزائرية التي نعتت الثورة بالمغامرة والإستفزاز، إذ كان مستقبلها بالنسبة لهم غامضا أومجهولا. ومن خلال هذه المواقف تساءل الكاتب عن الحلول الممكنة أمام مثل هذا الوضع الحساس. وفي آخر الفصل إنتقد الكاتب جبهة التحرير الوطني لقيادة الثورة وللحياة السياسية.

حاول حربي إبراز أهمية هذا الحدث في الفصل الثاني بذكره الأصول المباشرة لإندلاع غرة نوفمبر من خلال تبيانه للأسباب والظروف التي سمحت بظهور حزب جبهة التحرير الوطني وتصوراته للكفاح المسلح، ومن ورائها يؤكد على أن الثورة قد إنتقلت من" رومانسية العمل السري " "إلى رومانطقية ثورية""، تحتل الصدارة لدى المناضلين، كما أشار إلى المشاكل التي طرحت حول مصير الثورة بعد حل المنظمة السرية .(1950)" " L O S . وذكر إجتماع "22" وأراء بعض المناضلين والمؤرخين حول مسألة إختيار القيادة، ومن هؤلاء ذكر شهادة "محمد مشاطي"، "محمد بوضياف"، "العقيد الزبيري" والصحفي الفرنسي" إيف كوريار" وفي إطار الخلاف دائما ذكر بإيجاز الخلافات التي كانت قائمة بين" لجنة الخمسة " و" مجموعة قسنطينة."

كما أشار إلى العوامل التي ساعدت أنصار العمل المسلح على الإستقلال عن الإتجاهات الأخرى. ويلمح الكاتب إلى أهم المشاكل التي عرفتها القيادة مثل مسألة التمويل، التسليح وضبط العمليات العسكرية على مستوى القيادات الجهوية. ويأتي في الأخير إلى استعراض وتقييم مدى قوة أو ضعف حزب جبهة التحرير الوطني في وضع إستراتيجيته.

يرجع المؤلف في الفصل الثالث للحديث عن أصول الصراع بين الدولتين، فيشير إلى الأسباب الحقيقية لإحتلال الجزائر بتكذيب الأسطورة الإستعمارية القائمة على أسس حضارية، مدعما موقفه من خلال رفض الجزائريين اللامشروط للإنصهار، بل وحتى الإندماج فيها، مبرزا الدوافع الأساسية التي أدت بالجزائريين للدفاع عن وطنهم، ومن خلالها أبرز مميزات السنوات الأولى للمقاومة على يد الأمير عبد القادر في الغرب والحاج أحمد باي في الشرق والتي فسرها بالدافع

الديني.ويعبر الكاتب عن إحتلال الجزائر" بالمأساة " بإعطائه صورًا وصفية وإحصائية لإبراز ظروف البلاد والعباد، مشيرا إلى الأعمال لتخريبية والنزيف البشري كنتيجة لهذه الأعمال، الى جانب ذكره للكوارث الطبيعية المتلاحقة إبتداءا من 1867، بالإضافة إلى الأوبئة الأخرى. ويؤكد الكاتب في دراسته على أن الإستعمار ليس هوالسبب الوحيد لتأخر الجزائريين، فالواقع القومي له نصيبه من المسؤولية، وحول الجزائر المستعمرة ،المستغلة والمستوطنة ركز الكاتب دراسته حول ثلاث ظواهر : المجموعة السكانية الأروبية، خصائص رأس المال الإستعماري، التفاوت الكامن بين الأروبيين و الجزائريين. ويبرز هذا التباين في جميع الميادين (الفلاحة، الصناعة، الخدمات، الثقافة...) مدعما رأيه بأرقام إحصائية. وفي نفس المضمار إستعرض الكاتب بعض القوانين والمناشير، كمنشور 1934 وقانون 1939. ويفسر الكاتب هذه السياسة بالعودة إلى جذور الإيديولوجية الإستعمارية التي يرجعها إلى أعماق الثقافة الأوربية التقليدية... يعرج المؤلف في الفصل الرابع ليتحدث على نهضة الجزائر والتي يقصد بها الإشعاع السياسي المتعدد المشارب الذي سيتبلور بظهور حركات سياسية متنوعة في التركيبة الإجتماعية والإيديولوجية إلا أنها رغم ذلك متفقة حول ضرورة إنبعاث الجزائر والتقدم بها، والعزم على تحقيق الهدف. و إن كل ذلك كان مسيطرا على الخلافات الداخلية بجميع أنواعها. وقد حاول الوقوف وبإيجاز عند أهم المراحل التاريخية للجزائر إلى غاية الحكم العثماني، ويرجع المؤلف الفضل في ظهور الوعي القومي في الجزائر إلى المستعمر الفرنسي فيقول أن فكرة الوطنية قد تبلورت داخل حلبة الصراع ضد فرنسا، ولقد استعرض الكاتب الفكر الإجتماعي الجزائري قبل الحرب العالمية الثانية بجميع تناقضاته (الفقر، الجهل...) كما أنه جمع بعد ذلك الحركة الفكرية في تيارين: الأول يبحث عن

الجزائر من خلال ما وقع في أوربا و الآخر يؤكد الفروق ليرتقي بالوعي إلى مايميز الجزائر عن غيرها، كما تطرق إلى دراسة وتقييم مسار الحركات والأحزاب الجزائرية مستعرضا مواقفها من الأحداث، بدءًابالحركة الإندماجية والتي أشار فيها إلى إهمال المؤرخين لها، رغم غناها بمنشورات أدبية بالغة الأهمية، كما تطرق إلى الحزب الشيوعي الجزائري الذي يرجع الكاتب فشله إلى التقلبات في مواقفه، ثم عرف الحركة الإصلاحية، مؤكدا أن الجزائر لم تعرف إصلاحا إسلاميا إلا في العشرينات على يد هذه الجماعة مبرزا فلسفة هذا الإتجاه من خلال برنامجه، فالإسلام بالنسبة لهم هو الإيديولوجية القومية للشعب الجزائري. ويقول الكاتب أنه رغم الدور الذي لعبته هذه الجماعة في الحفاظ على مقومات هذا الشعب، إلا أن نظرتهم للواقع الجزائري المرير كانت محدودة .وهذا القصور يرجع إلى تكوينهم. كما نوه المؤلف بوجود حركة شعبوية تحمل أفكارا إجتماعية وسياسية مختلفة تتمثل في الحركة المصالية الإسلامية الشعبوية(1928)، الحركة البربرية (1948) وحركة المركزيين. والقاسم المشترك بينها هو العزم على تكوين كيان جزائري مستقل عن فرنسا. ولقد قام الكاتب بدراسة تفصلية لكل حركة على حدة. محاولا إبراز الأفكار، التصورات، الميول والتناقضات التي وقعت فيها، ويرى الكاتب أن وجود هذه الإتجاهات كان أمرا ضروريا، حيث اعتبرها إطارا للمطالب الوطنية والتطلعات الإجتماعية بكل ما تحتويه من غموض ونقائص، ويربط الكاتب إنتشار هذه الأفكار بعدة عوامل فذكر: عامل النمو الديمغرافي، الهجرة، النزوح...بالمقابل أبرز الكاتب تقلص نفوذ الأعيان واتساع نفوذ الحركات المذكورة منذ 1945.

يرجع الكاتب في الفصل الخامس للتأكيد على دور ومساهمة ظهور البروليتاريا في المدن، والعمال والفلاحين في القرى في عجلة التطور

التاريخي خاصة بعد الحرب العالمية الثانية بحيث أن الحركات الوطنية أصبحت القوة السياسية الأولى في البلاد، رغم العقبات التي اعترضتها فذكر وجود ما يعرف بالقوة الثالثة (1926-1955) والذي نتج عنه صراع كبير بين القومية والإصلاحية، كما يدلي الكاتب بمواقف الأوروبيين المشتركة حول القضية الجزائرية بإنكارهم لوجود قومية جزائرية بهدف صد الحركة الوطنية وإفشالها. وقد تساءل الكاتب عن جذور الإصلاح في الجزائر فاستعرضها من خلال الحزب الشيوعي وجمعية العلماء وموقف هؤلاء من دعاة الكفاح المسلح. ويشير إلى أحداث 20 أوت 1955، التي يعتبرها إنتفاضة هزت الجزائر. وحسب الكاتب دائما، فإنه ومنذ هذا التاريخ ستصبح الثورة حربا بالنسبة لفرنسا.

وفي الفصل السادس من الكتاب أشار المؤلف إلى أن جبهة التحرير قد حولت ثورة نوفمبر إلى حدث مؤسس للقومية الجزائرية بإزدراء مجهودات الأحزاب السابقة، حيث أن جبهة التحرير الوطني إعتبرت نفسها حركة جديدة تماما لاعلاقة لها بالماضي. وهذا ما عبر عنه الكاتب بالأسطورة والصفحة البيضاء، ثم تساءل عن المعايير اللازمة لتحديد من كان مع الإنتفاضةومن كان ضدها، فهل كل من لم يحمل السلاح من المناضلين هو ضد العمل الثوري؟ وللتوضيح أبرز الكاتب دور الأحزاب السياسية الأخرى، ويؤكد على وحدة التلاحم الشعبي ووحدة الهدف مع الإختلاف في الوسيلة المحققة لذلك. ويبرز من جهة أخرى دور الفلاحين في انتفاضة 1954، فأشار إلى الوطنية الفلاحية عند فرانس فانون، كما تحدث في الأخير عن ديناميكية الثورة وإفرازاتها، وينتهي الكاتب إلى خلاصة تتمثل في أن العلاقات السياسية تكونت في غياب طبقة سائدة على المستوى القومي.

قبل أن ينهي الكاتب دراسته، وضمن عنوان "جيل الإستفاقة" قدم قائمة بيوغرافية لشخصيات وطنية ساهمت في العمل من أجل تحرير الجزائر، مع تقييم، وإبراز مواقفهم ودورهم في ذلك.

يختم المؤلف كتابه بتخصيص صفحتين للملاحق التي ضمنها أسماء بعض المناضلين على مستوى اللجنة المركزية وأعضاء لجنة22" "بقسنطينة، الجزائر ووهران مرورا بجماعة القبائل وعناصر مندوبية حزب الشعب في القاهرة إلى جانب" لجنة الستة " " ولجنة التسعة". في الأخير قدم الكاتب قائمة للأسماء الجديدة للبلديات التي كان لها إسم فرنسي، إضافة إلى ذكره الأحداث التاريخية الجزائرية بترتيب كرونولوجي وهذا منذ الإحتلال الفرنسي للجزائر(1830) إلى المقاومة، متوقفا في (1931)، بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

فسحة القارئ

فسحة القارئ

مقدمة الباب

تأتي هذه الفسحة بعد شوط علمي دسم، لكي تعطى بعض الراحة للفكر بعد التركيز و الدقة والاستنباط وتدفع به الى النكتة والدعابة، من خلال عدة فقرات متنوعة منها :

- مسابقة تتضمن أسئلة حول كلمات مأثورة لزعماء ثوريين ومفكرين وطنيين ونصوص تاريخية وطنية، إضافة الى أسئلة عامة هادفة، علما بأن الاجابة عن أسئلة المسابقة ستتوج بجوائز قيمة.

- كما تضم مجموعة من الأمثال، والحكم العربية والعالمية، ومجموعة أخرى من الحكم والأمثال الشعبية الجزائرية الهادفة مصحوبة ببعض الطرائف والالغاز الممتعة، الى جانب شبكة من الكلمات المتقاطعة. وركن هل تعرف، الذي يفيد القارئ الكريم، بمعلومات تاريخية مهمة.

المسابقة

أ) من القائل؟

1- كم من منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل
2- أنا قيس في عشقي الحسن، لكن انت ليلاى في الهوى ياجزائر
3- جزائر الأمل الزاهي، فما اكتحلت عين الحبيب بأبهى من ربي بلدي
4- عروبة الحق ثارت نعانقها ليست عروبة أوتار - وعيدان
5- أي وطني ماملكت فوق ثراك شبرا أتراني أملك تحت ترابك قبرا
6- حي الطبيب ولا تنسى قرينته فهو (السليمان) والمدام (بلقيس)
له غلام أطال الله عمره تنازع العرب فيه و الفرنسيس
لا تعذلوه إذ ما خان ملته فنصفه (صالح)والنصف(موريس)،

ب) الأسئلة:

1-ماهو أسم الأسير الفرنسي، الذي جاءت أمه من فرنسا إلى الأمير عبد القادر تريد أن يطلق سراحه ؟

2- ماهو اسم الجنرال الفرنسي، الذي هدم قبر المرابطة "الحاجة مغنية" ؟

3- من هو أول شهيد من الشبان الجزائريين المثقفين في ثورة أول نوفمبر 1954 المجيدة ؟

4- لمن كانت هذه الصحف:
أبو العجائب - ذو الفقار - صدى الصحراء - الدفاع - الليالى - المعيار - الجحيم - التلميذ

5- من هو المفكر الاديب الجزائرى القائل:

إن اللغة الفرنسية هي غربتي، ومنفاي وهل هو صاحب ديوان " أنصت لى وأنا أناديك"؟

6- لمن المسرحيات التالية: بائعة الورد، عنبسة، أنفسي ياعيشة؟

7- آين تقع هذه الاماكن وما تعرف عنها من حيث المقاومة ضد الاستعمار :
واد النسبا - وادى النساء - عرق بوسروال - شعبة الحمار - فيلتة - قرن الحاج

8- من هو مترجم الشيخ عبد الحميد بن باديس في اعمال المؤتمر الاسلامي في سنة 1936 ؟

9- ماهي رسالة الدكتوراة دولة المعاصرة التى استمرت منا قشتها ثلاث عشر ساعة ونصف بدون انقطاع ؟

10- في أي يوم وشهر وسنة تم تدشين طريق الوحدة الافريقية؟

حكم وأمثال:

1- قال أحد الحكماء: راحة الإنسان في اربع : راحة الروح في قلة الأثام، وراحة القلب في قلة الاوهام، وراحة اللسان في قلة الكلام، وراحة الجسم في قلة الطعام.
2- ان لم تعلم من أين جئت، لم تعلم الى أين تذهب
3- إن نصف شقاء الناس ناجم عن محاولتهم الظهور بغير مظهرهم الحقيقي.

4- عجبا لمن يغسل وجهه في النهار عدة مرات، ولا يغسل قلبه مـــرة واحدة.

5- ليس صعبا أن تضحى من أجل صديق، ولكن من الصديق الذي يستحق التضحية

6- ليس المهم كيف تمسك القلم،-لكن- المهم ماذا ستكتب به.

7- عظ الناس بفعلك، ولا تعظهم بقولك

8- الحكيم هو الانسان الذى يعرف متى يتكلم ومتى يصمت

9- نعيب زماننا و العيب فينا * و مانزماننا عيب سوانا
فدنيانا التصنع و الترائى * ونحن بها نخادع من يرانا
وليس الذئب ياكل لحم ذئب * و يأكل بعضنا بعضا عيانا

10- ملؤ السنابل تنحى بالتواضع * والفارغات رؤوسهن شوامخ

أمثال شعبية جزائرية :

1- اقصد الدار الكبيرة إذا ما أتعشيت تبات للدفأ.

2- ياكل الغلة ويسب الملة.

3- لبن الناس ما يعد كسرة وولد الناس مايطول عشرة.

4- يامزوق من برا واش حالك من داخل.

5- في الوجه مراية وفى القفا مقص.

6- الحجرة من يد الحبيب تفاحة.

7- كمشة نحل خير من شواري ذبان.

8- العريس يعرس والمشوم يتهرس.

9- كل خنفوس في عين امه غزال.

10- اللي يحسب وحده يشيط له

ماهو حل هذا اللغز؟

تبدأ بالنون، والنون في السماء تنوح
هي حنينة واللى في قلبها مجروح

هل تعرف؟

أن الناصر بن شهر بن فرحات ولد عام 1804 بالارباع بورقلة، أبوه وجده كانا قائدين على الارباع.

انتمى الى الطريقة القادرية، وارتبط بشيخها أحمد الشاوي تزوج ناصر بن شهرة من ابنة خليفة وسلطان مدينة الاغواط. ولكن عندما خضع صهره للفرنسيين، استنكر ذلك وطلق ابنته، لما رفضت ان تصحبه إلى أعماق الصحراء بعيدا عن السلطات الفرنسية.

- حمل لواء الثورة ضد فرنسا سنة 1851، غادر الناصر بن شهرة معسكر إقامته الجبرية ببوغار، يوم 5 سبتمبر 1851 واتجه الى الشهبونية.

في 31 جويلية 1852 سيطر بن شهرة على قرية الحيران وحصنها إحتلت فرنسا الاغواط وورقلة عام .1853

التجأ إبن شهرة الى نفطة، وتوزر بالجريد التونسي سنة 1853 ، عندما اندلعت ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1863 عاد بن شهرة الى الجزائر، 21-10-1864 وصل الى واد النساء. بعد إلقاء القبض على بومزراق زعيم المقرانيين يوم 20 جانفي 1872. ركب الناصر بن شهرة الباخرة مع الشيخ محمد الكبلوتى بن الطاهر. وفي يوم 2 جوان 1875 من حلق الوادى بتونس إلى بيروت، استقر الى جانب محى الدين بعض الوقت. ثم التحق بالامير عبد القادر بدمشق إلى ان توفي عام 1884 بعد عام من وفاة الامير عبد القادر.

هل تعرف؟

ان "الكولونيل لطفى" قال:

... "ثورتنا تدفعنا إلى الموت والاستشهاد، لكن موتنا يجب أن لا يكون عبثا، يجب أن يخدم المثل الاعلى الذى ضحينا من أجله، والذي يجب ان ينتصر، وأنتم ياشباب الجزائر تواجهون مسؤولية كبيرة وشرفا عظيما. هو واجب وشرف حمل المشعل الذى سوف نضعه بين أيديكم حتى تصلوا به الى غايته المنشودة، فأنتم أيها الشباب ضمانة تحقيق القسم الذى أديناه جميعا"

الكلمات المتقاطعة

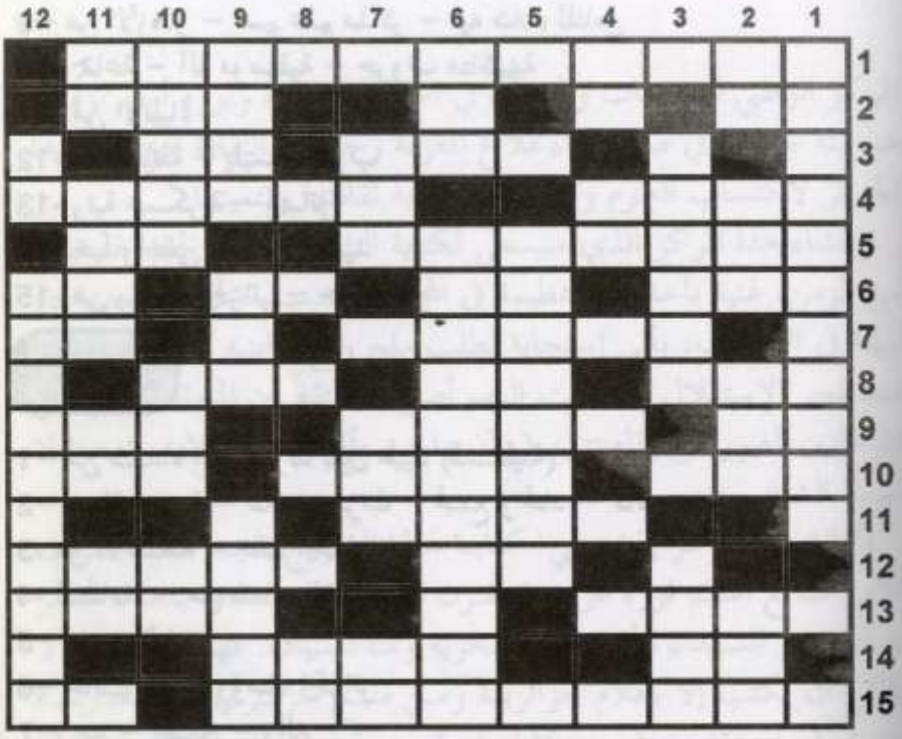

أفقيا:

1- معركة وقعت ببلدية الشفة بجبل تمزغيدة في أفريل 1957

2- أداة نصب – مل وكره

3- من الحواس - للمناداة
4- يحمل السلاح - من الفواكه
5- جريدة كلنت تصدر أثناء الثورة - هجوم
6- من الحيوانات - أداة شرط - في الجسم - امتنع
7- الاسم الثاني لمدرب سابق للفريق الوطني لكرة اليد - متشابهان
8- شؤم - دق (معكوسة) - حيوان مفترس
9- من الأزهار - اسم علم مذكر - فيه شفاء للناس
10- جماعة - آلة موسيقية - حروف متاشبهة
11- من الأنبياء
12- مادة قاتلة - يلبسه المحارب
13- رتبة عسكرية - رسائل
14- خبأ وأخفى - يبني ويشيد
15- من رؤساء الجزائر - حرف جر

عموديا:

1- من شهداء الثورة ولد بعين عبيد (قسنطينة)
2- عملة أجنبية - عكس حرب - تجمع واتحاد - كأس
3- من الأسلحة - خف الجمل
4- للمناداة - من شعائر الاسلام
5- من جبالنا
6- عاتب - من رؤساء الجزائر
7-رجع - أصلح - والد
8- من الأمراض المعدية
9- يقبض عليه في الحرب - مدينة جزائرية - ثياب
10- من أساليب الحرب (معكوسة) - اتركه - جواب (معكوسة)
11- بحر - أجرى - نصف سهام - سقي
12- أداة نصب - من شهيدات الثورة

وزارة المجاهدين

المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر هو لبنة جديدة في صرح بناء قلاع المعرفة وحصون الثقافة التي تشيدها الجزائر لاكتساب العلوم وتطويرها وحماية ثقافتها وتنميتها.

وإنشاء هذا المركز الذي سيسعى لكتابة التاريخ الوطني لحقبة قصيرة من الزمن، غنية بأحداث، عظيمة في المحتوى، جسيمة في التضحيات، نبيلة في الأهداف، يأتي إستجابة لطلب ملح رفع رايته كل المجاهدين منذ فجر الإستقلال وانضمت إليهم أصوات المثقفين المخلصين وكل المواطنين الغيورين والمعتزين في آن واحد بأمجاد وبطولات شعبنا لا سيما الشباب منهم.

فأمانة هذا المركز إذن، هي كتابة هذا التاريخ المجيد لهذا الشعب الأبي صانع أعظم ثورة عرفها القرن العشرون وسقاها بدماء عُشر سكانه من الشهداء الأبرار فداء للحرية وثمنا للسيادة. فهذا التاريخ لا يمكن أن يكتب إلا بأقلام جزائرية ومن منبع جزائري ومن مدرسة جزائرية. فهو تاريخ شعب وامجاد أمة وعزة وطن له من البطولات والانتصارات ما يغنيه عن الزيف والتأويل والتحوير وحجب الحقائق.

الإطار القانوني للمركز:

أنشىء **المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954**، بمقتضى المرسوم رقم 94-42 المؤرخ في 17 شعبان 1414 هـ الموافق لـ 29 جانفي 1994 والذي يحيل في مادته الأولى طرق تنظيم المركز وتسييره ومهامه وصلاحياته إلى أحكام المرسوم الرئاسي رقم 521 المؤرخ في 10 سبتمبر 1983 المتضمن القانون الأساسي النموذجي لتنظيم وتسيير مراكز البحث العلمي التابعة للإدارات المركزية.

الإطار التنظيمي:

يسير المركز بهياكل وهيئات:

أ – الهياكل:

تتشكل هياكل المركز من ثلاثة أقسام وتسعة مصالح هي:

- قسم البحث والدراسات ويشمل:
- مصلحة تنشيط وترقية البحث
- مصلحة الدراسات
- مصلحة البرمجة
- قسم التوثيق والنشر ويشمل:
- مصلحة التوثيق والأرشيف
- مصلحة الطبع والنشر
- مصلحة العلاقات الخارجية والتنسيق
- قسم الإدارة والوسائل ويشمل:
- مصلحة المالية والمحاسبة
- مصلحة الموارد البشرية
- مصلحة الهياكل الأساسية والعتاد

ب – الهيئات:

* المجلس التوجيهي: المتكون من أهم الوزارات ذات العلاقة بمضمون وأهداف المركز.
* المجلس العلمي: يتكون من 15 عضوا ثلثاه من الباحثين التابعين للمركز والثلث من ذوي الإختصاص العلمي الذين يكون بإمكانهم المساهمة في تحقيق الدور المنوط به.

وحدات البحث:

يعتمد المركز في أداء المهمة المسندة إليه على وحدات بحث تتشكل من أساتذة باحثين مختصين في مادة التاريخ من كافة الجامعات الجزائرية بالتعاون مع أساتذة باحثين ذوي إختصاصات أخرى وانتاجات علمية ذات ارتباط بالفترة التاريخية المحددة للمركز.

ويستند المركز في تنظيم وحدات البحث على ما يلي :

1 - الدوام والإستمرارية للوحدات
2 - تنوع الإختصاصات
3 - اتباع المناهج العلمية واستعمال الوسائل التقنية الحديثة

ولتحقيق هذه الغاية، يُسَخر المركز أحدث الوسائل المادية والتقنية الضرورية لضمان السير الحسن لعملية البحث وعليه يضمن المركز استقلالية كل وحدة بحث من حيث المكان والتجهيزات المكتبية الضرورية.

ربط هذه الوحدات بشبكة معلوماتية تصلها فيما بينها، وبالإدارة والمكتبة ومصلحة التوثيق، وكذا بالجامعات عبر التراب الوطني والشبكة المعلوماتية الدولية

- انشاء مكتبة مختصة في التاريخ الوطني تسع حوالي 5000 كتاب
- استعمال أحدث الأجهزة السمعية البصرية لتسجيل الشهادات الحية بمقر المركز أو خارجه لاستغلالها في عملية البحث.

- أجهزة استنساخ لحماية الوثائق ذات القيمة التاريخية الكبيرة أو نسخ الوثائق الضرورية المتوفرة لدى هيئات أخرى.

- تتجسد ثمرة أعمال المركز في وثيقة دورية في شكل مجلة تكتسي طابعا أكاديميا وتعتمد على المنهج العلمي والمعلومة الصحيحة، لتكون إسنادا لمادة التاريخ الوطني، ووثيقة تتداولها مختلف مراكز البحث والجامعات داخل الوطن وخارجه.

الموقع: يقع مقر **المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954** في قلب حي الأبيار في أعالي العاصمة يتكون من بناية جميلة بنيت على أسس معمارية ذات الطابع العربي الإسلامي في وسط ساحة خضراء معتبرة. وهي جزء من حديقة الصنوبر الجميلة المعروفة بالأبيار يتبعه جناح للإدارة مستقل في مداخله عن وحدات البحث، وبهو البناية وتقابله في الركن الشمالي من الحديقة مكتبة وقاعة للقراءة تتسع لأكثر من 5000 كتاب، وقاعة عرض ومحاضرات بتجهيزاتها الحديثة تتسع لحوالي 100 مقعد. نظرا لرسالة المركز البالغة الأهمية فإنه يستحيل عليه عمليا الإلمام بكافة جوانب التاريخ الوطني المكلف بدراستها إنطلاقا من مقره ولذلك فإنه يسعى لإنشاء فروع له عبر أنحاء الوطن وفي مرحلة أولى بالمدن الجامعية التي تتوفر بها معاهد التاريخ .في انتظار ذلك يستعين المركز في جمع المادة التاريخية بمراسلين مختصين في ميدان التاريخ أو التوثيق يكونون همزة وصل بين المركز ومختلف الهيئات ذات الإهتمام المشترك.

إن نجاح المركز الوطني للدراسات والأبحاث التاريخية في أداء المهمة المنوطة به وتبليغ الرسالة التاريخية بصدق وأمانة عملية لا يمكن تحقيقها إلا بمساعدة مراكز البحث والجامعات ذات الأهداف المشتركة وكافة المواطنين المهتمين بالتاريخ الوطني، وتبقى أبوابه مفتوحة أمام كل الإقتراحات التي من شأنها ترقية كتابة التاريخ الوطني .